مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة

تأليف

أبو العباس بن العريف

481 هـ-536 هـ(1088 م- 1141 م)

جمعه

أبو بكر عتيق بن مؤمن

496 هـ-548 هـ(1102 م-1153 م)

دراسة وتحقيق

دكتورة عصمت عبد اللطيف دندش

أستاذة التاريخ والحضارة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

« الأنعام : 88 »

مُفْتَاحُ السَّعَادَةِ
وَتَحْقِيقُ طَرِيقِ السَّعَادَةِ

الطبعة الأولى

1993

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : 113/5787
بيروت - لبنان

إهــداء

إليك راحل يوم عرفات 1410

عاطف أخي الحنون

خطفتك يد المنون

لاحقاً بأخينا عاصم الحبيب

راحل أضحى1406

فلي الصبر، ولكما الخلود

فَيَــا حَسْرَتي مِنْ فِــرَاقِ قَــوْمِ — هُمُ الْمَصَـــابِيحُ والْحُصُـــونُ

والْمُزْنُ والْمُدْنُ والــــــرَّوَاسِي — والخَفْضُ والأَمْــنُ والسَّكُـــونُ

لَمْ تَتَغَيَّر لَنَـــا اللّيَـــالِي — حَتَّـى تَـــوَفَّتْهُـمُ المَنُـــونُ

فَكُــلُّ جَمْرٍ لَنَـــا قُلُـــوبُ — وَكُلَ مَـــاءٍ لَنَـــا عُيُـــونُ

الحَمْدُ لله الَّذي

لَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلقِ سَبِيلاً إلى مَعْرِفَتِه

إلَّا بِالعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِه

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجع علاقتي بابن العريف إلى سنة 1980 عندما كنت أحضر رسالة الدكتوراه في موضوع «الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين»، عند بحث ثورة المريدين وما صاحبها من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية. وكان الموضوع جديداً وصعباً لعدم وجود مصادر ترشد لتقييم هذه الأحداث، ولكن بتوفيق من الله سبحانه وتعالى استطعت أن أتوصل إلى معلومات قيمة وجديدة. وكان من ضمن المصادر التي اعتمدت عليها مخطوط مفتاح السعادة لابن العريف، وكان الأب بولس نويا اول من أشار إلى هذا الكتاب، واستغل منه بعض الرسائل في بحث قدمه لمجلة الأبحاث التي تصدرها الجامعة الأميركية ببيروت سنة 1978 ـ 1979 واستنتج منها أفكاراً جديدة.

كان لا بد لي من دراسة هذا المخطوط دراسة متأنية لأنه في صميم بحثي، وبالفعل استطعت بعون الله أن أضيف الجديد. وبعد حصولي على الدكتوراه وجدت لزاماً علي أن يخرج هذا المخطوط إلى النور خصوصاً أن عوامل الزمن أثرت في صفحاته، فعكفت على قراءته مرات عديدة، ولكن وجدت أنه من الضروري خوض بعضٍ من تجربة المتصوفة، حتى أستطيع أن أتفهم هذا السلوك، وأحس ببعض المعاناة، فكنت آخذ نفسي من وقت إلى آخر ببعض ما قرأت في كتب التصوف، ثم أتوقف حتى يتسنى لي استجماع نفسي واستعادة توازني، ولملمة شتاتي، لذلك أخذ مني هذا المخطوط وقتاً طويلاً، وسنوات عدة لأنه صحح بعض الأفكار التي استنتجها سابقاً.

وجاءت مشكلة نسخ المخطوط، إذ أشار الأب بولس نويا إلى أنه وجد ثلاث رسائل من ابن العريف موجهة إلى ابن برجان وبعضاً من كلام ابن العريف لم يذكر عدد صفحاته ضمن مجموع الرسائل الصغرى لابن عباد الرندي في النسخة التي كانت في حوزة السيد عبد السلام بن سودة، وهذه النسخة لم استطع الحصول عليها للأسف

بسم الله الرحمن الرحيم

المخطوط (1) تحت رقم 1620 ضمن مجموع شرح العقيدة السنوسية الصغرى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

هذا كتاب فيه مفتاح السعادة لأهل الإرادة
في الظهور والكسوة لحضرة الربيعة تأليف
الشيخ العالم الصوفي فريد عصره أبو العباس سيدي
أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الشهير بابن العريف نفعنا الله به

الحمد لله المتفرد في الأزل بصفات الوحدانية والجلال
ونعوت الجمال والكبرياء والكمال والجمال وسلطان عظيم الملك
والغنى الواجب الوجود والبقاء المنزه عن الشبيه والمثال الذي
لا يوصف بالقدم ولا بالعدم ولا بقصر ولا بطول ولا بجسم ولا بجوهر
ولا عرض ولا بلون ولا بكل ولا بتخييل ولا بنور ولا بظلمة ولا بنوم
ولا بحجم الجواهر ولا بمكان الجهات ولا بزمان الغروب ولا بمسافة
ولا بجهة المحيط ولا بخوف ولا بحد الواسع ولا بعرض ولا بطول
القدوس لا على الموجود ولا تركيبه الأول الكلام ولا بتكييف
ولا بجاب للكل الذي للمحدثات بطلب الفاعل بالأداة ولا حركة
الفاعل ولا بحجم المدبرة وكان العرب لا بتقديم ولا تأخير الحي
لا بنفس ولا روح السميع بالأذن البصير لا بعينين المتكلم
لا بحرف ولا صوت ولا لسان العالي لا تعلق الملك لا شريك
أحكم العقائد الكريم المحسن العظيم الذي لا تنالها أوصافه
ولا تعادله الذي لا يوصف بالفوق ولا بالتحت ولا بالأمام ولا بالخلف
ولا باليمين ولا بالشمال ولا بالقبل ولا بالبعد ولا دال الحركات ولا بالسكون

ولا بالسكون الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا
العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون
فتبارك جل جلاله أن يصلي ويسلم بأفضل صلواته وأزكى تسليماته
على خير خلقه محمد عبده ورسوله ونبيه وخليله وصفيه وصفوة
حضرته صلاة دائمة بدوام ملكه ورضي الله عن آله وأصحابه
وأتباعه الكرام من المهاجرين والأنصار بعين المنسوبين الهادين المهتدين
من بأفضل رضوانه وبجميع رحمته وجعلنا الله لنا ولوالدينا ولأشياخنا
ولمن نبينا مغفرة عزماء معصية بعدها ولا عتاب ولا بعد
وبعد [illegible] وفقنا الله وإياكم أيها الإخوان السالكين
معشر المتعلمين العاملين المنتفعين السائرين المرسلين الراغبين
حضرة رب العالمين فإن حضرة الله الربيعة لا يدخلها إلا التائبين
المتطهرين المنتسبين حلول النفس والدين والبشرين لقوله تعالى
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله تعالى يا بني آدم
قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى
فاعلموا أن لحضرة الله آداب وكسوة ما يليق بها
وهذه الحضرة الربيعة التي هي حضرة الله التي أعدها الله
للنبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
والكسوة والهدى / قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبني
ربي فأحسن أدبي ومن سر الكتاب قوله تعالى وثيابك
فطهر والعاجي للتوبة والطهور والطهارة لحضرة من علم وأدب
وخدمه فنبينها إن شاء الله تعالى لكل من يكون له همة

المخطوط رقم (2) تحت رقم 1687 ضمن مجموع تصفية القلوب في الوصول إلى علام الغيوب

حتى أتحقق من عدد القطع المنسوبة لابن العريف. ولكن على ما يبدو من كلام الأب بولس عددها قليل جداً.

ثم وجدت في دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمجروت الصادر سنة 1985 عن وزارة الأوقاف من إعداد الأستاذ محمد المنوني، أنه توجد نسختان لمفتاح السعادة ضمن مجموعين، لذلك اضطررت إلى تأجيل طبع نسخة الخزانة الحسنية (الملكية) حتى أقابلها بنسخ تمجروت، وقد سافر الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة مشكوراً إلى تمجروت وزودني بصورة للنسختين.

لكن بعد أن تفحصت النسختَيْن وجدت أن لا علاقة بينهما وبين نسخة الخزانة الحسنية. فالمخطوط الأول تحت رقم 1620 بعنوان «مفتاح الشهادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرفيعة» وهو من تأليف أبو الحسين علي صالح. وهو ضمن مجموع يشمل:

1ـ شرح العقيدة السنوسية الصغرى ـ لمحمد بن محمد بن إبراهيم الملالي التلمساني.

2ـ أرجوزة في التوقيت ـ مجهول.

3ـ سراج الإسلام ـ لسليمان بن خلف الباجي.

4ـ الخواص القرآنية ـ مجهول.

5ـ مفتاح السعادة ـ مكتوب خطأً من تأليف ابن العريف.

6ـ شرح حزب البحر للشاذلي ـ لأحمد بن محمد بن عيسى البرنسي عرف بزروق.

والمخطوط الثاني تحت رقم 1687 مجموع يشتمل على:

1 ـ تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب ـ لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن أحمد بن جزي.

2ـ بداية الهداية ـ لأبي حامد الغزالي.

3ـ مفتاح السعادة لأهل الإرادة ـ لأبي العباس بن العريف.

4 ـ ترتيب التصوف التساعي ـ لعلي بن يوسف القرشي.

وبعد قراءة سريعة للمخطوطين وجـدت أَنَّهُما نسخة واحدة لمؤلف واحد لا تختلف إحداها عن الأخرى إلا أن إحداهُمَا كتب فيها أنها من تأليف ابن العريف والأخرى من تأليف أبـو الحسين علي صـالح، وهـذا يستـدعي تحقيقاً وقـراءةً متأنيـة لمعـرفـة المؤلف الحقيقي (*).

لهذا كان اعتمادي على النسخة الـوحيدة بالخزانة الحَسنيـة لإخراج هذا المؤلف لابن العريف.

عصمت عبد اللطيف دندش

الرباط أغسطس 1992

(*) ذكـر ابن عباد الـرندي في تفسيره للحكم العطـائية مـؤلفـاً لابن العريف بعنـوان مفتاح السعـادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة.

دراسة التصوف في الغرب الإسلامي يكتنفُها كثير من الصعوبات خصوصاً التعامل مع كتب التصوف، وتبرز هذه المشكلة في أن معظم كتب التصوف قد فُقدت، كما أنها كانت قليلة التداول، وذلك لموقف فقهاء المالكية من التصوف عموماً، مما جعل تداول هذه الكتب محدداً ومقتصراً في الغالب على فئة المتصوفة الذين كانوا يعتبرونها من خصوصياتهم لا يجوز الكشف عنها للآخرين.

ودراسة رسائل ابن العريف مفيدة لكل من يريد أن يتعلم ويقف مباشرة على ما كان يدور بين هؤلاء المتصوفة من أسئلة، ويتبين الطريقة التي يحاولون الوصول بها إلى طريق الإرادة، والتقرب إلى المولى عز وجل، وما هي الصعوبات التي يلاقونها، والأزمات والصراعات النفسية التي يمرون بها قبل الوصول إلى بغيتهم والظفر بالمشاهدات الوجدانية.

كما تظهر أهمية رسائل ابن العريف وكلامه في معرفة آداب الشيخ مع مريديه، وكيفية تعامله معهم، وطريقة إرشادهم للطريق، والموضوعات التي كانت محل بحث ومثار مناقشة وحوار بين المريدين بعضهم بعضاً، وبينهم وبين شيخهم، أو العكس كما تبين علاقة هؤلاء المتصوفة بأقرانهم.

فيا أيها القارىء العزيز،

لا بد وأنك واجد بعض الهنات والعثرات، فأستميحك عذراً فالكمال لله وحده، إذ أن دراسة التصوف أو الغوص في معرفته من الأمور الصعبة، خصوصاً في عصرنا. ومَنِ الذي يقدر منا على سلوك مسلكهم؟ أو الانتظام في طريقهم بعد أن حجبتنا الشهوات واسترقتنا العادات؛ ووقفنا مع الرسوم والطلول، ومنعنا عن الوصول، واغتالنا الأعداء والأهواء بفنون التزيين والإغواء، فعميت البصائر، وأظلمت السرائر، فلم يبق

لنا في هذه المسألة نصيب إلا التسليم لأهله، واستعمال حسن الظن في محله، والتماس الفتح من الفتاح العليم، والهداية إلى صراطهم المستقيم مع **اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه**، وهو طريق مخصوص بالسلامة من الآفات، مخلص لأمثالنا من ارتكاب الجهالات، متضمن حسن الأدب مع الأولياء الصالحين.

يقول أبو المعالي الجويني:

من اطمأن إلى موجود، انتهى فكره، فهو مشبه،

ومن سكن إلى النفي المحض فهو معطل،

ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد.

عصر ابن العريف (*)

شهد عصر المرابطين تطورات حضارية في شتى مجالات الحياة، كما يعتبر مرحلة انتقال متميزة بين عصرين، عصر ملوك الطوائف، وعصر الموحدين، إذ جمع بين متناقضات عصر الطوائف وما حدث من تطور في عهد المرابطين. وكانت الفترة التي عاشتها دولة المرابطين قصيرة، قضت معظمها في الجهاد، إما في المغرب جنوب الصحراء في بلاد السودان، وإما في داخل المغرب أو في الأندلس.

والجيل الأول من المرابطين كان حديث عهد بحركة الزهد والتقشف التي عاشوها في رباط ابن ياسين، فلما دخلوا الأندلس لم يتأثروا كثيراً بها، «فكانوا رجالاً لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، إنما هَمّ أحدهم فرس يروضه ويستفرهه، أو سلاح يستجيده، أو صريخ يلبي دعوته»[1].

لكن هذه الحياة البسيطة لم تستمر طويلاً خصوصاً بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين، فقد أثرت الحياة الأندلسية المترفة على الجيل الثاني، الذي لم يكن من الممكن أن تستمر مقاومته لحياة الأندلس وحضارتها المتقدمة، وخصوصاً بعد تدفق الغنائم وتكدس الأموال، فاختلط هذا الجيل بأهل الأندلس، واتخذ معظمهم زوجات أو محظيات منه، فنشأ جيل أشبه بجيل جديد من المولدين، تلقى تربيته وتعليمه على أيْدٍ أندلسية، بعيداً عن بساطة الصحراء وشظفها.

ظهر التحول واضحاً في عهد الأمير علي بن يوسف في كل مظاهر الحياة، وبرغم ما

(*) لم أتعرض هنا بالتفصيل للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ سبق أن قمت بدراسة موسعة في كتاب «الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين» صدر عن دار الغرب الإسلامي 1988.

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 163.

عرف عنه من تقشف وميل إلى الزهد[2]، إلا أن الكثير من الأمراء والقواد والولاة انغمسوا في الحياة المترفة، واتخذوا مجالس الشعراء والمغنين والندماء، كما تأنقوا في المأكل والملبس[3]، وهذه سنة الحياة في كل العصور.

لم يقتصر الأمر على المرابطين، فقد ظهرت العديد من الأسر الغنية التي ملكت الأموال الكثيرة والتي استثمرتها في الصناعة، والتجارة والزراعة، وساعدتها ثروتها على هيمنتها وبسط نفوذها في شتى المجالات السياسية والإدارية والاقتصادية، بل والدينية أيضاً. ولم يتوقف تأثيرها على هذه المجالات فقد احتلت مركز الصدارة في ميادين الثقافة والفكر، سواء في الفكر السياسي أو التشريع، وليس معنى ذلك أن هذه الطبقة كانت تصدر الأوامر مباشرة إلى العلماء والشعراء والفنانين وغيرهم ليعالجوا موضوعاً ما بطريقة معينة، ولكن احتلالها مركز الصدارة والقيادة في المجتمع أتاح لها المجال لتحقيق توجيهاتها ومقاصدها سواء التوجيه مباشراً أو غير مباشر.

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك تيارات فكرية وثقافية تولّدَتْ بعيداً عن هذه الطبقة، فقد تولدت تيارات كانت تسير ضد مصالحها أيضاً، ولكن المجال لم يكن متاحاً لتطور مثل هذه التيارات، نظراً لعدم دعمها من قبل النظامين الاقتصادي والسياسي القائمين، علاوة على تجاهل أو إهمال المؤرخين لها، لأنها تتعارض مع ميول الطبقة الحاكمة وطبقة الخاصة (الأرستقراطية ـ الغنية) على الخصوص، ولأن هذه الطبقة قاومت هذه التيارات بشدة وعنف لأنها تهدد مصالحها.

كانت طبقة الخاصة لاهية عما يحيط بالبلاد من أخطار، غير مبالية إلا بمصالحها، متباعدة عن مسرح الأحداث الكبرى التي انفرد بتدبيرها المرابطون من جهة والقشتاليون من جهة أخرى، وتدهورت الأحوال الاقتصادية والسياسية بعد نجاح فتنة المهدي بن تومرت وانشغال المرابطين بها في المغرب عن جبهة الأندلس، مما اتاح الفرصة للقشتاليين لزيادة ضرباتهم الموجهة للأندلس، ونجاحهم في الاستيلاء على كثير من المدن والحصون.

---

(2) ن. م. ص 171.
(3) انظر كتابنا السابق.

في هذه الظروف المتناقضة، وكرد فعل لما يسود المجتمع من انحلال وتفسخ وعدم مبالاة، لجأ البعض إلى العزلة والانزواء، واتخذ من التصوف ملاذاً وملجأ لما يراه في هذا المجتمع ولا يملك تغييره، لعله يجد في كثرة العبادة والاستغراق فيها، والبعد عن الناس، مخرجاً لما يعانيه، فانتشرت الزوايا والربط في المغرب والأندلس التي لزمها العباد والمتصوفة.

قوبل هذا الموقف السلبي من هذه الجماعة (المتصوفة) بموقف سلبي من الدولة في بداية الأمر، واختلفت آراء ومواقف الفقهاء تجاههم، وفقهاء المالكية لهم رأيهم المعارض للتصوف، خاصة التصوف الذي ظهر في الغرب الإسلامي والذي تأثر بآراء المتكلمين والفلاسفة والشيعة، وانتشرت كتب الغزالي و إخوان الصفاء بين هؤلاء المتصوفة، وكان لفقهاء الأندلس، خاصة فقهاء قرطبة، موقفهم المعادي لكتب الغزالي وعلى الأخص كتابه الإحياء الذي وجدوا فيه خطراً على أفكار الناس بعد أن تداولته الأيدي من خاصة وعامة، مما جعلهم يقرّرونَ مجافاته لظاهر الشريعة، وساذج العقيدة، لما يحويه من أحاديث ضعيفة، وآراء كلامية بعيدة عن أذهان العامة، فحذروا الناس من مطالعته والنظر فيه، وحرضوا السلطة الحاكمة على متابعة المنع، غير أن هذا المنع أتى بنتيجة عكسية فكل ممنوع مرغوب، إذ زاد إقبال الناس على قراءة هذه الكتب، وحفظها، واتخذ المتصوفة من الغزالي وكتبه نموذجاً يقتدون به في حياتهم الصوفية.

وبرز في الغرب الإسلامي في فترة حكم المرابطين عدد كبير من شيوخ التصوف ومريديهم، الذين انتشروا في جهات عديدة من الأندلس[4]، وكانت ألمرية وقرطبة و إشبيلية من أهم مدن الأندلس التي لمع بها عدد كبير من شيوخ التصوف كابن العريف، وابن غالب وابن برجان وغيرهم[5] .

وللمرية وضعيتها المتميزة بين مدن الأندلس، فهي أشهر موانيه التي تعج بالمسافرين من طلبة العلم والتجار والحجاج والوافدين إليها من جهات عديدة من العالم الإسلامي وغير الإسلامي، حاملين معهم الأفكار والتيارات الثقافية التي تروج في

---

(4) د. عصمت دندش: أضواء جديدة على المرابطين ـ دار الغرب الإسلامي 1990 بيروت.
(5) ن. م.

هذا العـالم، كما أنها كانت مدينة صنـاعية هامة يسكنهـا آلاف العمال والصناع من كل فن، وكانت ملتقى الفارين من هجوم النصارى خصـوصاً بعد سقوط سرقسطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى، فهاجر إليها عـدد كبير من علمائها ومفكريها، كل هذه العوامل جعلت منها مدينة متميـزة لها خصوصيتها عن بقية مدن الأندلس من النـاحية الفكرية والمزاج العام الذي يسـودها[6]. فكان لعلمائهـا موقفهم الخاص[7] تجاه الأمر بـإتلاف كتب الغزالي ومنع قـراءتها والذي أفتى بها فقهاء قـرطبة[8]، كذلك كـان للتيار الصوفي بالمرية خصوصيته والذي تَزَعّمه أبو العباس بن العريف.

وأبو العباس بن العـريف هو أحمد بن محمد بن موسى بـن عطاء الله الصنهاجي، وسمي بابن العريف لأن والده كان يعمل عريفاً بحرس الليل بمدينة طنجة، والعريف هو القـائم بأمر الجماعة. رحل والده مـن بلده الأصلي طنجة إلى المرية والتحق بخـدمة ابن صمادح حيث عمل بمعسكـر قصبـة ألمريـة التـي كـانت تحت حكم أسرة معن بن صمادح أحـد ملـوك الطـوائف، والتي حكمت من 433 هـ إلى 484 هـ (1041: 1091م)[9].

ولد أبـو العباس أحمد بن العريف بمـدينة ألمرية يوم الأحـد بعد طلوع الفجـر ثاني جمادى الأولى سنة 481 هـ / 1088م، ونشأ في بيئة متواضعة أقـرب إلى الفاقة والعوز، مما دفع والـده إلى إرساله لحائك كي يتعلـم مهنة الخياطـة، غير أن الصبي الصغير كان ينفـر من هـذه الحرفـة، ويميل إلى طلب العلم، فكـان يهرب إلى مجالس العلم المنتشرة بالمرية يستمع إلى القرآن وعلوم الحديث واللغة ويبحث عن الكتب يقرؤها، فكان والده ينهاه ويخوفه ويشتد عليه حتى كاد يقضي عليه، فلما لم يجد معه فائدة من ثنيه عن طريق العلم تركه لشأنه[10].

اجتهد ابن العريف في طلب العلم وتردد على شيوخ المرية، ومرسية، وقرطبة ينهل

---

(6) د. عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين الباب الخاص بثورة المريدين.

(7) تزعم حركة المعارضة أبو الحسن البرجي، وأبو بكر عمر بن الفصيح، وأبو القاسم بن ورد.
انظر ابن عبد الملك، الذيل والتكملة سفر 5 قسم 1، رقم 604 ص 308.

(8) ابن القطان: نظم الجمان ص 14، 15.

(9) ابن الأبار: المعجم رقم 14 ص 18، التادلي: التشوف رقم 18 ص 118.

(10) ن. م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، رقم 68، ص 168.

من علمهم، فكان من شيوخه أبو الحسن البَرْجي [11]، وأبو محمد عبد القادر القروي المعروف بابن الحناط [12]، وأبو بكر عمر بن رزق المشهور بابن الفصيح [13]، وأبو جعفر الخزرجي [14]، وأبو علي الصدفي [15]، وأبو القاسم بن النحاس [16]، وأبو خالد يزيد مولى المعتصم [17]، وأبو القاسم خلف بن محمد بن العربي [18]، فأخذ عن هؤلاء القرآن الكريم، وتعلم القراءات، وسماع الحديث وجمع الروايات واللغة، وروى كتاب الفصوص لصاعد [19]، فصار «عنده مشاركة في أشياء من العلوم، وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام لطرقها وعللها وحملتها» [20]، وبرع في إجادة الخط فكان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضاً [21]. وقد استجاز من أبي القاسم بن بشكوال قال: «وقد استجاز من تأليفي هذا وكتبه عني، وكتبت إليه بإجازته مع سائر ما عندي، واستجزته أنا أيضاً فيما عنده، فكتب لي بخطه ولم ألقه، وخاطبني مرات» [22]. وللأسف لم يذكر لنا ابن بشكوال شيئاً عن الكتب التي استجازها من ابن العريف برغم ما عرف عنه من دقة، «كما كانت بينه وبين القاضي عياض مكاتبات حسنة» [23] ولم يذكر ابن خلكان نوعية هذه المكاتبات، والمرجح أنها تتعلق بالتصوف، وقال ابن خير الفاسي الإشبيلي صاحب الفهرسة الشهيرة «أخذت عنه [أي ابن العريف] واستفدت منه مواعظ ووصايا، وذاكرته في أشياء من طريق الصوفية وأفادني» [24].

---

(11) ترجمته في ابن عبد الملك: م. س. سفر 5، قسم 1، رقم 604، ص 308، ابن الأبار، م. س، رقم 253، ص 271: 273.
(12) ترجمته في ابن بشكوال: الصلة رقم 839 ص 371، ابن الأبار، م. س، رقم 85 ص 98.
(13) ابن بشكوال: م.س. رقم 868، ص 383.
(14) ابن فرحون: الديباج ص 50.
(15) ابن بشكوال: م. س. رقم 330، ص 143.
(16) الضبي: بغية الملتمس، رقم 718، ص 274.
(17) ابن الأبار: التكملة، جـ 2، رقم 2106، ص 742، ط. مجريط 1887.
(18) ابن بشكوال: م. س. رقم 398، ص 172.
(19) ابن الأبار: م. س. رقم 14، ص 18.
(20) ابن خلكان: م. س. ابن بشكوال: م. س. رقم 176، ص 83.
(21) ابن الأبار: م. س، الضبي، م. س، رقم 360، ص 154.
(22) ابن بشكوال: م. س، رقم 176، ص 83.
(23) ابن خلكان: م. س.
(24) ابن خير: الفهرسة ص 460، التادلي: م. س. ص 118.

لمع اسم ابن العـريف وجلس لـلإقـراء بألمريـة، وغـدا عـالماً كبيراً «فجـاء نسيج وحده»[25]. واعترف والده بخطئه وقلة إدراكه فكان يقول عند زيارة أصحاب ابنه «رأي ابني كان أرشد من رأيي»[26].

لم يقتصر نشاط ابن العريف العلمي ببلده ألمرية، فقد أقرأ بسرقسطة وبلنسية[27]، فكان فقيهاً وراوياً مجرحاً ومجوداً بارعاً[28]، كما كان له منثـور ومنظوم رقيق[29]، ولفت أنظار معـاصريه بخطه المتنوع البـديع، وعهد إليه بتـولي الحسبة بمدينة بلنسيـة بجانب جلوسه للإقراء بمسجدها[30].

ويـذكر ابن العـريف سبب توليـه للحسبـة من خلال ذكـره حكايـة نسبها لأحـد أصحابـه في الرسـالة التي أرسلهـا إلى صديقـه الصوفي الكبير أبي الحسن بن غـالـب في قرطبة، ويحدد الأسباب في أربعة بقوله:

«لأحط من نفسي فإني كنت عنـد الناس فـوقها، والثـاني لأجرب نفسي عنـد الأمر والنهي والجاه والمال، والثالث لينكشـف لي ما عليه الحكـام من إظهار الحق وإبطـاله، والرابع لأقـدم ذلك فيما عسى أن أمتحن به من أمر ولاية فأكـون على بصيرة من الإقدام والإحجام»[31].

---

(25) ابن الأبار: م. س. رقم 14، ص 18.
(26) ن. م.
(27) ن. م.
(28) ابن بشكوال، م. س. رقم 176، ص 83، ابن خلكان م. س.
(29) التـادلي. م. س. وكتاب ابن العـريف محاسن المجالس بـه كثير من شعره، كما سـوف أُورد في أشعاره فيما بعد.
(30) ابن الأبار: م. س.
وترجمة ابن العريف من المصـادر الآتية: ابن الأبار: المعجم رقم 14 ص 18، الضبي: بغية الملتمس رقم 360 ص 154.
ابن بشكوال: الصلة جـ 1 رقم 176 ص 83، التادلي: التشوف رقم 18 ص 119.
ابن خلكان: وفيات الاعيان جـ 1 رقم 68 ص 168، الذهبي: سير النبـلاء جـ 20، رقم 68، ص 113.
ابن فرحون: الديباج ص 58.
(31) من رسالة ابن العريف إلى ابن غالب رقم 5.

ولا نعـرف تاريخ تـوليـه هذه المنـاصب، ولكنهـا مما لا شـك فيه أنها كـانت قبل استقـراره في ألمريـة والمرجح أنها قبل عـام 520هــ، إذ بعدهـا أوقف نفسـه على تعليم الصبيان في مسجدها نظير أجر زهيد يسد به حاجته وحاجة أسرته، ولا تسعفنا المصادر بمعرفة أسرته وأولاده، فوالده لا نعرف تاريخ وفـاته، ويبدو أنه توفي بعد استقرار ابنه في ألمرية وشهرته بين أقـرانه، فقد كان يفتخر به عندمـا يلتقي بأصحاب ابنه، ويبدي لهم ندمه على قسـوته عليه عندمـا كان صغيراً ليجبره على تعلم حرفة الحيـاكة وترك العلم، والاحتمال كبير في أَن والدي ابن العريف كـانا يعيشان معه، وكـان شديد العطف على أمه متعلقاً مشفقاً على ضعفها حتى أنها كانت من الأسباب القوية التي تمنعه من السفر إلى قرطبة للقاء أصحابه إشفاقاً عليها من جزع فراقه[32].

وكان ابن العريف يعول أختـه الأرملة زوجة أبي جعفر[33] أحد أصدقائه والمقربين إليه الذي توفي تاركاً طفلاً صغيراً اسمـه عبد الرحيم فأشفق عليه ابن العريف وضمه إلى حضانته[34]، فقد كان متأثراً وحزيناً لفقد صـديقه أَبي جعفر. ونعرف أن له أخاً اسمه إسماعيل ويكنى أبا الوليد كان يحضر مجالسه ويميل إلى طريقته في التصوف، وكتب عنه كثيراً من شعره، سافر إلى المغرب[35]، كما نفهم من رسائله أن له قريباً يسمى أحمد كتب عدة كراريس في فنـون العلم منها بعض كلام لأحمد بن قسي[36]. ولم نستدل على أولاد لابن العـريف، وإن ظهـر من خـلال الـرسـائل أن بعضهم كـان صغير السن متعلقـاً به[37].

كان ابن العريف مثالاً طيباً لرب الأسرة والزوج الشفوق والأب الحنون والابن البار، وكان ينصح أصحابه بحسن معاملة الـزوجة وتعليمها الصلاة والقرآن الكريم[38]، كما

(32) رسالة ابن العريف إلى أبي خالد يزيد [و 88].

(33) أبو جعفـر ابن عم يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي الـذي ذكره الضبي في بغيـة الملتمس في ترجمة رقم 360.

(34) رسالة إلى ابن غالب رقم 18 [و 52].

(35) ابن الأبار: التكملـة جـ 1 رقم 492، التـادلي: م. س. رقم 18 ص 120، مفتاح السعادة [ط 57].

(36) رسالة إلى ابن قسي رقم 2 [و 97].

(37) ابن العريف: ن. م. [ط 27].

(38) ن. م. رسالة إلى أبي بكر عياش [و 89]، ورسالة إلى ابن غالب [ط 31].

كان مرتبطاً بأسرته يخشى فراقهم أو الابتعاد عنهم خصوصاً صغـارهم. يقول في إحدى رسائله معتـذراً عن السفر« إن ورائي من العيال من لا وجه لفراقـه لما عندي من الشفقة عليهم، وعندهم من العجز عن الصبر»[39].

وابن العريف هو العـائل الوحيد لأسرته، ويعتمد دخلـه على الأجر البسيط الذي يتقاضـاه من تعليم الصبيان، والذي لا يكـاد يكفي حد الكفاف وهذا أحـد الأسباب التي منعتـه من ا لسفر إلى قـرطبـة أو أشبيلية لـرؤيـة رفاقـه، فلم يكن في وسعـه تأمين معاشهم خـلال فترة غيابه فيقـول في إحدى رسائلـه «لو فتح الله لمن ورائي في شيء من حطام الدنيـا حتى يستغنوا به عني، فإنهم ذكـروا من الدنيا مقداراً مـا، وزعموا أنهم لو وجدوه لم يبـالوا فقدي مـدة ما تتعدى كـالشهرين والثلاثـة، فلو اتفق لهم ذلك لكنت أهون على نفسي من السفر في أيـام الربيع ونحوها من السنـة ما أمكنني، وكنت أبحث على إخواني أذاكـرهم شيئاً من العلم في المواضع التي كنت أتوجـه إليها، ثم انصرف إلى أهلي ووطني فأقضي من حقهم ما يلزمني»[40].

---

(39) ن.م. ط 27.

(40) ابن العريف م. ن. [ط 28].

رزق ابن العـريف من القبول عنـد الناس مـا لم يرزق غيره من شيـوخ المتصوفـة في عصره، فأقبل عليه الطلبة والمريدون يتأدبون بأدبه، ويأخذون عنه علوم القوم، كما كان العباد وأهل الزهد في الدنيا يقصدونه ويألفونه، فيحمدون صحبته لحفاوته بهم والشوق اليهم، وانتظـار زيارتهم والقلق لغيـابهم، وكان يستفسر عنهم وعن أحـوالهم، ويسأل عن عائلاتهم وأبنائهم، داعياً لهم بالهداية والخير[41].

وإذا كان هنـاك من المتصوفة من يشعـر بلذة في تعـذيب النفس كالحلاج، أو من يتلذذ بجنونـه كالشبلي عندما يدعي الجنون بشكل لم يكن غـريباً على أذكياء المسلمين، أو من يتلذذ بهذيانه كالبسطامي، نجـد ابن العريف يتلذذ بشقاء غريب، وشعور دائم بالـوحدة، وعجز يفقـده القدرة على الحركة أو السفـر بسبب المرض، وحنين إلى السفر للقاء الأصدقاء، وقلقه الدائم عليهم وهذا ما يظهر من رسائله إليهم.

واتصف ابن العريـف بروح خفيفة مـرحة، وتبسط مع جلسـائه، مما جعل بعض الناس يعيبون عليه ذلك، فلما بلغه هذا الكلام رد بقوله:

يَـا مَنْ رَأَى ضَحِكِي عَيْباً ومَنْقَصَـةً ... اللهُ أَعْلَمُ مَـــا أَبْـــدى وَمَـــا سَتَرَا
المُجْنُ أَوَّلُهَا وَصْفـي وآخِــــرُهـــــا ... ظَنِّي بِــرَبِّي إذا مَـــا غَــائِبي حَضَرَا
وأَنْتَ وَجْهُكَ يَتْلُــو لِلْـوَرَىٰ عَبسـاً ... فاحْـذَرْ أَوَاخِرَهَـا لا تترك الحَذَرا[42]

ولابن العريف أسلـوب رشيق، وشعر رقيق يدل على حسـاسيته المرهفة، ومـوهبته

(41) ابن بشكوال، م. س. وانظر إلى رسائله إلى أبي محمد عبد الغفور [و 85]، ورسائل إلى أبي بكر عياش [و 89]: ورسائله إلى ابن غالب ط 32، و 43، ط 44، و، ط 45، [ط 46].
(42) التادلي: م. س. رقم 18 ص 120.

العفوية، وشعوره الصادق، فكان يرفق رسائله ببعض من أشعاره إلى أصدقائه ومريديه، فمن شعره إلى صديقه أبي محمد عبد الله بن محمد بن الخلف الصدفي المعروف بابن علقمة[43] من أهل بلنسية:

من عَجَبِ الدَّهْرِ وآياتِه	سُكَّرةٌ تعْزَى إلى عَلْقَمة
خيفَ عليها العينُ من طِيبِهَا	فَهي بِأَضْدَادِ الكُنَى مَعْلَمَة
بَيِّنَةُ المَعْنَى لِذِي فِطْنَةٍ	لأنها في اللفْظِ «عِلْق» و «مَهْ»[44]

وذكر له ابن الأبار بعض الأبيات الشعرية الرقيقة في كتابه تحفة القادم والذي انتقى فيه بعض أشعار أهل الأندلس:

قِفا وَقْفَةً بين المُحصَّب والحِمىَ	نُصَافِح بأجفان العيون المَغَانيَا
ولا تنسيا أن تسألا سَمُر[45] اللّوى	متى بات من سُمْر الأسِنّة عَارِيَا
فَعَهْدِي بِه والماءُ يَنْسَابُ فَوقَه	سماء ومَاء الورد ينساب وادِيَا
كأنّ فُؤادي في فَمِ اللّيْثِ كُلّمَا	رأيت سَنَا برق الحِمَى أو رآنِيَا
أَقَاع عَلى أَطلاَلِهِم ضَوء بَارِق	من الحسن لا يبقي على الأرض باليا
سلامٌ على الأحْبَابِ تَحْدُوه لوعة	من الشوق لم يفقد من البين حاديا[46]

ومن مليح نظمه

تَمَشّى والعيون له سَوام	وفي كل النفوس إليه حاجة
وقد ملئت غلائلُه شعاعاً	كما ملئت من الخمر الزجاجة[47]

ومن شعره[48] الذي يستجلي به الخطيب إليهم ويستجفي له رطب النسيم:

(43) ابن الأبار: التكملة جـ2، رقم 1354 طبعة مجريط 1887.
(44) البلفيقي: المقتضب ص 20.
أوردت هنا أشعاراً لابن العريف غير موجودة في محاسن المجالس أو في طريق السعادة.
(45) نوع من الشجر صغير الورق قصير الشوك وخشبه يعد أجود الأخشاب.
(46) البلفيقي: م. س. ص 17.
(47) ن. م.
(48) هذه الأبيات من معجم ابن الأبار ص 21.

سَلُـوا عن الشَّـوقِ مَـنْ أَهْـوَى فَـإِنَّهم ... أَدْنى إلى النَّفْسِ من نَفْسِي ومن نَفَسِ [49]

مَـا زِلْتُ مُـذْ قَلبِي أَصُـونُ لَهُمْ ... لَحْظِـي وَسَمَعِـي ونُطْقِـي إذَ هُـمُ أَنَـسِ

فمـن رسـولي إلى قلبـي فيسـألهم ... عن مشكل من سـؤال الصعب ملتبس

حلـوا الفـؤاد فما ينـدى ولـو وطئـوا ... صخـراً لجاد بماء منـه منبجـس

وفي الحشـا نـزلـوا والـوهم يخرجهم ... فكيف قـرُّوا على أذكـى من القَبَسِ

لأنهضـن إلى حشري بِحُبِّهِـم ... لا بَـارَكَ الله فيمن خَـانَهُمْ فَنَسِ [50]

ومن نظمه الحسن مخاطباً بعض إخوانه :

بِنَفْسِي إِذَا نَفْسِي أَنَـابَتْ وَأَصْلَحَتْ ... غَـرِيبٌ جَـرَتْ مـن مقْلَتَيْـهِ غُـرُوبُ

إذا ذكـر المولى تَنَسَّمَ قَلْبُـهُ ... وإن غَلَبَتْـهُ النَفْسُ كَـادَ يَـذُوبُ

أَنَـاخَ بعلِّيِّيْن رَائِدُ سِرِّهِ ... إلى حَيْـثُ لا تَمْضِي العُقُـولُ يَجُوبُ

أَبى الله أن تـدري ذَخـائِرُهُ التي ... إلى شِعْبِهِـم مـن السَّمَاءِ تَصُـوبُ

هم حَسَنَـاتُ الـدَّهـرِ عِنْـدَ كَمَالِـه ... ولكنهم عنْـدَ الأنَـام ذُنُـوبُ

مَحَبَّتُهُمْ فَـرْضٌ وَرُؤيتهـم هُـدَى ... ولِلَّـذيـن مِنْهُم أَلْسُـنٌ وقلـوبُ [51]

ومن شعره الذي عارض به أبياتاً لإسحٰق الموصلي[52]:

تُعَـاتِبني في الجودِ والجُودُ شِيمَتِي ... وَمَـالي بِتَبْـدِيلِ الطِبَـاعِ زَعِيمُ

وَلَمْ أَرَ مثَل الجُودِ، أمـا حـديثـه ... فَحُلْـو، وأمـا حُبّـهُ فَقَـدِيمُ

---

(49) هذا البيت ناقص في التشوف .

(50) الأبيات مذكورة في التشوف ص 119، والمغرب جـ 2 ص 211، والمعجم ص 21، ونفح الطيب جـ 3 ص 229 ولكن باختلافات بسيطة في بعض الكلمات .

(51) التادلي : م . س . ص 118، 119 .

(52) وآمـرة بـالبخـلِ قُلْت لَهَا اقصِري ... فَـذَلِك شيءٌ مـا إليـه سَبِيلُ

أرى النَّـاسَ خِـلّان الجواد ولا أرى ... بخيـلاً لـه في العـالمين خليلُ

أمن خير حـالات الفتى لـو علمتـه ... إذا نـال شيئـاً أن يكـون يسيلُ

ولا خَيْرَ فيمَنْ لاَ يُعَـــاشُ بِعَيْشِـــه ولـــو أنّـــه فَـــوْقَ السِّماكِ مُقِيمُ
ذَرِيني فـــإنّ البُخْلَ عَـــارٌ بِأهْلِـــهِ ومـــا ضرٌّ مِثْلي أن يُقَـــال عَـــدِيمُ
أَرى كـلَّ طَلْقٍ كـل خلـق حميمــــه وَلَيْسَ لِمَقْبُـــوضِي اليــــدين حَمِيـمُ
وَكَيْـفَ يَخَافُ الفَقْـــرَ أو يحرم الغنـى كـــريم وربُّ العَـــالَمِين كـــرِيمُ

فِعَـــالي فِعَـــال المكثـــرينَ تَجَمُّـــلاً وَمَـــــــالي كَما تَعْلَمِينَ قَلِيـلُ
وكيف أخَـافُ الفَقْـــرَ أو أدع الغنى ورأْيُ أَمِيرُ المؤمنينَ جميــــــــلُ
انظر العباس بن إبراهيم : الأعلام، جـ 2 ص 12 .

ومن مدائحه النبوية في كتابه «مطالع الأنوار ومنابع الأسرار»[53]

وحقك يـــا محمــــد إن قلبي ... يحبك قـــربـــة نحـــو الإلاه
جـــرت أمـــواهُ حبك في فـــؤادي ... فهـــام القلب في طيب المِيـــاه
فصرت أرى الأمـــور بعين حق ... وكنت أرى الأمـــور بعين ســـاهي
إذا شغـف الفـــؤاد بـــه وداداً ... فهل ينهـــاهُ عن ذكـــراهُ نـــاهي
يهيم بـــذكـــره ويحن شـــوقـــاً ... حنين المستهـــام إلى الملاهـي
يخامـــره ارتيـــاح منـــه حتى ... يقـــول أولـــو الجهـالـــة : ذاك لاهي
ومـــا هـــو حـق فضل قـــد رآه ... فصـــار يجد في طلـب الملاهـي
فســـوف ينـال في الـــدنيـــا سروراً ... وفي الـــدار الأخيرة كل جـــاه
ويعطـى مـــا تمنـى من أمـــان ... كما قـــد حب محبـــوب الإلـــهِ

وقال أيضاً رحمه الله :

يـــا عـــاذلي في طـــلابي ... دعني مـــن العـــزل دعني
سَـــأَعْمِلُ العيسَ شـــوقـــا ... بـــالعـــزم دون التأني
إلى ضريـــح رســـول ... مصـــدق حسن ظنـي
أشـــدو على كـــل فـــج ... حين الحمام يغنـــي
يـــا أطهـــر الخلق إني ... بِـــذِلَّتي عبـــد قِنِّ
فـــاعتق اليـــوم رقِّي ... وانظـــر بعطفـك منـي
فـأنـت أنـــت مـــلاذي ... إيـــاك إيـــاك أعني
إن غبـــت عـــن عين جسمـــي ... مـــا غبـت عن عين ذهني
لـــولاك كنـــا أنـــاســـاً ... أشرَّ مـــن كـــلِّ جـــنِّ
فـإذ بعثـت رســـولاً ... فخير فضـــل ومَـــنِّ
فـإنني عبـــد ســـوءِ ... قلبـت ظهـــر المجـنِّ

---

(53) هذه الأبيات من نفخ الطيب، جـ 7 ص 497 : 499.
العباس بن إبراهيم، م . س . ص 21: 23.

وقال أيضاً رحمه الله :

صلى الإله على النبي الهادي … ما لاذت الأرواح بالأجسادِ

صلى عليه الله ما اسود الدجي … فكسا محيا الأفق بُرْدَ حِدادِ

صلى عليه الله ما انبلج السنا … فابيض وجه الأرض بعد سوادِ

صلى عليه الله ما همع الحيا … فسقى البلاد برائحٍ أو غادي

صلى عليه الله ما هَفَتِ الصبا … وشدا على فتن الأراكة شادي

صلى عليه الله ما ألف الكرى … جفنٌ فخامره لذيذ رقادِ

صلِّ على المختار أحمدَ ربُّه … ما استمسكت نارٌ بطَيِّ زنادِ

صلِّ على خير الأنام محمدٍ … من خصَّه بالنورِ والإرشادِ

صلى الإله على رسول حاشرٍ … حُشِرَ الأنام لديه في الميعادِ

صلى الإله على رسول عاقبٍ … في الدهر وهو بفضله كالهادي

صلى الإله على رسول خاتم … ختم النبوة بالكتاب الهادي

صلى الإله على المقفى ما اقتفى … بشرٌ نبوته بغير عنادِ

صلِّ على ماحي الضلال إلهُهُ … ما غردت طير على الأعوادِ

صلى الإله على رسول فاتح … فتح الظلام بنوره الوقادِ

صلى الإله على نبي راحم … بالملة الغراء بعد فسادِ

صلى الإله على نبي طالع … رحم الإله به من الإبعادِ

صلى الإله على نبي طالع … بملاحم قصمت فؤاد العادي

صلى عليه الله فهو نبيه … ناداه بالإرشاد خير منادِ

صلى عليه الله فهو رسوله … أعطاه راية عَزْمةٍ كلَّ سدادِ

صلى عليه الله فهو خليله … أسدى إليه منه كلَّ سدادِ

صلى عليه الله فهو صفيه … صَفَّى سريرته من الأحقاد

صلى عليه الله فهو وليه … وإلاه في الإصدار والإيراد

صلى عليه الله فهو المصطفى … من كل حضَّار العباد وبادي

صلى عليه الله فهو المجتبى … يجبي إليه الخير دون نَفَادِ

صلى عليه الله فهو المنتقى … نور الزمان وواحد الآحادِ

صلى عليـــه من يـــراه مطهَّـــراً
واختـــاره طـــوداً من الأطـــوادِ

صلى عليـــه من يـــراه بفضلـــه
وأعـــاده حيـــاً لغير مَعـــادِ

صلى عليـــه من أراه جـــلالـــه
وأنـــالـــه من ذاك كـل مـــرادِ

صلى عليـــه مـن أحـل فـــؤاده
في ظل عـــرش ثـــابـت الأوتـــاد

صلى عليـــه من غَـــذاه بنعمـــة
فتضـــاعفت كتضـــاعف الأعـــداد

صلى عليـــه من كســـاه عـــوارفـــاً
واختصـــه منـــه بخير أيـــادِ[54]

ومما ينسب إليه أيضاً:

بـــدا لـك شر طـــال عنك اكتتـــامـــه
ولاح صبـــاح كنت أنـت ظـــلامـــه

فأنت حجـاب القلـب عن سر غيبـه
ولـــولاك لم يطبع عليـــه ختـــامـــه

فإن غبـت عنـــه حـلَّ فيـــه وأطنبت
على مـوكب الكشف المصـون خيـامـه

وجـــاء حـــديـث لا يمل سماعـــه
شهي إلينـــا نثـــره ونظـــامـــه

إذا سمعتـــه النفس طـــاب نعيمهـــا
وزال عن القلـب المعنى غـــرامـــه[55]

وفي هذه الفترة كـانت هناك أصوات تنادي بإعفاء النـاس من فريضـة الحج نظراً للظـروف التي كان يجتـازها الغـرب الإسلامي، ونظـراً للأخطـار التي كان يتعـرض لها الحجاج في رحلتهم إلى الأراضي المقدسة، وقد شغل هذا الموضوع أمير المسلمين علي ابن يوسف[56] والناس، وتوجهوا بأسئلتهم إلى فقهاء الأندلس، فأفتى معظمهم بأن الجهاد

(54) المقري: ن. م. جـ 7 ص 497: 499.
(55) العباس بن إبراهيم: م. س، ص 23.
(56) وكتب إليـه (أي ابن رشد) ــ رضي الله عنـه ــ أمير المسلمين ونـاصر الدين علي بن يـوسف بن تاشفين ــ أدام الله أمره وأعلى نصره ــ يسأله هل الحج أفضل لأهل الاندلس أو الجهاد؟
ونص السؤال: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، جوابك ــ رضي الله عنك ــ فيمن لم يحج من أهل الأندلس في وقتنا هذا هل الحج أفضل أم الجهاد؟ وكيف إذا كان حج حجة الفريضة؟. راجعنا في ذلك بما تراه موفقاً مأجوراً إن شاء الله.
ثم أرسل الأمير علي بن يوسف وهـو بسبتة سنة ٥١٥ هـ يسألـه عن أهل العدوة هل وضعهم مثل أهل الأندلس بالنسبة للحج أم لا؟
فكان جوابه على الرسالتين أن الجهاد أفضل.
انظر نص الأسئلة والإجابـة عليها في فتاوى ابن رشد، مسألة رقم 297 جـ 2 ص 1021، =

والـدفاع عن ثغـور المسلمين أفضل من الحج. وأن فـريضة الحج غير واجبـة على أهل الأندلس والعدوة وكـان على رأس هؤلاء قاضي الجماعة أبو الـوليد بن رشد، وابن الحاج وابن حمدين وغيرهم.

كـان ابن العريف من أنصـار هـذه الفتوى، بل كـان يـرى أن القيام ببر الأعيـان والأشراف، وخدمة الفقـراء، ومساعدة الضعفاء وقضاء حـوائجهم من الأمور المفضلة على الحج، فهـو يجيب أبا الـوليد بن المنـذر عنـدما أبـدى رغبته في الحج والسـؤال عن السفن التي تبحر من ألمريـة إلى الديـار المقدسة بقـوله: «ولكن بلغني مـا أنت عليه في موضعـك من بر الأعيـان والأشراف وإقامـات حاجات الضعـاف، وعمل منـه واحد أفضل من كثير من الحج والغزو»[57]

فإذا علمنـا أن فتوى ابن رشـد كـانت في أواخر سنـة 514هـ وبدايـة سنة 515، ورسائل ابـن العريف في الفترة مـا بين سنة 525 ـ 529هـ أي بعد أن تـدهورت الحالة الأمنية وتقطعت السبل بسبب فتنـة ابن تومـرت والموحدين، علاوة على خطـورة الطرق البحـرية لتعـرض سفن المسلمين لغـارات قراصنـة النصـارى، ولم تكن الطرق البريـة بأفضل من البحريـة، علاوة على أن الطرق إلى الديـار المقدسة بالمشرق كـانت غير آمنة لـلاضطرابـات التي كـانت تسود المشرق، لأحسسنـا بالمصـاعب والمخـاطر التي كـان يتعرض لها المسلمـون في رحلتهم سواء البحـرية أو البريـة، ومع ذلك فقد كـان بعض الناس يجازف بـالرحلة معـرضاً نفسه لـلأخطار طمعاً في أداء هـذه الفريضة المقـدسة، ورغبة في لقاء العلماء.

ونظم من لم يستطع الحج القصـائد في الحنين إلى مكـة وزيـارة قبر المصطفى عليـه أفضل السـلام، وكان البعض ينظم القصيـدة ويعطيها لمن سنحت لـه فرصـة الزيـارة ليضعها عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكـان حنين ابن العريـف الى قبر الـرسول (صلى الله عليـه وسلم) جارفـاً كلما علم

الونشريسى المعيار جـ 1 ص 432 وفيه نفس الأَسئلة الموجهة إلى ابن رشد ورأي ابن الحاج، وابن حمدين والطرطوشي والمازري وأبي بكر ابن العربي الذي كان يخالف هؤلاء الرأي في هذه النازلة.

(57) من رسالة لابن العريف إلى ابن المنذر رقم 2 [و 99].

بخروج ركب الحجيج وله في ذلك أبيات[58]:

شَدُّوا المطي[59] وقد نالوا المُنَى بِمِنَى ... وكلهم بأَلِيم الشَّوقِ قَدْ بَاحَا
سَارَتْ[60] رَكَائِبهم تندى[61] روائحها ... طِيباً بِمَا طَابَ ذَاكَ الوفْدُ أشباحا
نَسِيمُ قَبْر النبّي المُصْطَفَى لَهُمْ ... رَوْحٌ إِذَا شَرِبُوا مِنْ ذِكْرِهِ رَاحَا
يا واصلين إلى المختار من مُضَرٍ ... زرتم جُسُومَاً وزرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وعن قدر ... ومن أقام على عذر كمن راحا

(58) الأبيات من ابن خلكان وفيات الأعيان جـ 1، رقم 68 ص 168، ومن التشوف رقم 18 ص 118 ومن المقري نفح الطيب جـ 4 ص 331.
(59) من التشوف: شدوا الركاب، ومن نفح الطيب: شدوا الرحال.
(60) في نفح الطيب وفي التشوف راحت.
(61) في التشوف تبدى.

بعض تلاميذ ابن العريف

جلس ابن العريف في سرقسطة وبلنسية وألمرية إذ كان فقيهاً وراوية مجرحاً ومجوداً بارعاً، فأخذ عنه الكثير من طلبة العلم، ورَوَوْا عنه واختص البعض منهم بصحبته، ونختار من هؤلاء النفر: ابن الإقليشي[62](ت550هـ/ 1155م) وابن قرقول[63] (ت569هـ/ 1172 م) وابن المدرة[64] (ت 530هـ/ 1136م)، والأندرشي[65] (ت581هـ/ 1185م)، وابن ولّم[66] (ت557هـ/ 1161)، وابن نمارة الحجري[67] (563هـ/ 1167م)، وسعيد بن معاوية بن عبد الجبار

(62) هو أحمد بن محمد بن عيسى (أبو العباس) له رحلة إلى المشرق، توفي بصعيد مصر عند عودته سنة 550 هـ.
ابن الأبار: التكملة جـ 1 رقم 167.

(63) هو أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن باديس الوهراني توفي سنة 569 هـ بفاس.
ابن الأبار: ن. م. رقم 394.

(64) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الكتامي الأديب من ساكني قصر عبد الكريم، توفي في حدود سنة 530 هـ وقد صحب ابن العريف وروى عنه.
ابن عبد الملك: م. س. سفر 8 رقم 103 ص 309، ابن الأبار: م. س. جـ 2 رقم 1335.

(65) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري، ويعرف أيضا بابن اليتيم، وبالبلنسي توفي سنة 581هـ.
ابن الأبار: جـ 1، ن. م. رقم 221.

(66) هو أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أبي الخليل التميمي توفي سنة 557 هـ وصحب ابن العريف ومال الى طريقته.
ابن الأبار: ن. م. جـ 2، رقم 1366، ابن عبد الملك: م. س، سفر 6، رقم 348 ص 139.

(67) أبو بكر محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن نمارة صحب ابن العريف وامتحن بالسجن سنة 533 هـ، توفي سنة 563هـ.
ابن الأبار: م. س. جـ 2 رقم 1381 ص 501: 502.

الأموي[68] (ت520هـ/ 1126م)، وأبا الوليد زكريا بن عمر بن عبد الرحمن الأنصاري[69] (ت590هـ/ 1193م)، وعتيق بن مؤمن[70] (ت548هـ/ 1153م)، وابن خير الفاسي الإشبيلي وابن بشكوال وغيرهم.

---

(68) هو أبو عثمان سعيد بن معاوية بن عبد الجبار بن عباس الأموي النحوي، أخذ عن ابن العريف اللغة العربية والأشعار توفي سنة 520 هـ.
ابن بشكوال: م. س، رقم 387 ص 212.

(69) أبو الوليد زكريا بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، روى عن ابن العريف وتوفي سنة 590 هـ.
ابن الأبار: م. س. رقم 889.

(70) هو أبو بكر عتيق بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن مؤمن أخذ عن ابن العريف واختص به، وله مصنف جمع فيه كلام شيخه أبي العباس بن العريف نثراً ونظماً (وهو موضوع المخطوط الذي نحققه) وآخر جمع فيه كلام الزاهد أبي عبد الله بن يوسف السبتي بن الأبار ورسائله وحكمه، وله برنامج ضمنه رواياته، ورسالة في الفتن والأشراط توفي سنة 548 هـ.
ابن عبد الملك: م. س، سفر 5 قسم 1، رقم 242 ص 126.

علاقة ابن العريف بالمرابطين

يبدو أن علاقة ابن العريف بأمـراء المرابطين كانت طيبة فلم يهاجمهم، وإنما هاجم بعض الفقهـاء الـذين تكـالبوا على الـدنيـا وجمعـوا الثـروات، وتركـوا مصـالح النـاس وأهملوها، وكان ينصح المريديـن بتحاشي مهاجمة المرابطين أو القدح في دولتهم، وينكر على بعص المريـدين الذين سقطـوا في شرك مهاجمة الدولـة سلوكهم هـذا، ويعتبره من المنكر، بـل أشد وأدعى إلى الفتنـة، ولا يقصر في إبداء كـراهته لهذا السلـوك، فيقول في إحدى رسائلـه: «فأما الإنكار في العلانية على الحكام فإنـه من فساد سر المنكر وإعلام ركوبه للحرام والكـراهية، والمختار عند العلماء باتفاق منهـم الإمساك عما في إنكاره إياه منكراً آخر مساوياً أو أشد»(71).

كـان من الممكن الشك في سلـوك ابـن العـريف هـذا واعتبـاره مجرد تقيـة، يستتر وراءها، ولكـن تصرفات ابن العريـف ورسائله تنفي مثـل هذا الشك، فهو يـرسل إلى جماعـة من إخوانـه المريدين بقـرطبة يبين لهم أن أشـد أنواع الإنكـار، هو الإنكـار على السلطان «لأنـه حجة الله، ولا ينبغي أن ينكر عليـه شيء من قولـه أو عمله إلا بشروط منها الستر والسر والرفق والعلم الكامل، وارتفاع التهمة البتة، وسلامة النية وأن لا يراد بذلك إلا وجه الله وحده»(72).

فهو يرى أن الشخص الذي اختار طريق الزهد والتصوف، عليه ألا يشتغل بأمور الـدنيا، ولا يتطلع إلى أي خطـة من خططها مهما صغـرت أو كبرت، ويبتعد عن ذكـر أهلها بخير أو شر، ويشتغل بحـاله ونفسه عمن سواه، ويترك الإنكار على كـافة الخلق

---

(71) ابن العريف: م. س. [ط 90].
(72) ن. م. [و 73].

من الحكام أو غيرهم[73]. فالشخص الذي يتخذ من الدين ستاراً لأغراضه الدنيوية ويجعل من سيرة الحكام مطية لأغراضه، وهو لا يعلم عن حياتهم الشخصية أو حياتهم العامة أو سلوكهم شيئاً ويروح ويغدو يشيع افتراءاته، لا يصح أن يكون مسلماً حقاً، حتى ولو شهر عنه الولاية «والله لو رأيت ولياً لله يمشي على الماء أو في الهواء، أو يعطي القوة في جميع الأشياء حتى يبلغ ذروة السماء، وفهمت منه أنه يشتغل بذكر خطة من خطط الدنيا أو تتعلق بوهمه أو تتصور في فهمه ما وثقت بشيء من حاله، ولعلمت أن حقه ممزوج بمحاله»[74].

وعندما اشتدت فتنة المهدي بن تومرت، واشتعلت في أنحاء المغرب، حاول بعض المريدين الانسياق في مثل هذا التيار، لكن ابن العريف كان له موقفه الواضح حيال هذا الدعي الذي اتخذ من الدين قناعاً، ومن الزهد لباساً، يخفي به غرضه الحقيقي، وهو تقويض الدولة، فيرسل ابن العريف إلى صديقه ابن غالب رسالة يقول فيها «فإن الله أرحم بالأمة أن يفتقر سلطانها الطاهر إلى شفقة واحد بعينه ورحمته، حتى لا تصلح إلا به، لا والله بل حق من أدعى أنه زاهد في الدنيا ونصب لذلك نفسه أن يزهد في ذكرها وفي ذكر أمورها كلها، أعلاه وأدناه، وفي أهلها وفي ذكرهم بخير أو شر فيدع الكل لصاحب الكل»[75].

وإذا كان ابن العريف ومريدوه في شرق الأندلس لم يولوا لحركة المهدي بن تومرت كبير اهتمام، فإنّ المريدين في غرب الأندلس بزعامة ابن قسي كان لهم رأي آخر. فهذا الجناح كان يعتبر من أجنحة المريدين الذي يميل إلى التطرف، نتيجة تأثره بكتب الباطنية وآرائهم، خصوصاً رسائل إخوان الصفاء التي انتشرت فيما بينهم بفضل تشجيع ابن قسي على قراءتها وتطلعه ليكون مهدي الأندلس، فكان يتابع نجاح ابن تومرت في المغرب باهتمام، ومع ذلك فلم يستطع أن يؤثر التأثير الفعال الذي كان لابن تومرت الذي اعتمد على العصبيات القبلية والتنافر القبلي الذي كان موجوداً في المغرب، كما كان مجتمع عدوة المغرب وتكويناته البشرية وتقاليده وثقافته تختلف اختلافاً بيناً عن

(73) ن. م. [و 90].
(74) ن. م. [ط 33].
(75) ن.م.

الأندلس، مما ساعد على نجاح دعوة ابن تومرت الذي استغل جهل الناس، وفراغ الساحة من فقهاء يبينون كذب دعواه، وتجاهل المرابطين لأمره في بداية أمره. كل هذه الأمور لم تكن متوفرة لابن قسي، حتى أصدقاؤه من المريدين لم يقتنعوا بفكرة المهدوية. فسأل أبو الوليد بن المنذر الشيخ ابن العريف عن المهدي الذي قيل أنه يملأ الدنيا عدلاً فأجابه برسالة طويلة منها «والقدح في الدول وانتظار مهدي يصلح به لا يعتقده حصيف، ولا يظن مثله بمسلم ضعيف، بكى الناس في ملك بني أمية وظهر المهدي فإذا هو ملك بني العباس، وحين ظهر وقع الناس في الندم وبكوا على بني أمية بالدمع والدم، ورأوا في سفك الدماء وانتهاك الحرم خلاف ما ظنوا ولا يقدر قدره إلا الله تعالى، وجنح أهل إفريقية من أمراء بني العباس وتكلموا فيه حتى ذكروا المهدي فإذا هو شيعي رافضي كافر، فألزمهم الله أحكام الكفرة بتعديهم في إنكار جور الجورة»(76). وينصحه في الأخير بقوله «فكن كما انت في إكرام الكبراء، وإنعاش الفقراء، ولا تبالِ بمن عاداك ظالماً لك، فإن الله مديلك منه وعداً كان مفعولا»(77).

ربما كان تعاطف ابن العريف مع أمراء المرابطين يرجع إلى اكتشاف حالهم، عندما مارس عمله كمحتسب وعاين سلوك هؤلاء الأمراء وإحساسه الدائم بخطر القيام على أولي الأمر، واشتعال فتنة تأتي على تضامن المسلمين في مواجهة الأخطار المحدقة بهم، وتحرش النصارى المستمر وهجومهم على المدن الإسلامية، فوجد أن الأفضل للمسلمين الدعوة للجهاد وانشغال كل شخص بنفسه.

---

(76) ن. م. [ط 99].

(77) ن. م. [و 100].

أحدثت شهرة ابن العريف وإقبال النـاس عليه غيرة بعض فقهاء ألمرية، خصوصاً قاضي قضاة الشرق أبي بكر محمد بن أسود[78]، الذي أثارته آراء ابن العريف في الفقهاء والقضاة الذين انشغلوا عن مصـالح المسلمين بكنز الأموال، وسماهم «علماء أهل السوء وكبراء أهل الـدنيـا المغـرورين». وأحس ابن أسـود أن ابن العـريف يلمـزهم بهذه العبارات، وحسد ابن العريف على حب الناس لـه، وقصدهم إياه لقضاء حوائجهم، وألفتهم واستئناسهم به لطبيعته السمحة المتواضعة، وقد وصفه ابن بشكوال بأنه:

«كان متناهياً في الفضل والدين منقطعاً إلى الخير، وكان العباد وأهل الزهد في الدنيا يقصدونه ويألفونه فيحمـدون صحبته». وقال عنه ابن مسدي[79]: «ابن العريف ممن ضرب عليه الكمال رواق التعـريف، فأشرقت بأضرابه البـلاد وشرقت به جماعـة الحساد حتى سَعَوْا بـه إلى سلطان عصره، وخوفوه عـاقبة أمره لاشتمال القلوب عليـه، وانضواء الغرباء إليه»[80].

وهناك حادث ذكـر في روض الرياحين (الحكاية التسعـون بعد الأربعمائة) يبدو أن

---

(78) ترجمة القاضي أبو بكر محمد بن أسود في ابن الأبار: المعجم رقم 116، ص 126.
ابن بشكوال: م. س. جـ 1 رقم 176، ص 83.

(79) هو الحافظ أبو بكـر جمال الدين بن مسدي ويقال أبـو المكارم بن أبي احمد يوسف بن موسى بن مسدي الأندلسي شيخ السنة وحامل رايتها، له مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتأخرين وكان يكتب بـالقلمين المغربي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هـذا يعد نادراً توفي شهيداً سنة 366 هـ بمكة ومولده سنة 598 هـ.
المقري: نفح الطيب، جـ 2 رقم 219 ص 594 وترجمته في شذرات الذهب جـ 5 ص 313، تذكرة الحفاظ 1448.

(80) الذهبي: سير النبلاء جـ 20 رقم 68.

لابن أسـود دوراً فيه، ويبـدو أنه هـو الـذي أرسل إلى ابن العريف بهذا الـرجل، أو أن السلطة المرابطيـة تكون دست هـذا الشخص للتأكد من نـوايا ابن العـريف. والقصة تقول: «عن الشيخ أحمد بن العريف ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنت يوماً قاعداً وإذا برجـل غريب قد دخـل علي المسجد وقال: يـا سيدي أنت أحمد بن العـريف؟ قلت: نعم. قال: رأى راء البارحة رؤيا، قلت: قل. فقـال: كأنه يرى فساطيط صغاراً حول العرش وعليهن فسطـاط عظيم قد اكتنف الجميع، فقال: لمن هـذا الفسطاط؟ فقيل: للفقيه أحمد بن العريف، فقال: وهذه الصغـار؟ فقيل: لإصحابه. قال ابن العريف ـ رضي الله تعالى عنه ـ: فتغيرت عليه وقلت له: ما حملك على إتيانك بمثل هـذه الرؤيا لرجل مـذنب مثلي؟ فلما رأى تغيري قال: هـون على نفسك أيها الشيخ، فلعلك قنعت بيسير الرزق من الله تعالى، فقنع منك بيسير من العمـل. قال: ثم التفت إليه فلم أره، فقلت لأصحابي: هذا أتاكم يعرفكم فقركم»[81].

ربما كان ابن العـريف تحت المراقبة من السلطة الحاكمة، خصـوصاً في هذه الفترة التي خضع فيهـا معظم المتصـوفـة لعيـون الـدولـة، بعـد أن كثر تخليط البعض منهم خصوصاً جماعة ابن قسي الذي حاول التشبه بمهدي الموحدين بعد نجاح دعوته. يقول ابن الخطيب: «فكثر جمعهم ووقع الحديث بهم، وحذروا صـاحب الدولة»[82]. لذلك كانت الفرصة مواتية للقاضي ابن أسود للتخلص من ابن العريف، والإيقاع به، فأعلن إنكـار مذهبـه مع جماعـة من الفقهـاء الموالين له، وسعـوا بـه إلى أمير المسلمين علي بن يوسف وحـذروه من جانبه، ولم يكفه ذلك بـل سافر إلى مراكش ونجح في مقـابلة أمير المسلمين وأوغـر صـدره على ابن العريـف، وحرضـه على سجنـه «وخـوفـه منه غـايـة التخويف»[83].

لم يقنع قاضي قضـاة الشرق ابن أسود بـذهابه إلى مـراكش وتحريض الأمير علي بن يـوسف ضد ابن العـريف ولم ينتظر رده وأوامـره في حق ابن العريف، بل أسرع بمجـرد عودتـه إلى مقابلة أمير ألمرية ونجح في اقنـاعه بالقبض على ابن العريف و إشخـاصه إلى

(81) العباس بن إبراهيم: م. س. جـ 2 ص 20.
(82) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 249.
(83) ابن الأبار: المعجم، رقم 14، ص 19.

مراكش مع الذين صدر الأمر بتغريبهم إليها، وهما الشيخ الإمام أبُو الحكم بن برجان الذي أزعج من إشبيلية وأبو بكر الميورقي الذي رُحِّل من غرناطة، وزيادة في الحيطة نصح العامل بتقييد ابن العريف وتكبيله حتى لا يتمكن من الهرب[84].

غير أن الأمير علي بن يوسف عندما أخبر بإشخاص ابن العريف مكبلاً مع رفيقيه ابن برجان والميورقي، غضب وأمر بإطلاق سراح ابن العريف وحسن معاملته، فلما وصل ابن العريف إلى سبتة، وافاه رسول أمير المسلمين بالأمان وأمر بحل قيوده وتسريحه وإكرام وفادته واعتذر له عما أصابه، إذ كان الأمير علي بن يوسف يجِلُّ ابن العريف ويقدر فضله وصلاحه، وهذا ما جعل ابن العريف يقرر الذهاب إلى مراكش لرؤية الأمير علي بن يوسف الذي أقبل عليه وأحسن استقباله، وأبان حقه وأكرمه وسأله عن حاجاته، ولم يكن لابن العريف من مطالب سوى تركه لشأنه وحرية حركته وتنقله، فأجيب إلى ذلك[85].

إلا أن القاضي ابن أسود ازداد حقداً لما ناله ابن العريف من حظوة لدى أمير المسلمين بعدما خاب مسعاه في الإيقاع بهذا الرجل الصالح فقيل أنه تحيل حتى تمكن من وضع السم له في طعام أكله فمات في صفر 536هـ (أكتوبر 1141م) ولم تكن إقامة ابن العريف قد تجاوزت بضعة شهور، وقد احتفل الناس لحضور جنازته ودفن بمراكش وظهرت له كرامات[86].

لم يسكت الأمير علي بن يوسف عندما علم بوفاة ابن العريف وصار يبحث عن أصل ذلك وسببه، إلى أن أُنهي إليه خبر القاضي ابن أسود وما فعله لابن العريف، فأمر بتغريبه إلى السوس مقيداً، وقيل أنه أوعز بقتله بالطريقة التي قتل بها ابن العريف[87].

وقبر ابن العريف يُزار ، وقد أشار المقري[88] إلى أنه زار قبره في سنة 1010هـ، وذكر

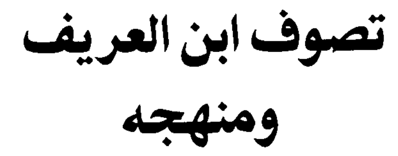
---

(84) انظر عن ذلك بالتفصيل في كتابنا نهاية المرابطين الباب الخاص بثورة المريدين.
(85) ن. م. والمصادر التي اعتمدت عليها.
(86) التادلي: م. س.
(87) ن. م.
(88) المقري: م. س. جـ 4 ص 331.

القاضي العباس بن إبراهيم[89] أن قبر ابن العريف «يتبرك به في تلك الديار ويستسقى به الغيث». وجدد مقامه القائد عبد الله بن بيه الحيحي سنة 1286/ وصرف على تجديده مالاً كثيراً ومات بعد تجديده بعام فدفن خلف مقام ابن العريف، كما دفن بجوار قبر ابن العريف[90] الصوفي أبو العباس العطار الزاهد المتوفى سنة 1105هـ[91].

(89) ابن إبراهيم: م. س. ص 13.
(90)، (91) ن. م.




تصوف ابن العريف
ومنهجه



تتضمن الحياة الروحيـة في التصوف نوعين من المعرفة، أحدهـا يتكون من الحقائق العقائديـة وقواعد الأخلاق الـدينية التي تعلم النفس المعايير التي يجب عليهـا اعتقاده وعمله لعبـادة الله وبلوغ السعادة، والثـاني يتكون من مجموع التجـارب التي تصل إليها النفس بنور الإيمان تبعاً لمقاماتها في المعرفة وهي بسبيل عبادة الله سبحانه، أي أنه يتألف من الأفكـار والعـواطف والانفعـالات الـدينيـة التي هي في آن واحـد علل ومعلـولات لفضائل. أما الزهد فهو علم عملي وفـن لعبادة الله ومنهج في الحياة وأداة ومرحلة تؤدي إلى التصوف، وَأمـا التصوف فهـو معرفة تجريبيـة وذوق لأحوال المعرفـة التي تولـدها في النفس المجاهدات الزهدية.

ويكتب ابن العـريف خصوصـاً للمؤمنين الـورعين الذين كـرسوا أنفسهم للحيـاة الروحية، لا لجمهـور المؤمنين العاديين، لذلك يفترض مقدماً أن أولئك يعرفـون قواعد السلـوك والأخلاق التي ذكـرها الغـزالي في كتـاب الإحياء، والمحـاسبي، والقشيري في رسالتـه، وأبو طـالب المكي في كتاب قوت القلـوب، وعوارف العـوارف للسهروردي، وكتاب يمن بن رزق.

كما يهتم بعامة المسلمين سـواء المسلم العادي، أو الذي يتولى وظيفـة ما، فيبين ما يلزم كل هؤلاء في سلوكياتهم الشخصية والعامة الظاهرة منها والباطنة حتى تستقيم أمور المسلمين.

ولا بد للمتصوفين من قطب يكون المدار عليه في كل مرحلة من سلوك المتصوف في التوكل والمحبة والمعـرفة وسائر المقامات والأحـوال، «لا بد في كل صنف من أربابها من قطب يدور عليه ذلك المقام»[1].

(1) ابن عربي: الفتوحات المكية جـ 4، ص 95.

لا نعـرف بالضبط الـوقت الذي انخـرط فيه ابن العـريف في سلك المتصوفـة، أو الطريق الذي سلكه، وعلى يد مَنْ مِنَ الشيوخ أخذ عنهم المقامات كما فعل ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية. ويبدو أن ابن العريف عمل على تكوين روحه منذ شبابه المبكر قبل سنة 500هـ/ 1106م، فقد ذكـر ابن مسدي أن ابن العـريف اختص بصحبة أبي عمـر أحمد بن اليُمْنَـالش[2] (ت496هـ/ 1102م)، وأبي بكـر عبـد البـاقي بن بريال[3](ت502هـ/ 1108) آخـر أصحـاب أبي عمـر الطلمنكي[4] وفـاة (ت429هـ/ 1037م)، كما صحب أبـا عبـد الله ابن الفـراء[5] (ت514هـ/ 1120م) وتأثر بأبي علي الصدفي[6] (ت514هـ/ 1120) في طريقة تـدريسه وزهده. معنى ذلك أن ابن العـريف انخرط في طـريق القوم في سن مبكـرة، أي في مرحلة الصبـا، وقبل أن يبلغ الخامسة عشر من عمـره. ففي هذه المرحلة من حياته لازم عـدداً من شيوخ العلم الذين اتصفوا بالزهد وبالمواقف الخاصة ممـا أثر على تكوينه وسلوكه الخاص وطريقته في التصوف.

اجتهـد ابن العريف في هـذه السن المبكـرة في سلوك طـريق القـوم، وأتم تكوينـه الصـوفي تحت إشراف هؤلاء الشيـوخ حتى أن ابن بريـال ألبسه الخرقـة[7]، وألبس ابن

---

(2) هو أحمد بن مروان بن قيصر الأموي يكنى أبا عمر من أهل ألمريـة، فاق في الزهد والورع أهل وقته وكان العمل أملك به وتوفي في صفر 496هـ ومولده 413 هـ.
ابن بشكوال: م. س. جـ1، رقم 156، ص 74.

(3) هو عبد البـاقي بن محمد بن سعيد بن أصبغ بن بريـال الأنصاري من أهل وادي الحجارة، سكن في آخر عمره مدينة ألمرية وتوفي سنة 502هـ.
ابن بشكوال: ن. م، جـ1، رقم 825، ص 366.

(4) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى بن لب بن قرلمان المقرىء الطلمنكي له رحلة إلى المشرق وأخذ عـن علماء القيروان ومصر ومكة والمدينة ورجع إلى الأنـدلس بعلم كثير ولـد سنة 340 وتوفي 429هـ.
ابن بشكوال: ن. م، جـ1، رقم 92 ص 49.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكـريا من أهل ألمرية وقاضيها، وكان رجلاً صالحاً ديناً، وهو الذي أفتى بعدم شرعية ضريبة المعونة للأمير يوسف بن تاشفين التي أفتى بها بعض فقهاء الأندلس، وقد استشهد في غزوة قتندة في ربيع الأول سنة 514 هـ.

(6) سبقت ترجمته.

(7) سبقت ترجمته في شيوخ ابن العريف.

العريف الخرقة لتلميذه أبي العباس الأندرشي أحد مريديه وَمِمَّن أخذ عنه[8].

والخرقة كما عـرفها الصوفي الكبير ابن عـربي أنها في الأندلس كـانت تعني الصحبة والأدب والتخلق، ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن يوجد صحبـة وأدب، وهو المعبر عنه بلباس التقوى، فجرت عـادة أصحاب الأحوال، إذا رأوا واحداً من أصحـابهم عنده نقص في أمر مـا، وأرادوا أن يكملوا له حالـه اتحد به هذا الشيخ فإذا اتحد به أخـذ ذلك الثوب الذي عليه في ذلك الحال، ونزعـه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حـاله ويضمه، فيسري فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك الأمر، فذلك هو اللباس المعروف في الأندلس «والمنقول عن المحققين من شيوخنا»[9].

بينما في المشرق تعني ما يلبســه المريد من شيخه الذي يدخـل في إرادته ويتوب على يده لأمور منها التزيي بزي المراد، ليلتبس باطنه بصفاته، كما تلبس ظاهره بلباسه، وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً، ومنها وصـول بركة الشيخ الذي لبسه من يده المباركة، كما عرفها القاشاني في كتابه إصطلاحات الصوفية[10].

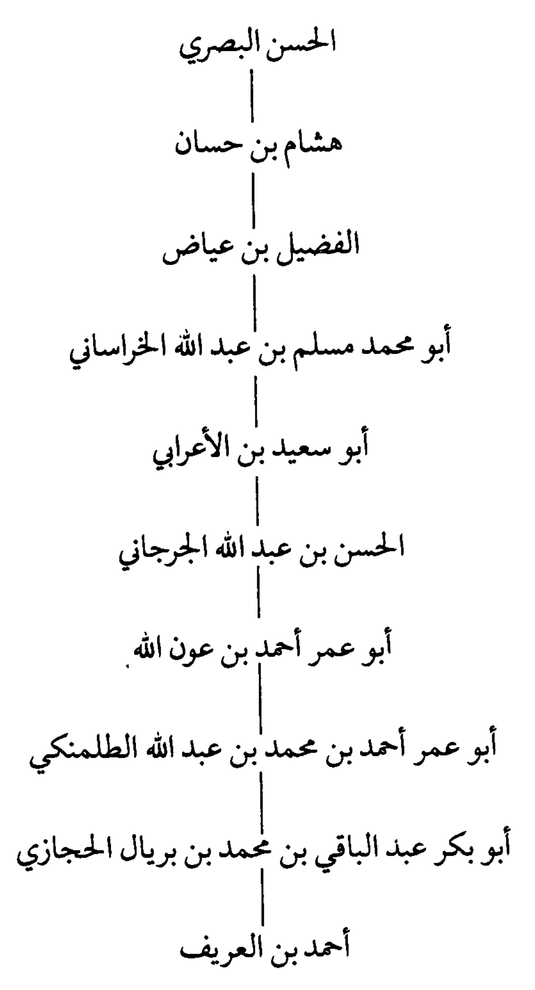
---

(8) الذهبي: م. س.

(9) ابن عربي: الفتوحات المكية، جـ 1، ص242.

(10) الذهبي: سير النبلاء، جـ 2، ص 113، هامش 2.

سند ابن العريف في التصوف[11]



لقد كان لابن العريف طريقته المميزة في التصوف، فكان ملتزماً بمذهب أهل السنة والجماعة، ويرجع ذلك إلى تأثره بالشيوخ الذين أخذ عنهم، فلم يجنح إلى التصوف الإشراقي، وإنما كان معتدلاً في أفكاره، وضمَّن ابن العريف في كتابه محاسن المجالس الطريق للسالكين حتى «يُسَهِّل على المريد صعوبة الطريق، وتُشَيِّد للمراد دعائم صدقه وتحقيقه، وتُحمل سامعها على ارتكاب الأشَد في تحري الأَسدِّ [12]، كما بين

(11) العباس بن إبراهيم: م. س، جـ 2، ص 19.

(12) ابن العريف: محاسن المجالس، ص 75 وقد بين منازل الصوفية في عشرة منازل كما ذكرها في مفتاح السعادة وهي لا تختلف كثيراً عما جاء في محاسن المجالس.

منازل الصوفية أو مقاماتهم، وكان متأثراً بنفس المقامات التي ذكرها الغزالي في الإحياء، وبين مفهوم كل منها عند العامة وعند الخواص (أهل الطريق).

تجنب ابن العريف استعمال مصطلح الشوق واعتبره من منازل العوام، «إذ الشوق هو هبوب القلب إلى تمني غائب يحضر، وإعواز الصبر عن فقده، وارتياح السر إلى طلبه، وهو من أضعف منازل القوم. أما الخواص فهو عندهم علة عظيمة، لأن الشوق إنما يكون إلى غائب ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة». ويضيف في مكان آخر «ولم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة لأن الشوق مخبر عن بعد ومشير إلى غائب، وتطلع إلى مدرك[13]، قال تعالى: ﴿وهو مَعَكُم أينما كُنتُم﴾»[14]

فابن العريف لم يستعمل اصطلاح الشوق أو العشق الذي كان منتشراً بين المتصوفة وأنكره الفقهاء واعتبروه لا يليق ولا يجوز استعمال مثل هذه الألفاظ التي تتنافى مع الشريعة، وكان القاضي أبو بكر بن العربي ممن تصدى لهذا، واعتبره قاصمة، ولم يسلم شيخه الغزالي من نقده لاستعماله مثل هذه الألفاظ والأحاديث الضعيفة وبنى العشق على المحبة وملأ به كتابه الإحياء، المنتشر بين المتصوفة يحفظونه ويعتبرونه دستوراً لهم، فبين أن هذه الألفاظ لم ترد في الشريعة ولا أساس لها فيها. يقول ابن العربي «وللصوفية في إطلاق العشق على الله تجاوز عظيم واعتداء كبير، ولولا إطلاقه تعالى المحبة ما أطلقناها، فكيف نتعداها إلى سواها من ألفاظ المجان، وليس له أصل في الشريعة»[15].

استعمل ابن العريف اصطلاح المحبة واعتبره أول أودية الفناء في محبة الحق سبحانه، فالمحبة وجود تعظيم في القلب يمنع صاحبه من الانقياد لغير محبوبه، وهي «القيام بين يديه وأنت قاعد، ومفارقة المضجع وأنت راقد، والسكوت وأنت ناطق، ومفارقة المألوف وأنت مستوطن». ومن أوصاف المحبة الستر والإخفاء وعدم بسط اللسان بالعبارة عنها، والكشف عن سرها، فالمحبة الصادقة لا تظهر على المحب بلفظه

---

(13) ابن العريف ن. م، ص 94.
(14) سورة الحديد، آية 4.
(15) ابن العربي: سراج المريدين، ورقة 106.

وإنما تظهر بشمائله ولحظه، ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع امتزاج أسرار القلوب[16].

وابن العريف لا يقول بالحلول والإتحاد، ويعتبر الأحوال والهمم الناتجة عن المريد الذي يعاند عقله غير ذات فائدة، بل يعتبرها ضارة، لأنه عبر هذه الأعمال والأحوال يسعى إلى مقام الفناء في الله الممتنع عبر تجليه وتعاليه عن كل مخلوق، وفوق ذلك فإن الذي يصل إلى مقام الفناء في الله لا إرادة له ولا رجاء ولا شوق للتطلع إلى ما بين يديه[17].

ويرى ابن العريف أن التقوى والعلم يشتركان في كونهما عملين من أعمال القلوب، والتقوى تزيد على العلم بظاهر الأعمال الصادرة عن الجوارح، فالتقوى مأخوذة من الوقاية، ويقتضي ذلك أن يتقي الإنسان ربه بقلبه أي معرفته له، كي تظهر أو تصدر أعمال الجوارح التي تقيم الموانع والسدود. فوقاية العلم أو المعرفة سابقة لوقاية العمل، فإذا ما نقص العمل، فما ذاك إلا دليلاً على نقصان العلم وضعف المعرفة. وذكر أن مبدأ الخيرات كلها العلم، والعلم مفتاحه السؤال، ولا يتم السؤال إلا بمعرفة حقائقه والعمل بحسبهما، والمقصود عند أهل الحقائق أن لا يتحرك العبد حركة وإن دقت، ولا يدع حركة وإن دقت، إلا بعلم حق، ليكون عمله كله حقاً ظاهراً كان أو باطناً. ولا ينكر على أحد من خلق الله في عمل من أعمال الإسلام أنه فيه على غير استقامة، أو يظن بأحد رياء مالم يستند على دليل من الأدلة الصحيحة التي يكون العمل بها حقاً وعلماً صحيحاً، «ومن تحقق السؤال وصل إلى العلم، ومن وصل إلى العلم بحقيقة العلم وقع في طريق الإرادة[18]، ولا ينبغي أن يعول من الأمور كلها إلا ما نطق به الكتاب والسنة الماضية، والإجماع المعصوم، والعلم الواضح، والعلماء المقبولون»[19].

تتفق آراء ابن العريف هنا في كثير مع آراء ومواقف القاضي أبي بكر بن العربي، الذي كان يرى أن العلم أصل للعمل، والمعرفة أساس بناء السلوك، لأن العمل مرتبط

(16) ابن العريف: محاسن المجالس، ص 90.
(17) ن. م، ص 88، طريق السعادة [و 40].
(18) ابن العريف: طريق السعادة [و 10].
(19) ابن العريف: ن. م [و 35].

بالقصد، والقصد مرتبط بالعلم، والدوام على العمل يرجع إلى دوام العلم. فالعلم والعمل متلازمان، فإذا علم الإنسان ولم يعمل، أوشك علمه على الذهاب والزوال أو الضعف، فالعبد إذا واظب على الطاعة ونبذ المعاصي، لم يكن ذلك باستمرار علمه، واستدامة نيته، فإن العمل بالقصد، والقصد يرتبط بالعلم، فإنهما أخوان، فإذا دام العمل الصالح، دل على دوام العلم، وإذا علم ولم يعمل أوشك أن يذهب العلم ويكون نقصان العمل علامة على نقصان العلم أو ذهابه، وأن التقوى والعلم جميعاً من جملة الأعمال وكلاهما من الأعمال القلبية، وتنفرد التقوى بقسم منها، وهو من عمل الجوارح، وهي مأخوذة من الوقاية، وهي الحجاب الموضوع دون المكروه، فإذا اتقيت الله بقلبك أولاً كما يجب، كان ذلك تعليماً منه لك بوضع الحجب التي تقيك عذابه، ووقاية العلم به للعذاب وقاية العمل له للعذاب، فإذا أنقص العمل، كان لنقصان العلم. وضرب ابن العربي مثلاً بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» أي لا يقدم على الزنا إلا بعد فوات جزء من العلم ونقصه[20].

وبين ابن العريف أن العلوم أربعة:

علم في لسان، وعموم الخلق أولى به من خصوصهم.

علم في عقل، وأحوال صاحبه تتشابه.

وعلم في قلب، وخصوص الخلق أولى به من عمومهم.

وعلم في سر، وصاحبه صاحب شر أو بر[21].

ولا بد لطالب العلم الحقيقي من ثلاثة أشياء: أحدهما: معرفة الإنصاف ولزومه بالأوصاف، والثاني: تمييز وجه السؤال وتجريده من عموم جهات الإشكال، والثالث: تحقيق الفرق بين الخلاف والاختلاف.

وحصر أسباب الخلاف في الشرائع والعلوم في عشرة وهي:

- **القياس المعارض** للحقائق والأصول.
- **الظاهر المناقض** للأوصاف المتعارض الأطراف.

(20) ابن العربي: م. س. ص 21، 22.

(21) ابن العريف: م. س، [و 17].

ـ **التقليد** على حكم العصبية .

ـ **المصلحة الفلسفية** التي عمادها ونهايتها السلامة الدنيوية .

ـ **التكلف** وهو التصدي للعلم أو العمل قبل تحصيل شروطه وآلاته .

ـ **التأويل الباطني** وهو إضافة المعنى إلى ما لا يصبح له حكماً ولا حكمة .

الاستبداد وهو الاكتفاء بالنفس قبل تحقيق درجة الإمامة في المتوجه إليه من علم وعمل .

التلاعب وهو التعويل على الرخص والاعتماد على المترخصين من غير عناية بحقائق العلم ولا بحقائق الورع .

العجلة وهو الاكتفاء بأوائل الأدلة ومبادئها دون غايتها ومناهيها .

الإبطاء وهو طلب الزيادة على المقدار الواجب في تصحيح كيفيات الأعمال وترجيح وجوه أدلة العلوم[22] .

ويجب أن يتحاشى المذاهب الستة المذمومة التي أنكرها الدين واعتبرها من السموم القاتلة ، ولا بد لطالب العلم من معرفتها والقدرة على تمييزها وهي :

ـ **مذهب التقليد المذموم** بألسنة العلماء المشابه للقدوة والاتباع وليس به ، والمقلد هو الذي إذا نزلت به نازلة فزع قصداً وعمداً إلى غير الأشهر والأبين في الدنيا في علم تلك النازلة .

ـ **مذهب القياس المذموم** بألسنة الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم ، المشابه لآراء الفقهاء وقياسهم في فقههم وليس به ، وهو تأويل الصورة بالصورة ، والظاهر بالظاهر قصداً وعمداً دون مبالاة أو التفات إلى الحقيقة ، وضرب مثلاً : أن يقول الراكب للماشي سلم علي مبتدئاً لأني بمنزلة القاعد على مكان عال .

ـ **مذهب التكلف** وهو الذي حرمه الله ، وأمر رسوله عليه السلام أن يتبرأ منه ، وهو أن يتصدى العبد إلى ما ليس بأهله من السؤال والجواب ، أو الدليل والاستدلال أو غير ذلك من الأعمال ، ويستغني بنفسه وعقله ورأيه عن الأئمة الذين هم في تلك النازلة أئمة العلم والعمل .

---

(22) ن . م [و 14] .

ـ **مذهب الفلسفة** وهو الذي يشابه مذهب العقلاء بالحقيقة وليس به، وهو العمل بتقديم الأصلح في الدنيا على الأصلح في الدين قصداً وعمداً.

ـ **مذهب الظاهرية** يشابـه مذهب رواة الحديث والفقهاء وليس بـه وهو العمل بما سبق من مظاهر الأمر من مسموع آية أو حديث أو مسألة أو غير ذلك، من غير التفات إلى ذلك السـابق وتمحيصـه بشواهـد الأصـول ليتميز الـرأي الصحيح من غيره، وهـو الظاهر غير المشهود له، المصمم عليه والمجهول، ولا قدوة لأهل الظاهر فيه إلا الخوارج في زمن الصحـابة، وأهل النفـاق في وقت الرسـالة، وابن العـريف كان يكـره المذهب الظاهري ويحمل على داوود بن علي، وابن حزم ومن تبعهم.

ـ **مـذهب العبث** الذي نبـه عليه القـرآن الكريم، وهـو أن يعمل العامـل أو يقول القائل لا عن رأي صحيح وأصل ثابت، وقاعدة من النية والحال الحاضر[23].

ولا يهتم ابن العريف فقط بـالسالكين، ولكنه يهتم أيضاً بتكويـن المسلم وتربيته، فيؤكـد أنه لا بد لكل مسلم من الأخـذ بالأصول الستة المجمع عليهـا، وهي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما ثبت عن الصـالحين من أهل كل وقت، وما ثبت عن أئمة الفقهـاء وأهل الاجتهاد والبصائر في الدين، وإجماع المسلمين الثابت كونه إجماعاً، والنظر الصحيح وهو ما كان مستنبطاً من هذه الأمور الستة[24].

يوجه ابن العريف عناية كبيرة إلى الإنسـان المسلم وسلوكه، لأنه أساس المجتمع، إذا صلح صلح المجتمع، فيبين لـه الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها، بأن يتطهـر من المحظور والمكروه ومن الشبهات، وذلك بتطهير قلبه وسمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وبشرته، ولا يتم ذلك إلا بالإيمان بـالله ورسوله عليه السلام، وبكل مـا جاء به، ويقيم الصلاة بأعمالها وشروطها، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والتوبة.

أما من أراد أن يسلك طريق القوم فعليه أن يأخذ على نفسه ميثاقاً بأن يقوم بأفضل ما قـدر عليه وأشـده، ويدع كل حق لـه عند غيره، ويؤدي إلى كل ذي حـق حقه من

---

(23) ن.م [ط 14: ط 16].

(24) ن.م [ط 8].

مسلم أو ذمي، ويحسن كل عمل يقوم بأدائه، بالإضافة إلى الأعمال الظاهرة التي يقوم بها من صلاة وصيام وصمت.

- أن يترك الإعجاب بصفات النفس وأعمالها، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق التواضع والعمل عليها.

- يحذر الرياء، ولا يتحقق هذا إلا بمعرفة حقائق الإخلاص والعمل وألا يظن بأحد رياء ولا في عمل من أعمال الإسلام أنه فيه على غير استقامة.

- ترك الحسد، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق النعمة والطلب لها، وحقائق النقمة والفرار منها.

- ألا يقول عن نفسه «أنا من أهل المعاصي والتخليط» دون أن يأتي بالدليل القاطع على نفسه، وألا يظن أنه تائب دون أن يدلل على ذلك بالعلم.

- ألا يعمل عملاً من بكاء أو قيام من ليل، أو صيام أو غير ذلك على غير مقصود صحيح وإلا اعتبر مغتراً[25].

ويلزمه الإخلاص والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فالطريق إلى الجنة شاق ويحتاج إلى كثير من المجاهدة والعبادة، واحتمال البلاء والصبر «فإن بلاياه من عطاياه» والبلاء نوعان: بلاء يحول بين الإنسان وبين الشر، وبلاء يحول بينه وبين الخير، وأن يعنى بالخلوة وهي مفارقة الخلق دون إضرار بأحد، أو إضرار بحق من حقوق الله، أو حقوق الخلق، ويلزمه في الخلوة العبادة وقراءة القرآن والتفكير في علم الحقيقة أو النظر في كتاب علم[26].

كما يجب على سالك الطريق أن يوفق بين مشاغله الدنيوية والأخروية، فلا يعمل إلا بمشاورة مسلم يجد في رأيه بركة، ويشير عليه بما يحبِّبه إلى أهل السموات والأرض، ويحقق حاله في محمود الظاهر والباطن، ويتكل على الله وحده، ويلتزم حرفة أو عملاً لا يشغله عن عبادة الله، ولا يعوزه لأحد، وأن يجانب القرناء برفق ويلتزم بالعمل فيما

(25) ن. م [و، ط 9].

(26) ن. م [و 12، ط 26].

ينفعه وينفع أهلـه، مجانبة حـريص عليهم في الظاهـر، وأن ينتظر الموت مـراراً في اليوم والشهر، وألا يفارق صلاة الجماعة إلا أن يحال بينه وبينها، ويصلي صلاة الجمعة خلف كل من قدمه الإمام براً كان أو فاجراً وحسابه على الله(27).

والصوم تطيب به القلوب فعليـه به، وأن يمسك لسانه ويتعلم الصمت، صمت اللسان الاّ عن فـرض، وصمت الجوارح إلا عن عمل إجماعـاً، وصمت القلوب عما لا يرضي، وأن يسترضي عامة الخلق في عامة أحواله، ويؤدي إلى كل مظلوم حقه باسترضاء كافة الخلق من صالح وطالح ممن غضب عليه يوماً، ولا يسترضي بالقول وحده، ولكن بالقول والعمل والنية الصادقة في كل أعمال البر(28).

وتحدث ابن العـريف عن الصـديق والشروط التي يجب أن تتـوفـر فيـه، وبين أن الصديق هو الذي ينفع ويفيد في كل شيء من دين ودنيا(29).

أما من رأى منكراً بيّنـاً فعليه بخاصة نفسه، فإن المشغول بعين الفـريضة من حال نفسه، وإن كان عالماً أو حـاكماً لا يجب عليه ذلك فكيف بمن ليس بعالم ولا حاكم ولا صـديق ولا رفيق! فيتعين تغيير المنكـر على الحاكم بـالشرط، وعلى العلماء بـالنصيحـة والتبيين، وعلى الأصدقاء بالرفق والنصيحة(30).

يجب على المسلم أن يرعى حقـوق الحكام ثم حقوق الفقهاء، ثم حقـوق المنسوبين إلى الستر والصيانة، وحذر من الإنكار على السلطان لأنه حجة الله، ولا ينبغي أن ينكر عليه شيء من قوله أو عملـه إلا بشروط: منها الستر، والسر، والرفق، والعلم الكامل، وارتفاع التهمة تماماً، وسلامة النية، وأن لا يراد بذلك إلا وجه الله وحده، يشهد بذلك الأحوال من الناصح والسلطان والـوقت، كما لا يجوز إنكار الأدنى على من فوقه في علم أو حال وإن كان ولده أو خادمه(31).

كان ابن العريف يحذر أصحـابه ومريديه من التأويـل، فمن تأول شيئاً من الدين

(27) ن. م [و، ط 71].
(28) ن. م [ط 72].
(29) ن. م [ط 18].
(30) ن. م [و 73].
(31) ن. م [و 73].

تأويلاً يؤدي إلى العمل بأدون الوجهين فهو الظاهري، ومن تأول في شيء من الدين تأويلاً خارجاً عن حكم ذلك الشيء وحكمته والمعروف المشهور من أمره فهو الباطني، والظاهري والباطني كلاهما تالف.

وحصر الأصول بالنسبة للمريد في أربعة هي:

عيش لمعاملة النفس.

عقل لمعاملة الخلق.

علم لمرافقة القلب.

عبودية لمرافقة الرب[32].

ويهتم ابن العريف اهتماماً خاصاً بفقهاء ذلك الوقت، خصوصاً المفتين منهم، ويبين أنه لا بد للمفتي من الالتزام بالورع وخشية الله، والمفتي الورع هو الذي يفتي بما يستطيعه المستفتي، بل حسن للسائل إذا سمع الفتوى بما يشغل خاطره، عليه أن يعمل بأكثر منها، حتى تبرء ذمته ويحصل يقينه، أما إذا كان الأمر خاصاً بالمفتي فعليه أن يأخذ نفسه بالأصعب والأشد، فيجتنب بذلك الزلل، ويتيقن براءة ذمته، وهذا هو الجمع بين الفقه والورع في حق المفتي والمستفتي، «ولا يحصل اليقين في الدين للعمال في براءة الذمم إلا بجمع الورع والفقه وقد اقتصر أكثر الخلق على الفقه ولا ورع، فبطل اليقين، وضعف الدين بذلك». والورع ملاك الدين الحارس لأهل الإيمان من مقاربة حمى الله وحدوده التي أخبر بها الشرع[33].

وهاجم ابن العريف العمال والفقهاء الذين يمارسون الفقه بلا ورع، والذين انشغلوا عن مصالح الناس بكنز الأموال، وأهملوا أمور العباد، وتصامموا عن سماع شكاوى المظلومين وسماهم «علماء أهل السوء وكبراء الدنيا المغرورين»[34].

وكان المريدون يجتمعون في بعض الأيام أو في المناسبات الدينية في حلقات للذكر وقراءة القرآن، والتذاكر في شؤونهم، فنصح ابن العريف أن تكون هذه الحلقات جادة

---

(32) ن. م [و 27].

(33) ابن العريف، م. س [و، ط 9].

(34) ن. م [ط 21].

ولا يتخللها أي نوع من الدعابة أو الضحك «فإن الدعابة محرم عليها أن ترد على الأسرار الطاهرة والأسماع الظاهرة» كما يجب عدم الانشغال عن ذكر الله بشيء من مشاغل الدنيا، وأن يتفرغ المريدون لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «فإن أصدق الترتيل في تلاوة الكتاب العزيز أو ما حفظ منه» متحاشين شرود الذهن وانشغال البال عما هم فيه، فحلقة الذكر إنما هي روضة من رياض الجنة، يجب أن تصان فيها الأبصار والأسماع إلا عما هو محمود.

وإذا حدث من البعض دعابة أو ضحك فعلى الجميع أن يتذكروا في الحال الآية الكريمة ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ويرددوها ترديد بكاء وخوف وتضرع إلى الله والاستعانة به، ليطفيء نار الدعابة والضحك في أقرب وقت، «لآن الدعابة في محل الذكر أقبح الأشياء»(35).

وذكر ابن العريف أن العبد إذا أطاع الله سبحانه وتعالى ولزم خدمته، وسلك هذا الطريق في المجاهدة والعبادة والعمل عمره، كافأه الله سبحانه بأن منحه أربعين كرامة، عشرين منها في الدنيا ومثلها في الآخرة، فالتي في الدنيا هي:

- أن يذكره الله سبحانه ويثني عليه.
- أن يشكره جل جلاله.
- أن يحبه الله تعالى.
- أن يكون له وكيلاً يدبر أموره.
- أن يكون لرزقه كفيلاً.
- أن يكون له نصيراً يكفيه كل قاصد سوء.
- أن يكون له أنيساً لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والزوال.

---

(35) ن. م [ط 55].

وانظر عن العادات المتبعة وما يُنْشَد ويُقرأ في هذه الحلقات كتابنا عن الأندلس في نهاية المرابطين ص 288: 290. وفي «أضواء جديدة على المرابطين ارتسامات حول التصوف في الأندلس».

- غنى النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها .

- رفع الهمة فيترفع عن التلطخ بقاذورات الدنيا وأهلها ولا يلتفت إلى زخارفها .

- غنى القلب فيكون أغنى من كل غني في الدنيا .

- نور القلب يهتدي بنور قلبه إلى علوم وأسرار وحكم لا يهتدي إلى بعضها غيره .

- شرح الصدر فلا يضيق ذرعاً بشيء من محن الدنيا وظنون الناس ومكائدهم .

- المهابة والموقع في النفوس ، يحترمه الأخيار والأشرار.

- المحبة في قلوب الناس .

- البركة العامة في كل شيء .

- القدرة على المشي على الماء أو قطع وجه الأرض بأقل من ساعة .

- تسخير الحيوان والوحوش له .

- تسخير مفاتيح الأرض .

- القيادة والوجاهة على باب رب العزة .

- إجابة الدعوة ، فلا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .

أما كرامات الآخرة فهي :

- أن يهون الله عليه سكرات الموت .

- التثبت على المعرفة والإيمان .

- إرسال روحه بالبشر والأمان ، فلا يخاف هماً يقدم عليه في العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا .

- الخلود في الجنان .

- التحيات والبشر من ملائكة السمٰوات لروحه بالإكرام والإنعام ، ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته .

- الأمان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيأمن الهول .

- توسيع القبر وتنويره، فيكون في روضة من رياض الجنة إلى يوم القيامة .
- إيناس روحه و إكرامها .
- الحشر في عز وكرامة .
- الأمن من الأهوال يوم القيامة .
- إيتاء الكتاب باليمين .
- تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب أصلاً .
- ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن .
- ورود الحوض على النبي (صلى الله عليه وسلم) يشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً .
- جواز الصراط والنجاة من النار.
- الشفاعة في عرصات القيامة نحوا من شفاعة الأنبياء والرسل .
- ملك الأبد في الجنة .
- الرضوان الأكبر.
- لقاء رب العالمين جل جلاله بلا كيف[36].

(36) ابن العريف، محاسن المجالس ص 99 : 103 .

لا بد لسالك هذا الطريق، طريق التصوف، من شيخ أو قدوة، ليدل المريد على الطريق، ورياضة النفس، وحقيقة علوم القوم، واعتماد شيخ أو قدوة كان طريق الأوائل، ويظهر هذا في كتب مصنفيهم أمثال الحارث المحاسبي، وأبي طالب المكي وغيرهما، خصوصاً في كتاب أبي طالب «قوت القلوب». وابن العريف كان يؤكد على دور الشيخ في حياة المريد وأهميته في كل منزلة من منازل التصوف، حتى لا يضل المريد ويسلك طريقاً فيه هلاكه، ولا يمكن للمريد أن يصل اعتماداً على نفسه أو على قراءته. يقول ابن العريف «فمن استغنى عن القدوة فتركها فقد العلم ومن فقد العلم، فقد الدلالات، ومن فقد الدلالات تحير فتخلّف وسلك بنفسه، ومن سلك بنفسه فكوشف، كوشف بنفسه، ومن كوشف بنفسه عجز عن مشاهدة ربه وخالقه، ولم يرَ إلا نفسه، ومن لم ير إلا نفسه عظمها، ومن عظم نفسه استحق ما سواها فيكون تلفه، لأنه في ظاهره في أعلى عليين وبحقيقته وهو الكبر على العلماء واستحقار الرفقة والرفقاء في أسفل سافلين»(37).

ويقول ابن العريف في ذلك شعراً(38):

مَنْ لَمْ يشَافِه(39) عَالِماً بأصُولِه	فَيَقِينُه في المُشْكِلاَتِ ظُنُون
مَنْ أَنْكَرَ الأَشْيَاء دُون تَيَقُّنٍ	وَتَثَبُّتٍ فَمُعَانِدٌ مفتُون
الكُتُبُ تَذْكِرَةٌ (40) لِمَنْ هو عَالِمٌ	وَصَوَابُهَا بِمُحَالِها مَعْجُون
والفِكْرُ غوَّاصٌ عَلَيْهَا مُخْرِجٌ	والحَقُّ فيها لُؤْلُؤٌ مَكْنُون

(37) ابن العريف [و 20، ط 34، و 35، ط 35].
(38) المقري: م. س. جـ 4، ص 319.
(39) ن. م، من لم يشاور ص 331.
(40) ن. م تذكار ص 331.

فإذا ظفر المريد بشيخ من شيوخ الصوفية سالك سبيل السنة عليه أن يفرح ويشكر الله عليه، فكم من شخص لعبت به أيدي الضالين المبتدعين فكان هلاكه، فإذا تم له مصادفة هذا الشيخ فعليه أن يحسن الأدب في الانقياد له في أوامره، وترك مخالفته، وأن لا يكتمه شيئاً من أسراره ولا ينتقل عنه إلى غيره، فالشيخ هو الذي يقوم بتصحيح بداية السالكين وتوضيح الأسس التي يقوم عليها الطريق، لأنه كلما كانت البداية أحكم، كانت النهاية أتم، فهو الذي يتولى تهذيب نفس السالك وإعداده لهذا السفر الروحي.

فالشيخ لازم وضروري لكل سالك لهذا الطريق، والشيخ الذي يرجع إليه إما شيخ تعليم وتربية، أو شيخ تعليم فقط، وشيخ التربية ليس بضروري لكل سالك، وإنما يحتاج إليه من فيه «بلادة ذهن، واستعصاء نفس». أما من كان وافر العقل، منقاد النفس، فلا يحتاج إلى شيخ التعليم، فتحصيل العلم يقتضي الصبر على مشقة الدرس والتحصيل، وبذل الجهد في طلب العلم، وتبجيل العلماء، وتصاغر طالب العلم لهم. وعليه تحصيل المعارف الدينية أولاً في الجد في طلبها، فيأخذها من علماء الشرع والفقهاء وأهل الحديث والتفسير فمنهم ينال العبد مصباح شرع ربه، فيستضيء به في عبادته ومعاملته مع الخلق والخالق.

وشيخ التعليم هو الذي ينصح بقراءة كتب معينة في التصوف لأن الاستفادة منها لا تصح إلا إذا كان صاحبها من أهل العلم والمعرفة، وممن يصح الاقتداء به، وتكون موافقة لظاهر الشرع، وحتى تكون استفادة المريد منها واضحة، وكان ينصح بقراءة كتب أئمة القوم، ككتب المحاسبي والسلمي والقشيري، وكتاب أبي طالب المكي، وكتاب ابي حامد الغزالي الإحياء، وعوارف العوارف للسهروردي، وكذلك ما تفرق من كلام أئمتهم في الكتب والدواوين وشهر نقله بين علماء المسلمين[41].

وكان بعض شيوخ التصوف لا يفضلون إلا كتابي (أبي طالب المكي وأبي حامد الغزالي) «فقد أودعا فيهما من غرائب العلوم وعجائب الفهوم ما تثلج به الصدور،

---

(41) ابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى، الرسالة السادسة، ص 78.
ابن خلدون: شفاء السائل ص ص 70 : 92، القشيري، الرسالة ص214، الغزالي: الإحياء جـ 3، ص 48، 49 وانظر كتب الشيخ زروق: عدة المريد، النصيحة الكافية.

وتتيسر به الأمور». وعن كتاب الغزالي الذي منعه الفقهاء وحذروا من قراءته، كان المتصوفة يرون فيه غير ذلك، ولكن كان شيوخ المتصوفة برغم مدحهم له ونصحهم بقراءته إلا أنهم كانوا يتحفظون على بعض أجزائه، ويتحاشون الوقوف عندها. فابن عباد الرندي يقول عن الغزالي في الإحياء «فإنه فصَّل وبوَّب وأوضح وقرب ونقح وهذب، وجمع في أوراق يسيرة ما تفرق في كتب كثيرة، وضرب الأمثال وأزاح الإشكال، وأظهر غوامض الأسرار، ونبه على طريق الاعتبار والاستبصار»، ومع ذلك نجده يتحفظ تجاه هذا الكتاب بقوله [42]: «إلا أن فيه أشياء اعتاصت على الأفهام، وخرجت عن مذاهب أهل علم الكلام. وأكثر ذلك في ربع المنجيات ككتاب التوبة، وكتاب الشكر وكتاب التوحيد وكتاب المحبة وقد يوجد منها شيء يسير في هذا الربع. فيجب على الناظر في كتابه إذا وقف على بعض هذه المواضع أن يتجاوزها إلى غيرها وأن يسلم له ما خفي عليه من أمرها، وكذلك يسلم له بعض الأحاديث التي ينقلها ولا يردها ولا يقبلها، فبذلك يجمع بين تحصيل فوائد الكتاب وتحسين الأدب مع العلماء من أولي الألباب».

أما كتاب ابي طالب المكي قوت القلوب، فقد بسط فيه علم التصوف وفتح فيه مغلقه الذي أعجز حله، أو معرفة أسراره، كما جمع فيه بين المعاني والألفاظ الحسنة، وذكر فروع علومهم وأصولها ورسم مسائلها وفصولها فكان أشبه «بالمدونة في علم الفقة مقام غيره ولا يقوم غيره مقامه». وقوت القلوب أيضاً كانت له بعض السلبيات التي حذر منها شيوخ التصوف لأن «فيه بعض علوم غامضة لا تدرك ببضاعة العقول ولا توافق ظاهر العلم المنقول، وأحاديث له فيها مذهب معروف وطريق مألوف، فعلى الناظر في ذلك أن يتصف بما ذكرناه من التسليم، ويعتقد جريانها على المنهج القويم، ويرجو أن يفتحها عليه بالفتاح العليم»[43].

إذاً، لا بد من الشيخ القدوة الذي يبين للسالك الطريق ويعرفه بما يقرأ، وما يجب عليه أن يتحاشاه في القراءة، ولا يكون كحاطب ليل يقرأ كل ما وقع تحت يده، أو يعتمد فقط على الكتب دون الشيخ. فالمكتفي بالكتاب عن الشيخ قبل البحث والجد

(42) ن. م. ص 77، 78.
(43) ن. م.

في طلبـه ليس بفقيه، ويجب أن يتعلم أن العلم في صـدور العلماء يبقى ببقـائهم ويفنى بفنائهم، ولأن العالم حي بحياة تسري، وأما الكتـاب فناطق بصمته نطقاً لا يسمعه إلا حي، ولا حياة قبل مطالعة الكتب إلا لمن عـاش بحياة معلم حق، وثبت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) «ولكن يقبض العلم بقبض العلماء» فدل أن من يأخذ العلم من العلماء لم يأخذه من الصحف(44).

والشيخ المربي هو الذي يلزم المريدين بتهذيب أخلاقهم ورياضة نفوسهم بالدخول في الخلوة وملازمـة الذكر الذي يلقنه لهم، والتقليل من الطعـام والكلام والنوم، إلى غير ذلك من الأحكام التي يلتـزمون بها مع الشيخ المربي، فإذا أتموا هذه المرحلـة، انتقلوا إلى أخرى، إلى مـرحلة العمل بما تعلمـه حتى يرث مـا لم يكن يعلمه، أي معـرفة الـدقائق ومعرفة حقائق النفس ومعرفة دقائق بقية مراحل الطريق، ويكون ذلك بصحبة الشيخ.

ولا ينبغي للمبتدىء في طريق الله أن يطمح في كشف كل الأمور بعلمه، فما لعلمه غاية إلا إقـامة العبادة على الوجـه الصحيح من الدين، وثمة أمور بـاطنة وراء ذلك لن تنكشف إلا بعد الوصول إلى قرب الحق. ولا ينبغي أن يتعجل الفتح والتعلق برياضات أهل التمكين وأحوالهم ومعارفهم، فهو لم يتهيأ لذلك بعـد، وما عليه في حال بدايته إلا حسن الظن بهم، والوقوف معهم عند حد الأدب.

---

(44) ابن العريف: م. س. [و 48، ط 48].

عن هذا الموضـوع الخاص بالسلـوك والطريق والعلاقـة بين الشيخ والمريد انظـر ابن خلدون، شفاء السائل.

ابن الخطيب روضة التعريف بالحب الشريف.

الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف.

القاشاني: اصطلاحات الصوفية.

القشيري: الرسالة.

المحاسبي: الرعاية لحقوق الله.

لم يذكر الـذين ترجموا لابن العريف أسماء تآليفه ولكننـا استطعنا تجميع بعضها من خلال المصادر وهي :

ــ كتـاب محاسن المجـالس ، وقـد قـام بنشره وتحقيقـه المستعـرب الأسبـاني آسين بلاثيوس .

ـ كتاب مطالع الأنوار ومنابع الأسرار، ذكره المقري في نفح الطيب ويعتبر في حكم المفقود .

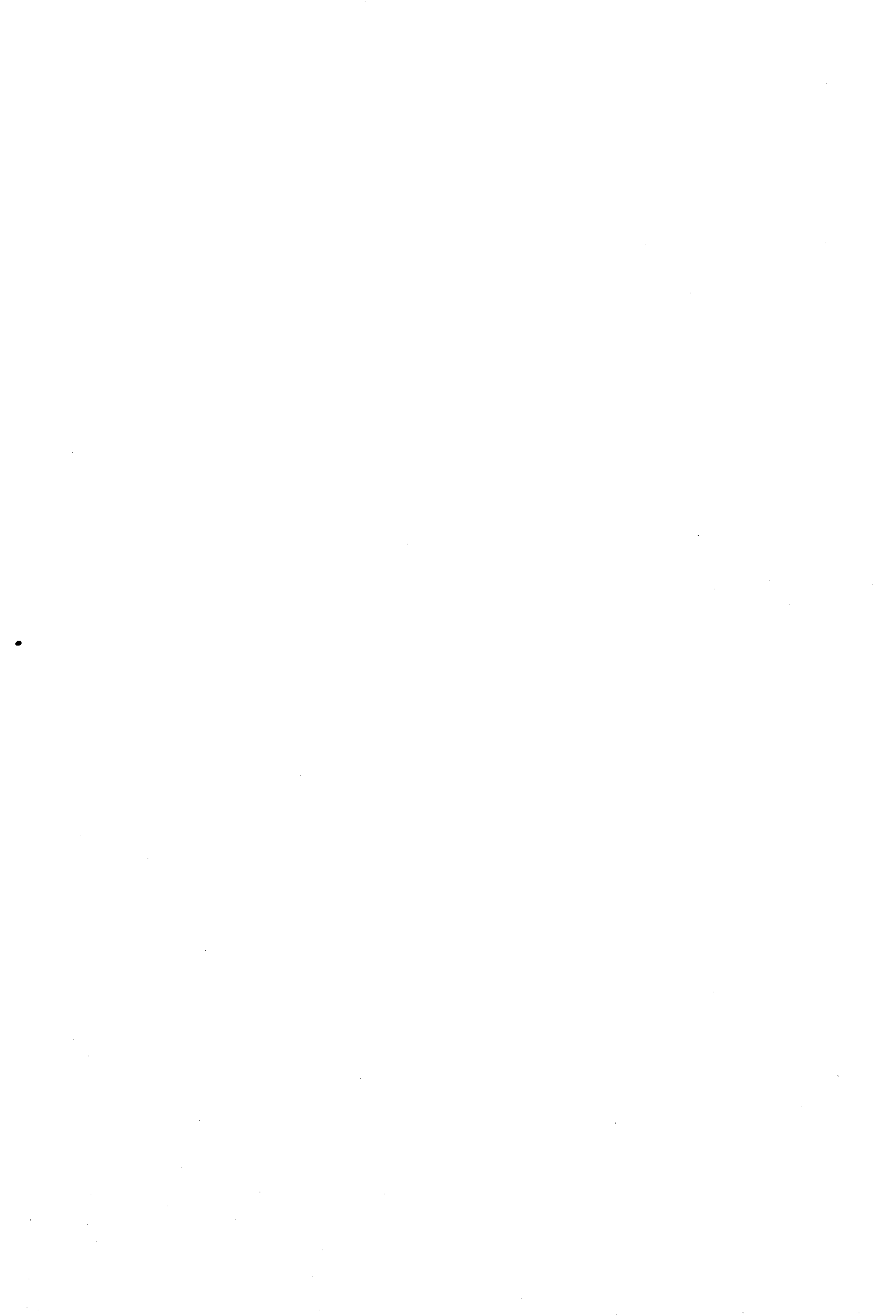
ـ مفتاح السعادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرفيعة ، ما يزال مخطوطاً ضمن مجموع تحت رقم 1687 بالخزانة الناصرية بتمجروت .

ـ مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، وهو الذي بين أيدينا

ومن الممكن أن يكون لابن العريف تآليف أخرى ولكنهـا فقدت عندما ألقى بكتبه في البحر حين تـرحيله إلى المغـرب ، فقد ذكـر ابن مَسْدي[45] «أن ابن العريف عنـدما احتمل إلى مراكش استوحش فغرَّق في البحر جميع مؤلفاته فلم يبق منها إلا ما كتب منها عنه» . كما أننـا لا نعرف إذا كانت كل تـآليفه في التصوف أو أنه ألف في علـوم أخرى ، وهذا يجعـل الباحث في حيرة أمام شخصيـة مثل شخصية ابـن العريف الذي ذكـر ابن بشكوال انه استجازه في مؤلفاته ، ولم يذكر هل هي في التصوف أو غيره .

(45) الذهبي : م . س . جـ 20 ، رقم 68 ، ص 113 .

وصف المخطوط



والمخطوط يحمل رقم 1562 بالخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط، وحالته لا بأس بها، مكتوب بخط مغربي واضح، يحتمل أن يكون من القرن السادس أو السابع الهجري، متوسط الجودة، خال من الشكل إلا في بعض الكلمات، وميزت العناوين بخط أكبر، وبه بعض كلمات قليلة غير مقروءة، كما تتخلله بعض الفواصل والعلامات أو بعض النقط أو الكلمات باللون الأحمر، والبياض في موضع بعض الكلمات قليل نسبياً، كما توجد بعض العبارات التي سها عنها الكاتب في هوامش بعض الصفحات.

يتكون المخطوط من 108 ورقة تشمل 216 صفحة. ويبلغ طول الصفحة 21سم وعرضها 15سم ومسطرتها 17 سطراً في الصفحة، والسطر يضم ما بين 9، 10 كلمات.

والمخطوط مبتور في آخره ليست له خاتمة، ولا يُعرف ناسخه.

الصفحة الأولى مكتوب بها «كتاب مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة» تأليف الشيخ الفاضل ابن العريف رضي الله عنه.

آمين، آمين يا رب العالمين، يا رب العالمين

وهو ملك بالشراء الصحيح

للفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد

ابن مسعود المتْراوي كان الله له ولجميع المسلمين

متم ذي حجة سنة 02/ مبلغ ثمنه. . .

ملك بالشراء الصحيح من مال عبد المذكور أعلاه عبد الله (بعض كلمات غير واضحة).

والمخطوط عبارة عن أقوال ورسائل لأبي العباس بن العريف إلى أصحابه من المتصوفة أو رد على رسائل بعضهم . وهذه الأقوال أو الفصول عبارة عن أدعية ومناجاة لله سبحانه يستفيد منها هؤلاء المريدون ، وبعض الفصول خاصة بشرح منازل القوم أو السلوك الذي يجب أن يسلكه المسلم عامة ، والمريد خاصة ، وهو يدرج بعض القصص التي تفيد في الموضوع الذي يتناوله ، كما أنه يخاطب طبقة معينة من المريدين الذين قطعوا مرحلة في التصوف .

يحتوي المخطوط على إحدى وستّين رساله وهي كالآتي :

20 ـ إلى الحسن بن غالب .

4 ـ لأبي الحكم بن برجان .

6 ـ لمحمد بن يوسف بن الأبار.

4 ـ لجماعة الاخوان بقرطبة .

1 ـ لسيد المالقي .

3 ـ لمحمد بن الكبش .

2 ـ لمحمد بن الحاج .

1 ـ لأبي علي منصور المبتلي .

1 ـ لأبي خالد يزيد بن عبد الجبار.

1 ـ لأبي بكر عياش .

1 ـ لأبي محمد عبد الغفور.

7 ـ لأبي الحسن عامر بن الحسن .

2 ـ لأبي القاسم أحمد بن قسي .

3 ـ لأبي الوليد بن المنذر.

9 ـ لأبي بكر عتيق بن مؤمن .

وتبدأ الرسائل بالبسملة والصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وعلى أزواجه والدعاء لآل البيت والسلف الصالح والمتبعين لهم بإحسان ، ثم يذكر الدعاء للشخص المرسل إليه ولكاتب الرسالة ، وقد يبدأ رسالته بذكر المرسل إليه والدعاء له قبل ذكر البسملة ، وتاريخ هذه الرسائل على ما يبدو فيما بين 525 ـ

529هـ. وتحتوي نصائح ومواضيع كانت تشغل المتصوفة، وأسئلة أجابهم عليها الشيخ ابن العريف.

وهذا المجموع من المناجاة والأدعية والأقوال لابن العـريف جمعها له أحد مريديه، وقـد رجحت أن يكون الصـوفي الكبير «أبو بكـر عتيق بن عيسى بن مـؤمن»[1]، الذي اختص بابن العريف وأخذ عنه، فقد ذكـر ابن عبد الملك في ترجمته أنه جمع كلام شيخه ابن العـريف نثـراً ونظماً كما جمع أيضاً كـلام الـزاهـد أبي عبد الله بن يـوسف ابن الأبـار ورسائله وحكمـه. وأبو بكر عتيق له برنـامج ضمنه رواياته وشيوخـه، وكتب رسالة في الفتن والأشراط، وكان موسوماً بالفضل متصـاوناً منقبضاً كثير الحياء والصمت والمثابرة على وظائف الخير والبر بأصحابه، مائلاً إلى الصالحين وأهل التصوف يهاديهم ويتحفهم في أماكنهم، ويحسن نزل من ألم به منهم، ويسارع إلى قضاء حوائجهم بماله ونفسه.

اختار عتيق بن مـؤمن لهذا المجموع عنـواناً له هـو «مفتاح السعـادة وتحقيق طريق السعادة» ويبـدو أنه كـان يعلم بكتاب ابن العـريف المعنـون بـ«مفتاح السعـادة لأهل الإرادة» فاختار له العنوان السابق أي أن العنوان ليس من وضع ابن العريف.

وراعيت في التحقيق أن أصحح بعض الأخطاء الإمـلائية وهي قليلة وعملت على توثيق الآيـات القرآنية الكـريمة، وتخريج الأحـاديث النبوية الشريفـة وأوردت ترجمات مختصرة معززة بالمصادر للأسماء أو الأمـاكن الجغرافية التي وردت في المتن، وذكرت أرقام الصفحات لأصل المخطوط واستعملت رمز [و] لوجه الصفحة، [ظ] لظهر الصفحة.

---

(1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة سفر 5/ قسم 1، رقم 242 ص 126.
وفي صلة الصلة لابن الزبير رقم ٥٥، التكملة لابن الأبار رقم 2425 كوديرا.

كتاب مفتاح السعادة

الورقة الأولى من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم ∴ وصلى الله على سيدنا محمد

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلوات الله وسلامه على

رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأزواجه وذريته

وأصحابه وعلى الملائكة أجمعين وعن جميع النبيين والأولياء

سيدي وسائر أولياء الله أجمعين وسلم تسليما

هذا الكتاب جمعت فيه ما وقع إلي من أجوبة الفقيه العلامة

أبي العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله نفعنا

الله به المريد المعروف بالطريقة شيخنا رضي الله عنه

في ملاطفاته ومن كلامه المنثور والمنظوم ورسائله

إلى إخوانه نفعهم الله بحبه وسميته بكتاب مفتاح

السعادة ونيل [illegible] السعادة والله المستعان وعليه

التكلان وهو حسبي ونعم الوكيل قال في بعض رسائله رضي الله

عنه نفعنا الله تعالى به نعلمكم أنا غفرنا مغفورا وآمنا بالله

[illegible] مشكورا ورضينا بالقرآن شفاء من كل داء

[illegible] ومحمد صلى الله عليه نبيا بأكمل الرسالة

[illegible] الله عليه على [illegible] العباد من الكتاب مذكورا ومعنى

[illegible] من السوء كله مساويا ودكورا والحمد لله

بفضل الله ومنه وتأييد الله اليه [illegible]

[illegible] وما [illegible] وشرفا ومعقلا وموئلا ولا حول ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم بالقدرة مقرونا [illegible] بقوة الله [illegible]

اللهم إنا نحن المنتسبون [illegible] والمتوجهون إليك

وجهنا لا إيمان بجنابه بسلسلة اللهم بالحق [illegible]

[illegible] وحقائق صفاته وبالستر التي [illegible] فيه [illegible]

[illegible] وبأسمائه الله أحد الله الصمد لم يلد

ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد [illegible] محمد

[illegible] ورسوله الأشرف [illegible]

[illegible] أوليائه وأصفيائه [illegible]

للمقام المحمود [illegible] يوم ومن [illegible]

[illegible] وبركة [illegible] الصلاة [illegible]

لنفسه [illegible] الأعمال [illegible]

[illegible] أوليائه وانصاره [illegible] من المريد

[illegible] اللهم [illegible]

وأنوارا [illegible] ولا نفعل إلا [illegible]

الورقة الثانية من المخطوط

نجعل ... لدو وانتوكل الى عليك وايرنا على اقامة
حدوده بالصبر واليقين، واشرح بالقرآن صدورنا وصدور
المسلمين اجمعين برحمتك يا ارحم الراحمين
اللهم اجعلنا ممن اتبع القرآن حتى وصل به اليك ووقف
بحضرة بين يديك ولم يلتمس به الا افضل ما لديك والتمس
به الاشيا المطلوبة ولا تجعلنا ممن اتبعه القرآن حتى نزجه
في نارك وازعجه من جوارك واخرجه من جملة اوليائك
واحبائك وانصارك. اللهم لا تفعل ذلك بنا ولا
باحد من المسلمين يا ارحم الراحمين اللهم انا نقسم
عليك افتقام الدلال بكرمك واستحيينا من نعمك ونحن بين
نعم واجدر من ان نقسم عليك اللهم بجلال جمال
كمالك وجميل الكريم وبسناء ضيا ما نوره النعيم
تشفيق تذيق نفس عبد يا عليم انزل على قلوبنا من نور
ذلك الحكمة ما نغرد بالحس والمشاهدة برده ثم لا نبعد
من احبرى اللهم بحرمة الاسلام وبشرته الاسلام فكما
منه الاسلام حل بيننا وبين ان نؤذي او نغتاب او نضرا
بشيء خارج حرمة الاسلام اللهم انا نتوسل اليك

بانقطاع وما يلينا اليك فانا غاية الفقر وتستمعي الضرورة
وانت راحم الفقراء ومجيب دعوات المضطرين اللهم
انا نسألك في انفسنا وفي من غاب او حضر من اخواننا اللهم
اصلح صدورنا وصدورهم ونور قلوبنا وقلوبهم ويسر
امورنا وامورهم اللهم انا نسألك في التوبة لنا ان
تقبل الى التوبة من ما اصبنا منذ اليوم الغية الى
علمنا حقائق علمنا نقليا وحكمنا في انفسنا بما كلفتنيه
وتمنا لنا بالتعجيل والبركة واقرر علينا الى اخر
نفس من انفاسنا وبعد وفاته متصلا يامن خلو الخلق فيه
بما لهم مولا كريما وبهم رؤوفا رحيما اللهم لا تفنا
من حلاوة برد التوبة ما ينبت في قلوبنا ولا يبقى ولا يبلى
ابدا يا من هو النور لا خلق اللهم انزل على من القلوب
من بركات الشتاء ما يلازمها ملازمة الحقائق ليلا دائما
وتجعلها في البركة والنماء بمنزلة المطر الهطال وانا
البتاء اللهم وكل من كان للاسلام
يستحق بنا شيء مما يخرج حرمة الاسلام بأي وجه دخل
في حرمة الاسلام وارادة النعمة وارادة الظلم ولا من ساعتنا

من النجوة وسعي الرضا له ولاخوانه من البركة ما ييسرون
وكان من يعود حاله في الكتاب الثاني وفقنا جميعا
وشيوخنا وبروح منه ايدنا وعن كل الا برضيه فقد
سا واما ما ذكر اخونا ابو الحسن من النقلة فقد خاطبته
في كتابي وراجعته عليه والاقدام بالسنة اذا لم تكن بينا
سنة ووكلته على ابي زيد عبد الرحمن بن عبد الحميد ابد الله
وبما يرد له وخاطبته بذلك وبما رايته والفقه انه ورد كتاب
الشيخ نور الله قلوب احبابه بالارض وزين بهم الغرب ومحو
بحر بن النعر بهم بمغربه اليه وعرضت الامر على جماعة
يوحدوا الذنوب فيه فنبي وحسبي الله وكفى واني كتبت
انتظركم من قبل ابي خالد اكرمه الله وتعرفني بما هو عليه
ما يذكر الاخ علم اوله عندي وفي كتبه خير وخشيت ان
يكون بعض حالي او قولي اوحشه فكتبوا له فلي عليه
بان كلا نبي لمثله في الظاهر وفي الحقيقة ان شاء الله
طايب وحتى الان اجد له في الرغبة في ان تكثروا
التوحد والمطالبة على معارض منافقين بالحال او بالمقال
ولا على مكذب او كاذب بالحال او بالمقال ولا على منقص

يا مر بالحال او بالمقال عن لوا على الخلوة فانما عمود
الخلاص وعلامة الاختصاص ان لا جماع في غير البدن
الصحيح والامساك في غير اوقات الغفلة وليكن الاجتماع
وقت الغداة الى الظهر وفي غيره له وكما قلته لك
لا توخر خاصية بما تكمل ولو بكلمة فاخره تعلمني بما
امكنك من حالك وحال الاخوان جمع الله قلوبنا على
التقوى وبشر لنا بخير الاخرة والاولى بعونه والسلام التام
عليك ورحمة الله وبركاته

وكتب اليه ايضا

الاخ الودود ابو بكر بن مومن اعزه الله بتقواه من
اخيه في الله تعالى احمد بن محمد بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم تسليما سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته كتبته يوم الجمعة من سنة
تسع وعشرين وخمسمائة بامنا من ورود النعم وقلة الما
الا نشكر ما نشر الله العافية وكتبت في هذا النظم تعرفنا
من لقاء الاخوان الواردين علينا بسبعة التوجه الى المشرق
من الموليين عوده به فاستوحشت كثيرا ورد

وحذارنه في كل احواله الخبيرة التي لا يكون للعباد علينا
سلطان في حال فراق الاخوان فاكثر من مطالعة
ابي الحسن الحسني رحمه ذكره ما امكنك وما تجرد عنك
من قبله فهذا الحسني به نفع الله بعضنا ببعض والسلام
المقاد عليك ورحمة الله وبركاته
سلام على الاخوان ما منح الضحى وما طيف بدور العصون

وكتب إليه أيضا

الولي الحبيب الودود ابو بكر ... اعزه الله بكلا عنه
تولية في الله تعالى اخرين محمد
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى
آله وسلم السلام عليك يا اخي ورحمة الله وبركاته
وصل يا اخي كتابك الكريم بكتاب مع الاجازات والكراريس
وسائر ما تضمنه كتابك على اكمل وجوه المرغوب وافضل
جمعه المجموع جعله الله نورا يبرز بك وعملا صالحا
يتوجه بكل ما نيلك يوم القيامة اليك ميسرا ويريك نعمة
الله ونعمه بك ووقفت على ذلك القول المحكم والسائق
اعلمهم يا محبي فاستكثر منه فان حله ...

مشاهد وما كان من نحو ذلك تفسير الاية لو نسخة او لكلام مشهور
من كلام الائمة بعض عليه بالنواجذ وابعد منه شيء ودانى
المشار اليه في مدة لا شيئا مقالفة في كثير لا موافقة مسئلة
لتستجلب بذلك من ينابيع الحكمة ما يتصل بمزيد ايمانك فيزيد
عملك الى منزلة زيادة النعيم عنه واعلم ان الذكر يحيي
القلوب الميتة كما يحيا بماء المطر من اخوان خصوص
اهل الارادة فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد
موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما هنيه
ابدا انما يفرد من صدقه اخ في الله عز وجل لم يذكر او صور
في حال من كان ولا تستخفن شيئا من هذه الاعراض تعلق به
ولو لم تذكر الا كلمة واحدة يقلقك واحفظه من مهلك ان امكنك
ذلك بمشيئة الله ... وقوته ومشيئته بين ان لا يضيع
الاجر فلذلك اوجه الامانة الدعا لي في تيسير ما ارجوه من لقاء
... وكتبه الى جوار الدنيا على الحقيقة ولقد ... اثره
كتابك لي زيارتكم في ... وكنت ... اوقاتا كثيرة ولو
وجدت خليفة في الصبيان والحجر لبعثت ان شاء الله ...
وفي هذه الايام ورد كتاب الفقيه الصالح ابي يحيى ...

[و 1] بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله . الحمد لله ولا حول ولاقوة إلا بالله، وصلوات الله وسلامه على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه، وعلى الملائكة أجمعين، وعلى جميع النبيين والمرسلين، وعلى أولياء الله الصالحين وسلم تسليماً.

هذا كتاب جمعت فيه ما وقع إلي من أدعية الفقيه الفاضل أبا العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المْرِيِّ المعروف بابن العريف، شيخنا ـ رضي الله عنه ـ من مناجاته ومن كلامه المنثور والمنظوم، ورسائله إلى إخوانه نفعهم الله بمحبته، وسميته بكتاب ﴿مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة[1]﴾ والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبي ونعم الوكيل.

فمن دعائه رضي الله عنه:

خضعت لله تعالى عبداً محقوراً مقهوراً، وآمنت بالله غفوراً شكوراً، ورضيت بالقرآن شفاء من كل داء (. . .)[2] وبمحمد صلى الله عليه نبياً فأكمل الرسالة (. . .)[3]لا إله إلا الله حقاً على كل العباد في الكتاب مسطوراً، وسبحان الله تنزيهاً من السوء كل مساء[4]ورواحاً وبكوراً، والحمد لله [ط1] والله تعالى على النعم كلها، والنعم من الله تعالى كلها شكراً مقبولاً بفضل الله مبروراً، والله أكبر، عزاً بالله وايثاراً لما وجب إظهاره من كلمة الله، وشرفاً وسعداً موفوراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله إقراراً بالقدرة معروفاً عند الله إن شاء الله مأثوراً.

---

(1) في الاصل السعادة، وفي الورقة الأولى «للإرادة» بخط غير خط النسخة.
(2) كلمة غير مقروءة.
(3) كلمة غير مقروءة.
(4) في الاصل مسا.

اللهم! إنا نحن المتشبهون بحملة كتابك المكنون من أسمائك، وحقائق صفاتك، وبالسر الذي قام به كل شيء في أرضك وسمائك، وبأنك أنت ﴿الله أحد * الله الصمد﴾[1]، لم تلدك الخلق، فلم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد؛ أن تصلي على محمد نبيك الأعطف، ورسولك الأشرف خلقته زكياً، وبعثته نبياً، وانتخبته من جملة أوليائك وأصفيائك، صفياً نبياً، وانتحلته للمقام المحمود، صلاة حبور لا يرتفع، وسرور لا ينقطع، وأوجب لنا برأفتك ورحمتك وببركة هذه الصلاة إرضاء لنبيك، وكمال العمل بإيثارك، وإدراك العمل بكتابك، واسعدنا بمعرفة أوليائك وأنصارك، وبمحبة القائمين من المريدين، برعاية جوارك، واجعلنا اللهم أدلة من أدلتك، وأنواراً من أنوارك، لا نستغني إلا بك، ولا نفتقر إلا إليك، ولا [و2] نعمل إلا لك، وما نتوكل إلا عليك، وأيدنا على إقامة هذا الدين، بالصبر واليقين، واشرح بالقرآن صدورنا وصدور المسلمين أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم! اجعلنا ممن اتبع القرآن حتى وصل به إليك، ووقف الصدق بين يديك، ولم يلتمس به إلا أفضل ما لديك، والتمس طلب الأشياء لك وبك لا تجعلنا ممن اتبعه القرآن حتى قذف به في نارك، وأزعجه من جوارك، وأخرجه من جملة أوليائك وأصفيائك وأنصارك. اللهم لا تفعل ذلك بنا ولا بأحد من المسلمين يا أرحم الراحمين.

اللهم! إنا نقسم عليك إقسام إدلال بكرمك واسترسال في نعمك ونحن بيقين أحقر [وأدحر؟][2]من أن نقسم عليك.

اللهم! بجلال جمال كمال وجهك الكريم، وبسناء ضياء نورك العظيم، وبتشقيق تدقيق تحقيق علمك يا عليم: أنزل على قلوبنا من نور الذكر والحكمة ما نجد بالحسن والمشاهدة برده، ثم لا نعصيك أبداً بعده.

اللهم! بحرمة الإسلام، وبشرف الإسلام، وبكرامة الإسلام: حل بيننا وبين أن نؤذي أو نغتاب أو نضر أحداً ممن دخل في حرمة الإسلام.

---

(1) سورة الإخلاص آية 1، 2
﴿قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد﴾.

(2) كلمة غير مقروءة.

اللهم! إنـا نتـوسل إليك [ط2] بانقطـاع وسائلنـا إليك فإنها غايـة الفقر ومنتهى الضرورة، وأنت راحم الفقراء، ومجيب دعوات المضطرين.

اللهم! إنا نسألك في أنفسنا، وفيمن غاب أو حضر من إخواننا.

اللهم! طهر صدورنا وصدورهم ونور قلوبنا وقلوبهم، ويسر أمورنا وأمورهم.

اللهم! إنـا نسألك في التـوبة لنـا ولكل فقير إلى التـوبة من سـاعتنـا هذه إلى يـوم القيامة.

اللهم! علمنا حقـائق علمها تعليماً، وحكمنـا في أسبابها كلها تحكيماً، وتممهـا لنا بالتعجيل والبركة والـدوام عليها إلى آخر نفس من أنفاسنا، وبعـده ومعه تتميماً، يا من خلق الخلق، فلم يزل بهم مولى كريماً، وبهم رؤوفا رحيماً.

اللهم! أذقنا حلاوة برد التوبة، ما يثبت في قلوبنا، ولا يفنى ولا يبلى أبداً يا من هو النور الأعلى.

اللهم! أنزل على هذه القلـوب من [بركة؟] السماء ما يلازمنا مـلازمة الحقائق لبيان الأسماء، وتجعلها في البركة والطهارة بمنزلة الماء يا ذا الجلال ويا ذا النعماء.

اللهم! وحل ببركة الإسلام بيننا وبين أن يستظن بنا شيء مما دخل في حرمة الإسلام بأي وجه دخل في حرمة الإسـلام، ولا في اليقظة ولا في المنام، ولا في ساعتنا [و3] هذه الى يوم السلام.

اللهم! وحل بقوة الإسلام بيننا وبين أن يضرنا شيء من الخلق كائناً من كان.

اللهم! اجعل سلطانك لنا سلطاناً، وفرقـانك لنا فرقاناً، وشأنك الذي خصصت به أوليائك لنا شأناً. يا من خلق الخلق، فلم يزل بهم دياناً رؤوفاً رحماناً.

اللهم! إنا عبيد جفاة، كثيراً نتعدى أقدارنـا ونتخطى أطوارنا؛ وأيسر ما في عدلك وجناياتنا أن يكـون محل سخطك له في نارك وفرارنا، إلا أن تـرحمنا، وإلا أن تعفو عنا، فبك اللهم نعـوذ منك، وبك نضرع إليك، وإيـاك نسأل برحمتـك. فبك اللهم عرفنـا بالعمل اليقين، وبالعمل الصالح المبين، في العبـودية ألحق أقدارنا، وحبب اللهم إلينا خيارنا، وعممنا بالبركات وجميع المسلمين والمسلمات، ورخص أسعارنا، وربح تجارنا،

وأمّن بالإيمان والإسلام أقطارنا، وأنزل على أكمل البركات في أوقاتها أمطارنا، واجعل اللهم أعلى طاعتك لنا شعارنا في كل حال ودثارنا، وقنا اللهم من كل مكروه في الدارين مجيرنا وجارنا. يا عالماً بكل شيء ذنوبنا [ط3] كلها بلا شيء، ولا تسألنا عن شيء، يا من ﴿ليس كمثله شيء﴾[1] وصلِّ اللهم وبارك على الحبيب محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

ومن دعائه رضي الله عنه:

اللهم! إنا نسألك الولاية ومراتبها ومناصبها، لا لما فيها من حظوظ أنفسنا، ولكن لما فيها من موافقة حكمك في أمرك ونهيك، فلا تكثر دونها كروبنا، ولا تقطع من دونها محبوبنا [. . .][2]وأنت مطلوبنا يا أرحم الراحمين.

اللهم! إن للإدبار عنك بوار، والإقبال عليك بلا طلب ولا أدب إدلال، [. . .][3] والعبد بينهما هالك، إلا من أخذت بيده وعطفت عليه، ووجهت عنايتك بلا سبب إليه، فتعرف إلينا بالإحسان، يا خير المحسنين.

اللهم! إن التوسل بك إليك حظ من حظوظ الكبار، ولسنا هنالك، والتوسل بمن دونك تَرَام، وجناياتنا، جناياتنا، جناياتنا في هوة المهالك وهوة المضايق. الحقائق التي لا يكشفها إلا جودك ولا يقوم لها إلا وجودك، فكن عند فقرنا إليك يا رب العالمين.

اللهم! إنه بما لنا من عظيم الذنب يمنعنا أن نجد وسيلة غير الرب، وما في التوسل بك من الشرف يحول بيننا وبين ذلك المكان الألطف [و4] فارحم ضعفنا وفقرنا يا خير الراحمين.

اللهم! أسلمتني إليك فاقة لم يبقَ لي معها غيرك.

ومن مناجاته رحمه الله:

إلّهي! وبعزتك وجلالك ما أنا بسائلك دعوتك مراتب الملائكة في القرب إليك

---

(1) سورة الشورى، آية 11.
(2) كلمة غير واضحة.
(3) كلمة غير واضحة.

بالطاعة لك، فأكون من المسرفين، ولا (مراتب)[1]الأنبياء فأكون من المتكلفين، ولكني اسألك من مراتب أوليائك ما يعينني على القيام بحقك، وينهضني إلى الوفاء بعهدك، قضاية ما ينقضي به عني دينك الواجب علي لك، وقد فعلت ذلك بكثير من أوليائك وأصفيائك في سبيل البلايا ومضيق الرزايا، وآخرين أوصلتهم بالعافية الى رؤية حقائق العافية، وعرفتهم بالنعمة إليهم مقدار النعمة عندهم وعليهم، وها أنا بعينك ضعيف مهين، فاكتبني في أهل العوافي من أوليائك، واجعلني من مطايا المواهب السمحة في أصفيائك، وذكرني عند الذكرى، ويسرني بجودك وإحسانك لليسرى، وكن وحدك أمسي كله من الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين، وخير الغافرين، وأكرم المحسنين.

ومن مناجاته رضي الله عنه:

إلهي! إن كان الدعاء إليك والرغبة في [ط4] فضلك مع الإصرار على معاصيك، والإقامة على مخالفة أمرك ونهيك لوماً وشؤماً، وخلقاً جافياً مذموماً، فترك الدعاء والرغبة بعد أمرك بالتضرع عند وقوع اليأس وحضور المرهوب، وبعد نهيك عن اليأس عند مواقعة الخطايا والذنوب أدهى وأمر، وأوخم عاقبة وأضر.

إلهي! من جودك إنك جعلت التعرض لجودك فرضاً واجباً (و. . . . .)[2] منه حراماً مهلكاً، فلا وجلالك وشرف كمالك ما صيرت يأس العاصي لك من درك رحمتك هو أعظم المعاصي، «حتى وسعت رحمتك كل شيء»[3]، وصلح لها كل شيء، إلا من أعرض وعرف حقيقة ما فيه نجاته فمرض، وبك نجا من نجا، وبك هلك من هلك، لك الحجة البالغة على خلقك، والحكم العدل في قضائك، وأنت الواجب شكره وحمده عند النعماء المعروف عدله وحكمته في البلاء. فلا إله إلا أنت إقراراً لك بالحق، والحمد لله شكراً على ذلك الإقرار، وبك أعوذ منك علماً يقيناً، بنفوذ مشيئتك، وتمام إرادتك.

إلهي! إن الذي انطوى صدري عليه، وانتهى سري إليه، هو بعينك تراه، فلا انشده، وتسمعه فلا أذكره، فاقضِ حاجتي، وتقبل رغباتي، واجعل في طاعتك أنسي

(1) كلمة غير تامة في الاصل.

(2) غير مقروءة.

(3) الآية ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ سورة الأعراف آية 156.

وراحتي [و5] وكن عنـد ظني، يـا من لا خير إلا خيره، ولا إلاه لشيء على الجملـة والتفصيل غيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن مناجاته رحمه الله:

إلهي! وسيـدي ومولاي، هـذه الصلاة المفـروضـة التي لا ينظر للعبـد في عمل إلا بعدهـا، وقد قمت بها إليك، ووقفت بها بين يديك بنيـاتة لجودك وكـرمك، متبرئاً من حولي وقوتي، عالماً علماً يقيناً في الحجة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

إلهي! وسيدي (ومولاي)[1]أنا في ساعتي هذه عالم بأنك تراني، وترى قلبي وتشاهد ما في ظـاهري وباطني من حق وبـاطل، وطاعـة ومعصية، عالم بقـربك مني، ونظرك إلي، واطـلاعك علي، وإنك حسيب لي، في كل مـا ظهـر وخفي مني، من دقيقـه وجليله. مولاي! فأين هيبتي من سلطان قـربك، وحيائي من نظرك، وأين خوفي منك ورجـائي؟. وجلالك لـو تقطعت أكبـادي خـوفاً لك، وذاب فـؤادي [رهبـاً منك][2] وتفرقـت عظامي قلقـاً من الوقوف إليـك، والعرض عليك في مثل هـذه الساعـة لكان يسيراً، ولكن (حبك)[3]أعظم كثيراً كثيراً.

إلهي! سمعتك تقول ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[4] ولم تكن صلاتي كذلك، فجددت عزيمة [ط5] التوبـة لك بك، فأنا أشهد الله على نفسي مـلائكته، وأهل الشهادة من أهل السمـوات والأرض، تعييناً للتوبـة في لساني وقلبي وبطني، ألا آكل إلا ما هـو حلال، بعلم وورع من صلاتي هذه إلى الصـلاة الأخرى، ولا أتكلم إلا بكلمة هي حلال، بعلـم وورع من صلاتي هذه، إلى الصلاة الأخرى، فـإن كان وفاء، فأنت المشكـور، ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله، وإن غلب العـدو، فـالصبر محمـود، ﴿والعاقبة للمتقين﴾[5]، والله مع المجاهدين في سبيله، و ﴿لا ييأس من روح الله﴾[6]

(1) حرف الياء غير واضح.
(2) أول الكلمة مطموس.
(3) حرف الكاف غير واضح.
(4) سورة العنكبوت، آية 45.
(5) سورة القصص، آية 83.
(6) سورة يوسف، آية 87.

ومن رحمة الله، ومن ﴿يتق الله يجعل له مخرجاً﴾[1]، وعليّ في ذلك الوقت يجب الندم، وتجديد هذه العزيمة والصبر عليها حتى يفتح الله. هذه نيتي وبالله عوني ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إلّهي! طال ما فتنتني فيما مضى، بجلالك لا تفتني فيما بقي وارزقني من الاعتراف بذنوبي وعيوبي والمعرفة بها، ما يعينني على طلب علم توبة كل ذنب، وعيب، واجعل لي ذلك الطلب في ورع [وذلل][2]لي ذلك بالعمل وأوصلني بك إليك، يا من لا يوصل إليه إلا به.

إلّهي! وسيدي ومولاي! هذا وضوئي وهذا استعدادي [و. . . .][3]فأشهدك، ولا إلاه إلا أنت وكل من سمعني من أوليائك وسكان أرضك وسمائك أني لا آكل حتى أصلي هذه الصلاة، إلا حلالاً ولا أتكلم إلا [و6] بحلال، فإن غلبني عدوي، فإليك الضراعة في عوني، وعلي تجديد هذه النية مع الندم. اللهم سلم مني كل شيء، ولا تلحق ضري بمسلم يشهد أن لا إلّه إلا أنت، وإن محمداً عبدك ورسولك يخاصمني بها عندك، ولا بذمي يخاصمني عندك بالذمة، ولا بحيوان لا يكون الإضرار به حقاً من حقوقك، وأجمل بي عندك وأفضله. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إلّهي! وسيدي ومولاي ها أنا بين يديك متوجه بطريق التوبة إليك، أقضي ما فاتني وما ضيعته وفرطت فيه من هذه الصلاة التي هي عمود الإسلام عندك، ولا محالة إنك تراني وتشهد سري وإعلاني، فأين البكاء والقلق بهيبة القرب؟ وأين الحياء والخوف بحضور النعمة؟ حجبتني عنك الذنوب، وإني حتى الآن منها لا أتوب، وجلالك لأعرضن على قلبي في مثل هذه الحال، وهذا الوقت [ما عقبت؟][4] فإن بلغت مرادي منك، فأنت المنى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإن حرمت في الدنيا رجوت قيام العذر عندك في الأخرى، ببذل الكد والاجتهاد، وأفوض أمري إلى الله، و﴿الله بصير بالعباد﴾[5].

---

(1) سورة الطلاق، آية 2.
(2) يوجد حرف الذال فقط.
(3) بياض.
(4) ناقص حرف العين.
(5) سورة آل عمران، آية 20.

اللهم! اضرب قلبي بسياط الخوف بين يـديك، حتى يرجع بك إليك، وخلصني بكرمك وجودك من الوقوع [ط6] في كل ما هو عندي خير، وهو عندك شر، ولا تحرمني كمال التوبة وقد بدأتني بها، وأذقتني من لذتها، ما ذاق الرضيع في أول يوم من أيامه من لذة لبانه، فلا هو يشعر فيشكر، وإن منع منه يقلق ولا يصبر. بجلالك عن لي علي ولا تهملني بعد أن عـرفتني عنايتك بأوليـائك، وحببتهم إلي، وحببتني إليهم، ولا تجعلني ممن يقـول ولا يفعل، وقد (كبر ذلك عنـدك مقتاً)[1]، واجعلني من ﴿الـذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلمـوا أنفسهم ذكروا الله، فاستغفـروا لذنوبهم ومن يغفر الـذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلـوا﴾[2]، واجعلني من الـذين ﴿إذا مسهـم طـائف من الشيطـان تذكروا فإذا هـم مبصرون﴾[3].

إلهي! وسيـدي ومـولاي لا تحرمني وقد أردتـك، ولا تردني وقـد قصـدتك، إلهي! كيف لا أرجوك لإتمام حـال التوبة، وإعانتي على فـرضها وقد بدأتني بـالإسلام تفضلاً منك وتطـولاً، لا بـوسيلـة سبقت، ولا بحقيقـة عمل تحققت، فخلطت في الأحكـام تخليطاً محضاً، فلطفت بي، ورأفت بي، وقبحت عندي ذلك التخليط، [وحببت][4] إلي مقدار ما أنـا فيه من هذه التوبة المخلطـة، ولكل بداية نهاية، وأمـور الصدق أن يتدرج [منه إليها][5] على الرفق، فكيف لا أرجوك لتمام توبتي حديثاً، وهذه عنايتك بي قديماً، بجلالك اضرب قسوة [و7] قلبي بسياط خوفك حتى يرجع بك إليك، ولا تجعلني ممن يقول هذا القـول ولا يعمل، ولو ثلاث ساعات من هـذا الوقت، لعل الموت أقرب من ذلك الأمد، وقبل تمام الثـلاث ساعـات وقد عينت لصـدق التوبة ضبط البطـن، فأنا أشهـد الله ومـلائكته وحملـة عـرشه، وشهـود العـدل في سماواته وأرضـه، الا آكل من [طعام][6] إلى ثلاث ساعات تقديراً إلا حلالاً، وهو ما حصل بعلم [أو حق][7] وحصل

---

(1) اقتباس من الآية ﴿كبر مقتاً عند الله﴾ سورة غافر، آية 35.
(2) سورة آل عمران، آية 135.
(3) سورة الأعراف، آية 201.
(4) من الاصل حببت وحرف الواو مطموس.
(5) بعض حروفها غير واضحة.
(6) كلمة غير واضحة.
(7) حرف الحاء غير واضح.

علمه بورع حق، فإن وفيت فالله المشكور، وإن قصرت فالتجديد علي والعون بيد الله، وفي الصبر على مجاهدة عـدو الله خير وبـركة، والـرجوع الى الحق وهـو التوبـة خير من التمادي على الباطل، وهو الإصرار، والرجوع إلى التـوبة رحمة من الله، وروح من الله، والإصرار باستثقال معاودة التوبة يأس وقنوط، وهو الهلاك.

اللهم! علمني علم الذل بين يديك، ودلني بالمسكنـة والفقر والفاقة إليك، وافتح لي في البحث عن عيوبي وذنوبي، ولا تجعلني ممن يقول هذا ولا يفعلـه، ولو مرة في يومه هذا، أو في جمعته هذه، في مقدار ثلاث ساعات، أرجـو بركتها، وادخر عند الله ثوابها فإن [ط 7] يريد والشر ليس إليك ـ تباركت وتعاليت.

اللهم! إيـاك قصدت، وإيـاك أردت، وعلى بيتك وردت، فـاجعل قراي عنـدك التوبـة، والمغفرة والرحمة والرأفـة، وقرى كل من دخل في هذا البيت من أمـة محمد صلى الله عليه وسلـم، مذ كان وما كان كـائناً إلى يوم القيامـة، فإذا توجهت فقل ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾[1] وتنوي الصمت والإخلاص [والإحرام][2] على ما يقتضيه الإسلام. الله أكبر، ولا بد مـن التفقه في هذه الكلمات الثلاث إن شاء الله. وتقول في الـركوع سبحان ربي العظيم وبحمده ثـلاثاً، ولا إله إلا اللـه وحده لا شريك له، بحقيقـة جلالـه وجماله وكمالـه ومجده، وكما ثبت في الكتاب المنـزل من عنده، على لسان محمد صلى اللـه عليه وسلم، رسوله وعبده. وعند القيـام: ربنا ولك الحمد حمداً كثيرا طيباً مباركاً فيه ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما. وملء ما شئت من شيء، بعد أهل الثنـاء والمجد أحق مـا قال العبـد، وكلنا لك عبد، اللهـم! لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﴿سبحـان ربك رب العزة عما يصفـون * وسـلام على المرسلين * والحمـد للـه [و 8] رب العـالمين﴾[3]، وبين السجدتين: اللهم! اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني.

وعنـد الخروج إلى النـاس: اللهم! أسبل علي كثيف سترك، وأدخلنـي في مكنـون

---

(1) سورة الأنعام، آية 79.

(2) آخر الكلمة مبتورة.

(3) سورة الصافات آية 180، 181، 182.

غيبك، واكفني شِرار خلقك، وحل بيني وبين الرزايا والبلايا، كلها، يا أرحم الراحمين.

وعند دخول الدار: ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾[1] ﴿رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾[2] و ﴿أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾[3].

وسأله أبو عبد الله محمد بن سفيان[4] أن يجمع له ألفاظاً يدعو بها في مهمات أموره، فكتب له هذا الدعاء:

اللهم! إني أسألك بأنك أنت الله في حقائق محض التحصيل، وبأنك أنت الله، بكل وجه من وجوه الجملة والتفصيل، وبأنك أنت الله على كل حال من أحوال الجد والتعويل، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية عن الضد والند، والنقيض والتطير، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية عن الضد والند والنقيض والنظير، وبأنك أنت الله الذي ﴿ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير﴾[5] أن تصلي على محمد، وعلى آل محمد، وعلى كل من يحب محمداً، أن تصلي عليه، وأن تقضي جميع حوائجي كلها قضاء يكون لي فيها [ط8] خير الدنيا موصولاً بخير الآخرة، محفوفاً بالرعايات، محفوظاً من الآفات، ملحوظاً بخصائص العنايات، يا عواداً بالخيرات، ويا من هو في حقيقة حق الحقيقة، أهل التقوى وأهل الحسنات.

اللهم! إنها مسألة خادم لعز ربوبيتك بإظهار مسألته، بأنك علام الغيوب، ومشاهد حقائق المطالب قبل مباشرتها للقلوب، فتممها بجمال الخاتمة يا خير مطلوب، وصلى الله على محمد حبيب القلوب.

---

(1) سورة الكهف، آية 39.
(2) سورة الاسراء، آية 80.
(3) سورة المؤمنون، آية 29.
(4) يبدو أنه أحد المريدين، ولم أجد له ترجمة؟
من المرجح أن يكون والد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سفيان التجيبي من أهل شاطبة وأهلهم من قونكة.
انظر التكملة جـ2، رقم 2078، ص 864.
(5) سورة الشورى، آية 11.

باب من كلامه رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه :

الأصول ستة : كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما ثبت عن الصالحين من أهل كل وقت ، وما ثبت عن أئمة الفقهاء وأهل الاجتهاد والبصائر في الدين ، وإجماع المسلمين الثابت كونه إجماعاً ، والنظر الصحيح ، وهو ما كان الحكم به مستنبطاً من هذه الامور الستة .

وقال رضي الله عنه : التطهير الحاصل بالرياضات أصله في كتاب الله عز وجل ، ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾[1] دليله أن قلوب الأولياء مطهرة [و. . . .][2] ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[3] قال أبو العالية يعني المتطهرين من الذنوب . وقوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وثيابك [و9] فطهر﴾[4] قيل معناه : وقلبك فطهر ، والأعضاء التي يتعلق بها التطهير سبعة وهي : القلب والسمع والبصر واللسان واليد والرجل والبشرة ، وتطهيرها يكون بتنظيفها من المحظور ومن المكروه ومن الشبهات وبالاعمال الثمانية التي هي : الشهادة المشتملة على الإيمان بالله ، وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وبكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وصدق به ، وآمن به ، وفي درجها الإيمان بثواب الأعمال وعقابها وبالوعد والوعيد فيها ، والصلاة بأعمالها وشروطها ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، والتوبة والألفة . هذا هو اللازم لكل مسلم في خاصته إطلاقاً ثم يخصه من الفروض بحسب ما يخصه من الصنائع والأحوال والأعمال .

والأمور التي عول المعيار عليها في الظاهر ثلاثة : الصلاة والصيام والصمت . وفي الباطن ثلاثة : ترك الإعجاب بصفات النفس وبأعمالها وبأحوالها ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق التواضع ، والعمل عليها . والثاني : ترك الرياء ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق الإخلاص ، والعمل عليها . والثالث : ترك الحسد ولا يتحقق ذلك إلا

(1) سورة المائدة، آية 41 .
(2) بياض كلمة .
(3) سورة البقرة، آية 222 .
(4) سورة المدثر، آية 4 .

بمعرفة حقائق النعمة والطلب لها، وحقائق النقمة والفرار عنها، والنفار عن [ط9] التعرض لها.

وكل إنكار قام في نفس العبد لا يستند إلى دليل من الأدلة التي تشتمل عليها الأصول الستة المتقدمة، فهو إنكار باطل. وكل شك في نفس العبد، لا يستند أيضاً إلى ذلك، فهو شك باطل، والاشتغال بذلك الشك أو بذلك الإنكار باطل. وكل من قال عن نفسه أنا من أهل المعاصي والتخليط، ولم يحقق ذلك على نفسه بالدليل القاطع، فهو مغتر. ومن ظن أنه تائب، ولم يحقق ذلك بالعلم والعمل فهو مغتر. ومن عمل عملا من [بكاء][1]أو قيام من ليل، او صيام أو غير ذلك على غير مقصود صحيح، يطالب نفسه كل يوم بحصوله، فهو مغتر، والفتور والملل قريب منه جداً.

العلم: أما فريضة العلم على الإنسان فهو أن يقول به، ويعمله. وأما [فضيلـ. . .][2] ومن لم يطلب نفسه بدليل صحيح يدله فيما تكلم به من العلم من وقت ذلك بعينه، وأن ذلك فرض عليه، أو فضيلة له، فنطقه بالعلم هو عليه، أكثر مما هو له، يصدق بذلك من جربه. وقال: لا يتم التحقيق في كل شيء إلا بعزيمة صادقة لقوله سبحانه ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾[3].

وقال: نقض الميثاق بين [العبد][4]وبين باريه مخوف لقوله سبحانه، ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾[5] ذليلة إلا من [وفى][6] بالميثاق فله القرب والرحب [و10] ولين القلب وتلك مجامع الخيرات. وقال: مبدأ الخيرات كلها العلم، والعلم مفتاحه السؤال، ولا يتم السؤال إلا بمعرفة حقائق السؤال، والعمل بحسبها. والمقصود عند أهل الحقائق أن لا يتحرك العبد حركة و إن دقت، ولا يدع حركة و إن دقت إلا بعلم حق، ليكون عمله كله ظاهراً كان أو باطناً، ومن ظن بغيره أنه مرائي أو على غير طريق مستقيم، فقد اجتمعت فيه الرذائل الثلاثة: الإعجاب والحسد والرياء.

(1) في الاصل بكا.
(2) كلمة مطموسة.
(3) سورة طه، آية 115.
(4) كلمة غير واضحة.
(5) سورة المائدة، آية 13.
(6) كلمة غير واضحة.

أما الإعجاب فإنه لا يظن أحد ذلك على أحد إلا وهـو يرى نفسه غير مراء . وأما الحسد فإنه حسد أخاه على ما ألبسه اللـه من النعمة ، فود أن لم يكن ذلك اللباس ، فادعى أنها ليست بنعمة ، و إنما هي نقمة ، استحقاراً لأخيه أن يكون عنده أهلاً للنعمة . وأما الرياء فإن ذلك ولا بد و إن ظهـر عليه ذلك الإنكـار، وذلك عنده قربـة ، إذ هو عنـده إنكار وأمر بـاطل ، وذلك الإنكار لا يصح أن يـراد الله سبحانـه به ، لأنه إنكـار لم يستند إلى دليل من الأدلة الصحيحة التي بها يكون العمل حقاً ، وعلماً صحيحاً ، وما حصل قربة ولم يرد الله سبحانـه به ، فهو رياء . فينبغي للمريد أن يتقي غـاية الإتقاء أن يظن بأحد من خلق الله رياء [ط10] ولا في عمل من أعمال الإسـلام أنه فيـه على غير استقامـة . فمن تحقق السـؤال وصل إلى العلم ، ومن وصل إلى العلم وفقـه الله عـز وجل وصل إلى العمل ، ومن وصل إلى العمل بحقيقة العلم ، وقع في طريق الإرادة .

طريق التحقيق في الإرادة أن يأخذ المريد نفسه بأفضل مـا قدر عليه وأشده ، لقوله سبحانه : ﴿يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾[1] ، ويدع كل حق له عنـد غيره ، لقوله سبحـانه ﴿قل للـذين آمنوا يغفـروا للـذين لا يرجـون أيام اللـه ليجـزي قومـاً بما كانـوا يكسبون﴾[2] ، فندب إلى ترك الحقوق للكفار ، فتركها للمسلم أولى . ويؤدي إلى كل ذي حق حقه ، من مسلم أو ذمي ، لقـوله سبحانـه ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمـانات إلى أهلها﴾[3] ، ولا يظن بخلق من خلق الله إلا حسناً من التأويل ، لقوله سبحانه ﴿وقولوا للناس حسناً﴾[4] والقـول يشتمل على قـول اللســان ، وقـول الضمير . وبعض العلماء يقولـون في الآية أنها محكمة ، وعلى عمـومها ، حتى في اليهود والنصـارى لقوله سبحـانه للناس ــ قوله سبحـانه ﴿فيتبعـون أحسنه﴾[5] هــو الأس الأعظم في طــريق الإرادة ، ويصلح عند كل عمل ، فتأمل فيـه وعنده ، ولا عون إلا من الله ، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلي [و11] العظيم .

---

(1) سورة الزمر ، آية 18 .
(2) سورة الجاثية ، آية 14 .
(3) سورة النساء ، آية 58 .
(4) سورة البقرة ، آية 83 .
(5) سورة الزمر ، آية 18 .

اختلاف العلماء في طريق الإرادة رحمة، فمن الأعمال والـرياضات، ما لا ينتظم إلا بأن يجد المريد فيه خلافاً لبعض العلماء.

فصـــل

إذا رسخ [الإيمان][1] بالتكـرار والاستقرار ورسوخ العادة صـار العدوان والظلـم في حق المؤمن كالمحـال، وإليه الإشارة بقـول الحق سبحانـه في قوله: ﴿ومـا كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾[2] صار قتله له خطأ، لإبعاده الإيمان الراسخ وما اشتمل عليه من غـريـزة العدل، ومنـافـرة غـريزة الظلم والعـدوان وإن لم يكن ذلك محالاً في الحقيقـة، واستعمل هـذا اللفظ في المحال بـالعادة، كما استعمل في المحـال بالحقيقـة، قال اللـه سبحانه ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾[3] أي هو محال في حقه بالحقيقة، وقوله عز وجل ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾[4] اي ذلك محال في حقكم.

والإيمان الراسخ هو الإيمان الذي مرت عليه الليالي، ودرجت وراءه الأيام، وشجرته تسقى بماء الطـاعـة، وتلقح بلقاح الأدب، وتنظـف مسالكـه إلى القلب من أضـداده وأسبابها، وهو الإيمان المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾[5]، فاجتهد في الـرغبة [ط11] إلى اللـه سبحانـه وبمطاوعـة امـره، ونهيه، كما حـد لك في تحصيل إيمان الراسخين، فإن حصلت في مجالـه، وتحققت برجائه، فهـو الفوز الأعلى، وإن قطعت بك القواطع، ونور العزيمة في قلبك ساطع فالمرء مع من أحب ومولى القوم منهم.

* * *

---

(1) في الاصل أيمن.
(2) سورة النساء، آية 92.
(3) سورة مريم، آية 35.
(4) سورة النمل، آية 60.
(5) سورة الحجرات، آية 7.

فصـــل

قال الله سبحانه : ﴿إذ قـالت إمرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾[1] الآية . فبـدأت بالإخلاص للـه سبحانه ، وثنتـه بالتعوذ من الشيطـان الرجيم ، فحصل القبـول ، وكمل المأمول . فمـريم أشرف نساء العـالمين ، وعيسى عليه السـلام والتسليم [. . . يد][2]النبيين ، والآية الباقية في الغابرين ، ونظر زكريا عليه السلام إلى مريم فكأنه حركه لزومها المحراب للعبادة وخشيتها بطـريق غير العادة إلى الدعاء في الذرية الطيبة ، فـرزقه اللـه يحيى عليـه السـلام ، لم يعمل خطيئـة ، ولا هَمَّ بها فكان ذلك مـن بركـات إخلاص امرأة عمران وتعوذها بالله سبحـانه . فعليك يالإخلاص والتعوذ بالله إن كنت محباً في أن تحمد عقباك وتنتهي بركتك إلى من [سواك] .

* * *

فصـــل

في الثـابت عن النبي صلى الله عليـه وسلم (حفت الجنـة بالمكـاره)[3]، يعني بها المشقات ، وأن أهل الجنة وهـم المؤمنون لازمهم البلاء [و12] وفاقت عليهم في مبادئهم الأشياء ، وليس المحفـوف بالمكـاره عين الجنة ، ولكن استحقـاقها بفضل اللـه ورحمته ، فمن أين للوادع الساكن المتنعم بـدنياه ، المتألم بما ذكر له من أمـر أخراه ، أن يظن بنفسه أنه من أهل النجاة والفوز، هيهات ﴿ألم * أحسب النـاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[4]. والفتنة هـا هنا المشقة والمكروه لقـوله في الآية الأخرى المنـاسبة لها ﴿وإن أصـابتـه فتنـة انقلب على وجهه خسر الـدنيـا والآخـرة﴾[5]، ﴿ولقـد فتنـا الـذين من

---

(1) سورة آل عمران ، آية 35 .
(2) كلمة غير مقروءة .
(3) أخرجه مسلـم في صحيحه جـ 4، ص 2174 باب الجنـة وصفة نعيمها ـ وصـدره (حفت النار بـالشهوات) وفي صحيـح البخاري جــ 11، ص 320 بلفظ (حجبت النـار بالشهـوات، وحجبت الجنة بالمكاره) والرقائق: باب حجبت النار بالشهوات .
(4) سورة العنكبوت ، آية 1 ، 2 .
(5) سورة الحج ، آية 11 .

قبلهم﴾[1] نبه سبحانه أن ذلك سنته في خلقه، وعادة مشيئته في عباده، وبريته، ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[2]. نبه على أن المشقة والمكروه هو الذي بين صدق الصادق في الإيمان، وكذب الكاذب. فمن سلم من المشقات والمكاره، بطل دليل صدقه على إيمانه، ولذلك قال عليه السلام في الثابت عنه: اشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل[3]، يعني أن حظوظهم في البلايا على وفق حظوظهم في الشرف عند الله سبحانه، فإن بلاياه من عطاياه، بل من أشرفها، ثم قال عليه السلام: ثم تبقى حثالة كحثالة الشعير [ط12] لا يبالي الله بهم. وقال نبيه صلى الله عليه وسلم أن صاحب الدنيا إذا كان فيها سليماً من البلايا والرزايا ممن لا يبالي الله بهم. قاله وفي معناه ما روي أن المؤمن ملقى، والكافر موقى، وفي قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره، وأهل الجنة هم المخصوصون بعناية الله سبحانه وفوائد لطفه، وأن البلاء عناية من الله سبحانه بعبده، وقال الله سبحانه ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء﴾[4] الآية. فنبه أن البأساء والضراء من سنته القديمة، المختصة بصفوته الكريمة، وقوله: ﴿ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾[5]. أي لما يصيبكم مثل ما أصابهم من البأساء والضراء، ظاهر أنه أنكر عليهم ما حسبوه وظنوه من السلامة في الدنيا، والنعيم فيها، في حال الإيمان. وقد سلفت سنته سبحانه بأن أهل الإيمان سنتهم البأساء والضراء، والإيمان طريق المؤمن إلى الجنة، وقد أخبرهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنها حفت بالمكاره، وقوله ﴿متى نصر الله﴾[6]أي لما انتهى البلاء منتهاه، وبلغ مداه، خافوا أن يفوتهم نصر الله في الحال، فيضعفوا عن حمل أعباء ما كلفوه، وأقرب ما يكون الزلل من العبد في أضيق أحواله [و13] عليه.

(1) سورة العنكبوت، آية 3.
(2) سورة العنكبوت، آية 3.
(3) أخرجه أحمد في مسنده جـ1 ص ص 172، 174، والترمذي في جامعه جـ3 ص286 وقال حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى وابن ماجة، وابن حبان، والحاكم وقد ذكره البخاري في صحيحه فقال باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل جـ1 ص111 كتاب المرضى.
(4) سورة البقرة، آية 214.
(5) سورة البقرة، آية 214.
(6) سورة البقرة، آية 214.

وقلوب الأصفياء لا تخلو من الخوف ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[1] فمن تلطفه عليهم وتحننه إليهم نفَّس عليهم شد الخناق، وحل عن أسرارهم عقد النطاق، وناداهم نداء البر والإشفاق ﴿ألا إنّ نصر الله قريب﴾[2] ولم يقولوا متى نصر الله حتى لم يشاهدوا باليقين ناصراً إلاّ عند الله سبحانه. فكانت البشرى نصراً لبواطنهم عند مشاهدة الوحدانية بالنصرة، وانفراد الربوبية بالأثرة، فنزلت أجناد السكينة والطمأنينة، وانهزمت أجناد الخوف [والشرك؟][3]. ولما لبست القلوب أردية النصر، وخلعت أردية القهر، عزت بعزتها الظواهر، وثبتت بثبوتها، فحينئذ خف البلاء، وانهزم الأعداء، وفي قوله عز وجل يقول الرسول، فبدأ به إشارة إلى قوله أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء، فبدأ بهم، وإنما يطلب النصر من كان في مجاهدة أعدائه. فالآية مشتملة على أنه لا بد لكل مؤمن من جهاد شديد يقال في مثله، متى نصر الله لطول أمد المجاهدة، وامتداد أيام ظهور الأعداء.

فيا طالب حقيقة الإيمان فيما تلقاه من المكاره والشدائد، ومجاهدة الأعداء، وعناية الله بك [ط 13] فاثبت ثبات الأقوياء، وسلم تسليم الأولياء ولا تفشل فشل الأنذال، فتسقط من عين ذي الجلال، وإن لم تزل بريئاً من الرزايا، بعيداً عن البلايا، نقي الحال، رضي البال، فانظر لنفسك، فإن أظهر شأنك أنك تظن أنك مؤمن شديد، وأنت شيطان مريد، والبلاء ضربان: بلاء يحول بينك وبين الشر، وبلاء يحول بينك وبين الخير، فأحدهما إنذار عاجل، وعقوبة [تنشد؟][4] إلى قيام حجة الحق على الخلق، وهو الذي يحول بينك وبين الخير. والبلاء الآخر هو البلاء المحمود وسببه النية والجود فلا بد من الهم والغم لكل مؤمن وكافر، ومتق وفاجر، ومطيع وعاص، وقريب وقاص، فإن الدنيا دار أنكاد، ومبنية على صلاح وفساد، فلا تحسب أيضاً كل مكروه دليلاً على الإيمان، ولكن التفت إلى الغاية والطريق، فإنها علامة الخذلان والتوفيق.

***

(1) سورة الأعراف، آية 99.
(2) سورة البقرة، آية 214.
(3) كلمة غير واضحة.
(4) كلمة غير واضحة.

فصـــل

لا بد لكل طالب علم حقيقي من ثلاثة أشياء . :

أحدها : معرفة الإنصاف ولزومه الأوصاف .

والثاني : تمييز وجه السؤال ، وتجريده من عموم جهات الإشكال .

والثالث : تحقيق الفرق بين الخلاف والاختلاف .

وقال رضي الله عنه :

الأسباب [و 14] التي يكـون بها الغلط والمغـالطة ، وهـو رأس الخلاف المذمـوم في الشرائع والعلوم وهي عشرة :

أحدها : القياس المعارض للحقائق والأُصول .

والثاني : الظاهر المناقض للأوصاف المتعارض الأطراف .

والثالث : التقليد على حكم العصبية .

والرابع : المصلحة الفلسفية التي عمادها ونهايتها السلامة الدنيوية .

والخامس : التأويل البـاطني وهـــو إضـافـة المعنى إلى مـا لا يصلح لـه حكماً ولا حكمة .

والسادس : التكلف وهو التصدي للعلم أو العمل قبل تحصيل شروطه وآلاته .

والسابع : الاستبداد وهو (الاكتفاء)[1] بالنفس قبل تحقيق درجة الإمـامة في المتوجه إليه من علم أو عمل .

والثامن : التـلاعب وهو التعـويل على الرخص ، والاعتماد على المترخصين من غير عناية بحقائق العلم ، ولا بحقائق الورع .

والتاسع : العجلة وهو الاكتفاء بأوائل الادلة ومبادئها ، دون غايتها ومناهيها .

والعـاشر: الإبطاء وهـو طلب الزيـادة على المقـدار الواجب في تصحيح كيفيـات الأعمال ، وترجيح وجود أدلة العلوم ، ولهذا الكلام شرح .

---

(1) كلمة مطموسة .

وقال رحمه الله :

[ط14] المذموم على الحقيقة ما ذمه الله ورسوله ، وأصنافه بلسان الشرع الكفر والأهواء[1] والمعاصي ، وإيثار الدنيا على الآخرة ، وإذا أنعم الله على العبد أن يكون الإيمان شعاره ، والسنة دثاره ، والطاعة داره ، والزهد في الدنيا عن اختيار الآخرة قراره ، فقد أحبه والسلامة من كل ما ذمه الله ورسوله في السلامة من ستة مذاهب أنكرها الدين وذمها ، وهي السموم القاتلة ، ولا بد لمن تعلم العلم من معرفتها وتمييزها .

مذهب التقليد المذموم بألسنة العلماء المشابه للقدوة والاتباع وليس به .

ومذهب القياس المذموم بألسنة الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم ، المشابه لآراء الفقهاء وقياسهم وليس به .

ومذهب التكلف وهو الذي حرمه الله وأمر رسوله عليه السلام أن يتبرأ منه في قوله عز وجل ﴿ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾[2] .

ومذهب الفلسفة وهو الذي يشابه مذهب العقلاء بالحقيقة وليس به .

ومذهب الظاهرية يشابه مذهب رواة الحديث والفقهاء وليس به .

ومذهب العبث نبه القرآن عليه في قوله عز وجل ﴿وذر الذين [و15] اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾[3] الآية .

وهذه الستة مذاهب العبد محمول عليها إلا من عصم الله وأمره بالتوفيق والتسليم للكتاب والسنة والبراءة عن أمر مولاه من نفسه وهواه ، وتكون هذه المذاهب في السؤال والجواب وتسري من العلم إلى العمل ، فالمقلد هو الذي إذا نزلت به نازلة فزع قصداً ، وعمد إلى غير الأشهر بالدين والفضل والرأي السديد في علم تلك النازلة ، وعول فيها على غير الأبين ، وذلك تقليد . فإن فزع إلى الاشهر بالدين والفضل والرأي السديد ، فذلك هو القدوة والاتباع المحمود طبعاً ، المأمور به شرعاً ، فإذا قوي كل واحد من الأمرين صار مذهباً ، فإذا العبد في رأس من رؤوس المذمومات ، معرض للآفات وهو

---

(1) في الأصل الأهوى .
(2) سورة صَ ، آية 86 .
(3) سورة الأنعام ، آية 70 .

التقليد، إن إدركه شؤم هواه وإيثاره لنفسه على مولاه، وإذا هو في رأس من رؤوس البركات، ومبادىء السعادات وهو القدوة، وذلك خصوص من الله سبحانه.

ومذهب القياس المذموم هو تعليل الصورة بالصورة، والظاهر بالظاهر، قصداً عمداً من غير [ط15] التفات إلى الحقيقة، ولا مبالاة بها، ومثاله أن يقول الراكب للماشي سلم علي مبتدئاً، لأني بمنزلة القاعد على مكان عال. فهذا قياس مذموم، ليس من فقه الفقهاء وقياسهم في شيء، لأنه خالف النبي صلى الله عليه وسلم وأبطل الحقيقة. وذلك أنه مفهوم معلوم أن الراكب إنما أمر بابتداء السلام على الماشي لتظهر (براءته) [1]بشاهد الإسلام من الكبر والخيلاء المظنون بالراكب. فإذا قال ابدؤني بالسلام وأنا راكب وأنتم مشاة، فقد أظهر الكبر من نفسه ونص عليه وبينه. فالحقيقة في مسألتنا أن لا يبتدأ بالسلام وهو ماش أو جالس، وإن تكلفه هو أن يبتدىء به، حتى تصح توبته، ويثبت تواضعه، ويقاس حينئذ مشيه وجلوسه على ركوبه، وهذا هو قياس الفقهاء ورأيهم، والدين يقبله، والعقل يحتمله، بخلاف القياس الآخر.

ومذهب التكلف هو أن يتصدى العبد إلى ما ليس بأهله من السؤال والجواب، أو الدليل والاستدلال، أو غير ذلك من الأعمال، ويستغني بنفسه وعقله ورأيه عن الأئمة الذين هم في تلك النازلة أئمة العلم والعمل، وهذا بين في العامل بنفسه، والمستدل [و16] بنفسه، ومن التكلف سؤال الرجل في علم أو عمل، على أنه من طلبة ذلك العلم وأهله، وسؤاله سؤال عامي، والعامي يسأل ليعمل فيذكر ما نزل، والمسؤول يحقق ما حصل ويبين بياناً يمنع السائل من ان يتأول، والطالب يسأل ليعلم، فمن حقه أن يسأل عن مسألة بمسألة أخرى.

ومذهب الفلاسفة هو العمل بتقديم الأصلح في الدنيا، على الأصلح في الدين قصداً عمداً، فمن شعر أن المقصود إليه أصلح في الدنيا، ولم يشعر بما وراءه، ظن أن الأمر حق، وقامت بذلك سياسته، واتفق عند كثير من الخلق بذلك الوجه خلاف الحق. ومن شعر بأن ذلك وإن كان أصلح في الدنيا، فخلافه وغيره أصلح في الآخرة، عرف أن ذلك باطل شبه بالحق ومُوِّه.

---

(1) في الأصل براته.

ومذهب الظاهـر المذموم الذي سقط فيه داود بن علي وأشياعـه، ولا قدوة لهم فيه إلا الخوارج في وقت الصحـابة، وأهل النفـاق في وقت الـرسـالة هـو العمل بما سبق في ظاهر الأمر من مسموع آيـة أو حديث أو مسألة أو غير ذلك، من غير التفات إلى ذلك السابق، وتمحيصه بشواهد [ط16] الأصول وتلخيصـه ليتميز الـرأي في الصحيح من المدخول، وهو الظـاهر غير المشهود له، المصمم عليه، المجهـول هو المنبىء إليه، وكما قيل في الظاهرية المذمومة من أخـلاق الكلاب، فإنها إذا رميت بالأحجار أقبلت عليه، تعضه وتقف عنـده في أنه هو الضارب، والضـارب في الحقيقة راميه، والظـاهري يقف عند السابق من المسموع ويصمم عليه، ويدع ما وراءه من الفقه والعلم.

ومـذهب العبث أن يعمل العـامـل أو يقـول القـائل لا عن رأي صحيح، وأصل ثـابت، وقاعـدة من النيـة، والحال الحاضرة راسخة، والبين لنفسـه لا سؤال فيـه، من حيث هو بين وما ليس ببين بنفسه، فالمسألة شائقة فيه لأهله، والخلاف في البين بنفسه مردود، فإن كان في عين الإيمان كان كفراً، وإن كان في عين السنـة كان بدعة، فلذلك لا يعذر كـافر ولا مبتدع، لأنهم خـالفوا في البين والتكـذيب والإنكار في عين الإيمان، وعين السنة الـذي هو ني الحقيقة كفر وبـدعة، هو الذي جـر إلى تأول المعجزات ودفع الكرامات.

والستة مـذاهب المذكورة لها في الظاهر قـاعدتان: العجلـة وهي التقدم قبل العلم [و17] والثـانيـة الإدلال وهي التأخـر بعـد البيان عما يـوجبـه البيـان، ولها في البـاطن قاعدتان: حب الرياسة وحب الـراحة. والنفس تنقاد للوهم كما تنقاد الحقيقة للعلم، والعقل المؤيد بـالعلم إذا كان التوفيق، فإذا كـان الخذلان حكم الوهم، وسلم العقل، وفات العلم، وسفلت الحقيقة، وانتشرت الظلمة بارتفاع نور البيان، وظهر سلطان نور الهوى والعصمة بيد الله سبحانه.

كل علم وقف عند الحس وجوداً أو تقديراً، وكان يقيناً زاد في العقل زيادة صورة لا زيادة حقيقة، والفلسفة الصحيحـة سر ذلك، فأما علم الكتاب والسنة بحكم الغيب وشاهد حقيقة الإيمان، فليس للحسن فيه نصيب ومزيده حقيقة العقل.

وقال رحمه الله :

العلوم أربعة : علم في لسان وعموم الخلق أولى به من خصوصهم .
وعلم في عقل وأحوال صاحبه تتشابه .
وعلم في قلب وخصوص الخلق أولى به من عمومهم .
وعلم في سر وصاحبه صاحب شر أو بر.

ومن كلامه رضي الله عنه :

تحقيق ترك العمل اتكالاً على سابق القدر تعطيل وشقاء ، والعمل على غير إيمان بالقدر إخلال وعناء ، في [ط17] تسويف أسباب التوبة إزدياد من التضمخ بأنجاس الجربة ، ومثله كمثل إنسان في مرحاض غمرته الأقذار والأوساخ ويشق عليه التخلي والانسلاخ منها ، فإذا دعي إلى أن يخرج مما هو فيه تعلل للإقامة وتثاقل عن الكرامة ، المجنون خير منه حالاً وأرجى مالاً. فليس من تدنس اختياراً كمن تدنس اضطراراً ، لا بد من شقاء أو سعادة إلا بالعمل على اليقين ، ولا عمل على اليقين إلا بعد صحة الخوف من الله سبحانه والرجاء له ، ومن خافه على الحقيقة ، ورجاه على الحقيقة لم يكن إلا بين ثبوت في محل الرضى وهو الطاعة ، أو زوال عن محل الغضب وهو المعصية والثبوت من صفة المخلصين والزوال من صفة التوابين و﴿الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1] وقال التوبة العليا وهي التوبة من كل شيء ، لا يستطيعها إلا الأنبياء والخاصة من الأولياء عليهم السلام بعصمة الله سبحانه لهم .

وأما التوبة من بعض الأشياء رفقاً في رفق ، واستراحاً في صدق فما عجز عنها إلا الضعفاء السخفاء ، وبخذلان الله لهم عجزوا ، ومن توصل بالله سبحانه وصل ، لا بد للإنسان من حركة في صلاح أو فساد ، والحركة واحدة بعينها في الجهتين وإنما صارت الحركة خفيفة [و18] في أحدهما ، ثقيلة في الأخرى بقوة الجر وضعفه ، فمن ضعف جره في جهة ثقلت عليه وصارت بغيضة إليه ، فإن كانت تلك الجهة خيراً ، فالخذلان أقعده وصده ، وإن كانت شراً فالتوفيق أنهضه وأمده ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾[2] فإن كان لك

(1) سورة البقرة، آية 222.
(2) سورة الحجرات، آية 7.

إيمان لا يشوبه فسوق ولا كفر ولا عصيان، فأنت بنعمة الله وفضله رشيد حميد وإن خالط إيمانك شيء من ذلك فأنت سفيه ذميم ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾[1].

من أحب سلوك الطريق وخاف الحيرة تشوف تشوفاً صادقاً للتنبيه، وبكى للدليل في طلب الإرشاد، بكاء الصبي بين يدي أبيه، ومن أراد الوصول وحرم الدخول تعلق بالاسباب وحام أبداً حول الباب وينشد:

مَرَرْتُ عَلَى الدِّيَارِ ديارِ ليلى ... أُقَبِّلُ ذا الجدار وذا الجدارا

وما حُبُّ الديارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... ولكن حُب من سكن الدِّيارا[2]

* * *

فصل

كيف يفلح من لا يرى مفلحاً؟ وكيف يراه من لا يعرفه؟ وكيف يعرفه من لو رآه لا ينصفه؟ وكيف [ط18] ينصفه من هو له بأفعاله وأقواله وسائر أحواله مناقض، وفي غير سبيل النجاة التي هي سبيله ناهض.

* * *

فصل

الصديق المطلق هو الذي ينفعك بكل ما أمكنك في كل شيء، من دينك ودنياك، ولا يكون ذلك إلا فيمن رسخ عنده الإيمان، ودلته على وجوه المضار والمنافع حقائق العلم، وكانت صداقته لك عنده عملاً لا يتم عنده إلا بغاية الإخلاص لله سبحانه فيه، ومن ترقى إلى هذه الدرجة من الإيمان والعلم والإخلاص فقد حصل في محل الولاية والاختصاص، وحجبه الله سبحانه صيانة لصدقه إلا عن أمثاله من خلقه، فما ابعده

(1) سورة الممتحنة، آية 10.

(2) شعر قيس بن الملوح؟؟

من النجاح، وأقربـه من اليأس من طلب صديقاً مخلصا بين النـاس، فإن كنت صادق النيـة في ابتغـائه، فـاقبل على الحق بتصحيح البعـاد عن الخلق، فإذا رأوك عـرفـوك فأنصفوك، وأما ما دمت بين الأوزار وأربـابها متردداً، تزعم أن قلبك يهواهم، ويتجافى عمن سـواهم، فـلا يصـل إليك منهم مـا تتـوخـاه، فـإنـه لا يعلم الغيب إلا اللـه سبحانه[1].

* * *

فصـــل

المتأدب بآداب الحق سبحانه، صحبة الـوحش أحب إليه من صحبة الإنسان فهو يلزم النفار، ويسكن القفار، يكتفي بمن صحبه [و19] في الدين لا تضير وينشد:

عَوَي الذِّئْبُ فاسْتَأْنَسْتُ بالذِّئْبِ إذْ   عَوَى وصَوَّتَ إنْسَانٌ فَكِدْتُ أطيـر

فالصادق الإرادة في طلبهم لا بد له من الخلوة هي بابه ومنها ينتظم ويلتئم أسبابه.

ومن كلا مه رضي الله عنه:

* * *

فصـــل

الـدين لا يتم إلا بحقيقة اليقين، فـذلك كـان حق المفتي أن يفتي بأقل مـا يشغل الذمة، لأنه هـو الذي يتعلق به يقينه في اشتغال الذمـة. وحق المستفتي ان يأخذ بأكثر ما يقدر عليه من شغل الذمة لأنه هو الذي يحصل به يقينه، وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقولـه؟ (استفت قلبك، وإن أفتاك المفتون)[2]. يريـد أنه لا تبرأ ذمتك إلا

---

(1) مقتبسة من الآية الكريمة ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾. سورة النمل، آية 65.

(2) أخرجه أحمدفي مسنده جـ 4، ص 227، 228، والدارمي جـ 2، ص 161 «البيوع: باب دع ما يريبك إلى ما يريبك وفي سنده كلام، لكن له شواهد تقويه.

ببراءة يقين بكل ما أفتاك به المفتون، فلا ينفعك من الفتاوى إلا ما قارنه اليقين لأنك إذا عملته حصل لك براءة الذمة وذلك لا يعلمه على الحقيقة إلا الله سبحانه، ومن الخلق إلا المستفتي هو أعلم بحقيقة حاله، فالفقيه على الحقيقة الذي يسمى عاملاً هو الذي يوافق علمه عمله، فإذا أفتى غيره أفتى بأقل ما يقدر عليه، لانه هو جهة يقينه فيما يشغل ذمة غيره، وإذا عمل، عمل بأكثر مما يقدر عليه، لأنه هو جهة يقينه فيما [ط19] تبرأ به ذمته، وهذا هو الجمع بين الفقه والورع في حق المفتي، فأما السائل إذا سمع الفتوى بأقل ما يشغل ذمته فعمل بأكثر ما يشغل ذمته لليقين بالبراءة، فهو الجمع بين الفقه والورع في حق المستفتي ولا يحصل اليقين في الدين للعمال في براءة الذمم إلا بجمع الورع والفقه وقد اقتصر أكثر الخلق على الفقه ولا ورع، فبطل اليقين وضعف الدين بذلك.

خاطر يقين غير ذلك اليقين وهو العلم الموروث، وعلامة الخصوص الأشراف كمال المتواضعين لا يكون إلا في محلين: أحدهما نقصان الفطرة، والثاني نقصان الرياضة للنفس.

ونقصان الفطرة هو عجزها عن تحصيل الدلالات بمبادئها ونهاياتها ووقوفها قبل الدلالات أو مع بدايات منها بالحيلة والطبع، وكلما نقص من حقيقة شيء فهو تمامها، فإنه بداية.

وأما نقصان الرياضة للنفس فقد يراد بها تصريفها فيما تأخذ وفيما تدع، بقاهر الاهواء دون حاكم العلم والاستبراء.

وكمال الفطرة هو إدراك حقائق الدلالة بالسلوك، من مبادئها إلى نهاياتها فإن اتصل بها خذلان الله لصاحبها انطفأ[1] نورها [و20] ووقف عند الخسائس انتشارها وظهورها، وإن اتصل بها من الله سبحانه توفيقه وتأييده، كان انتشارها وظهورها في الإيمان وأحواله ومقاماته وآياته.

وكمال رياضة النفس بما تقبل به حقيقة التواضع ، فهو أول منازلها من الاستعداد لقبول محض الحق واحتمال أنوار الصدق، والتصدي لسلوك سبيل قبول محض التؤدة

---

(1) في الأصل انطفى.

والرفق، ويتصل بذلك أنـه من فقد حقيقة التواضع استغنى بنفسـه عن القدوة فتركها، ومن تـرك القدوة، فقد العلـم، ومن فقد العلم، فقـد الدلالات، ومن فقـد الدلالات تحير، فتخلف وسلك بنفسـه، ومن سلك بنفســه فكـوشف، كـوشف بنفسـه، ومن كوشف بنفسه، عَمِيَ عن مشـاهدة ربه وخالقه، ولم يرَ إلا نفسـه، ومن لم يرَ إلا نفسه، عظمها، ومن عظم نفسـه، استحق ما سـواها، وهذا مـوضع تلفه، لأنه في ظـاهره في أعلى عليين، وبحقيقتـه وهـو الكبر على العلماء واستحقـار [ط20] الرفقة والـرفقاء في أسفل السافلين.

والأدواء الباطنة قل مـا وردت عليها العافية، أو سلك إليهـا الشفاء أو عرف كيف يداوي أهلهـا الأطباء، ولا يمتنع أن يكون من وجـود ذلك من القدوة ما لا يهتـدي إليه العلماء إلا أن يأذن الله سبحانه لمن يشاء.

خاطر آخر

أول اتصال الأشياء بالعبد: العبد كلام تـرسمه القدرة في حقيقة الموجود، فإن قام لتلك الرسـوم ما طاق في جملة العبـد، فهو الهذر وكثرة الكلام، وهـو أول منازل الحمق ومفـارقة العقـلاء، وهو في هـذا ظهـر للشعراء الـذين هم في خـدمة الشعـر، بتحسين الباطل وترميمه، وتقبيح شأن الحق وتهجينه، وفيه ظهر كل علم حقيقته الجدال، وكان صاحب هذا المقام غير محسوب في أهل الدنيا، ولا في أهل الدين والآخرة، وهي البطالة المحضة والتخليط التام.

والمكشوف له من هذه الطبقة يصدق بصـدق الموهم. ويكذب بكذبه، ومن هذه المشكاة نظر الشيـاطين إلى الغيب، ثم حدثوا عنه فأصابـوا وأخطأوا ولكنهم أصابوا غير محمـودين ولا مأجـورين، واخطأوا مـذمومين مهجـورين، فإن لم يكن لتلك الـرسـوم سلطان في جملة العبد إلا سلطان الأفعـال الصادرة عنه، حتى كان [و21] العمل أحق به من القول، فهـو العقل الذي تنتشي (به)[1] حقيقة الدنيا، وحقيقـة الدين والآخرة، فإن اتزنت الأفعال بميزان الهوى، وعنه ظهرت ثم انتظمت، فهو الوهي والمكر، وهؤلاء عمار الدنيـا المذمومـة، ولهم قامت، ومعها يكـونون. وبعد الموت حيـث كانت، وهم

(1) زيادة حتى تستقيم الجملة.

المتبعون في كل باطل وضلالة، وهم أرجى من الطبقة الأولى، لأنهم لقبول الحق المحض إذا أقبلوا عليه أحرى.

وإذا اتزنت الأفعال بميزان يقين الصواب في سبيل سلوك الأنفع، ظهر العلم، وانتشر العلماء، وعرفهم من كان في طلبهم صادقاً، فإن أخذت الدلالات التي بها قيام العرف والعادة والوهم الجاري على نظامها، ظهرت الفلسفة والفلاسفة، وانتشر الدين الوهمي الذي يظن به أنه هو الدين الحق، وليس به، ومن ها هنا حسنت آراء كثير من الناس بالفلسفة والفلاسفة.

وإن أخذت الدلالات التي بها قيام حقيقة العلم من الإقرار بالرسل عليهم السلام، والاعتراف بما جاءوا به من العلوم والشرائع، ويظنوه من الأعلام والآيات، وأشاروا إليه.

من المبادىء والغايات ظهر الإيمان والمؤمنون على انتظام [ط21] رفقائهم، واختلاف طبقاتهم فإن كيلت أفعال الإيمان بمكيال الرغبة والرهبة والرقبة وعبد العبد بإيمانه مولاه، كأنه يراه، ظهرت أوائل الإرادة، ثم نشأت عنها إذا صدقت المقامات والأحوال حتى تصير ولاية خاصة ثم معرفة تامة في إقامة أحوال الشريعة على الجوارح بحقيقة النصيحة وغاية الجهد والاستطاعة، جعلنا الله من هؤلاء برحمته وجوده.

ومن كلامه رضي الله عنه:

في قوله سبحانه ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم﴾[1] الآية. هذه من صفة علماء السوء وكبراء أهل الدنيا المغترين بها في جمع الأموال والجاه. فأما قوله سبحانه ﴿إن كثيراً من الأحبار والرهبان﴾[2] فتضمن علماء السوء خصوصاً، بدأ بهم تهديداً وترويعاً، لأنه يوم القيامة، يبدأ بهم في دخول النار تشنيعاً وتسميعاً. وأما قوله ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾[3] فعام في علماء أهل السوء وكبراء الدنيا المغرورين، لم يتواضعوا بالذهب في الدنيا، ولا خشعت جباههم [ذلاً؟][4] بحقائق

(1) سورة التوبة، آية 35.
(2) سورة التوبة، آية 34.
(3) سورة التوبة، آية 34.
(4) كلمة غير واضحة.

الإيمان، ولا تجافت جنوبهم عن المضاجع في طلب [و22] الأمان، ولا نصبت ظهورهم في الركوع والسجود بين يدي الملك المعبود، بل كان الكبر والفخر والسرور بجمع الدنيا في وجوههم بادياً، وناموا [واتكأوا؟][1] بجنوبهم على اللين من أنواع الملبوس، إيثاراً لراحة النفوس عملاً متمادياً، واعتمدوا بظهورهم على صدور المجالس زهواً على الخواطر المجالس، ظاهراً بادياً.

وأي ظهور لم تثقل بأعباء الدين ولا نشطت للقيام بأمور المساكين، بل خفت واستراحت بطرحها لأثقال الأمانة، وقامت بشرائع أمثالها، أهل العجز والخيانة، تمتلىء بقيامه وبخدمته لصاحب الدنيا، نشاطاً وإبساطاً، خديعة ومكرا، وينظر إلى ولي الله، وإلى أطماره وحمومها، نظراً شزراً، حتى إذا جاءت القيامة باليقين، وانفرد بالملك سلطان الحق المبين، وأديلت الدولة للفقراء والمساكين، ونادى مناد الصدق لا جاه إلا لأهل الدين، هنالك أحمي على تلك الحجار من نار العزيز الجبار، فكويت الجباه، إتياناً فيها لأحكام الكآبة والحزن والذل والعار، لأن المال فائدة جمعه وكنزه وإمساكه عن النفقة في سبيل الله التوصل به [ط22] إلى اللذات، واللذة الباطنة إنما مدارها على السرور، وأخص أجزاء الجسد أيضاً بأضداد السرور، وهي الكآبة والحزن وما في معناه، والسرور مقرون به العز والكبر، وآثار السرور أظهر وأخص بالجبهة، وأضداد العز والذل، وهي الذل والعار وما في معناه أيضاً أخص بالجبهة، ففي كل الجباه إبطال آثار ما كانوا فيه من السرور والفرح، والشر والبطر، والعز والفخر، والكبر والعجز، وإبطال آثار ما حصل للفقراء والمساكين، وما أنزل نفسه في ما له منزلتهم فلم ينتفع منه إلا بما تحقق أنه يرضي الله سبحانه من النعيم المقيم في جوار السيد الكريم، وفي ذلك جماع إبطال اللذات الباطنة، وجماع إثبات المكاره والآلام الباطنة.

والكي سببه وعلامته ما اتصل به من ظهور آثار الكآبة والحزن، والذل والعار، وكويت الجنوب لأنها أخص أجزاء الجسد بأعم اللذات الظاهرة التي هي مرافق الجسد لا مرافق الروح والنفس، لأنه يأكل على جنبه لا تتجافى به في قيام الليل، فيكون ممن قال الله فيه ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾[2] وقال ﴿تتجافى جنوبهم عن

---

(1) كلمة غير مقروءة.
(2) سورة الذاريات، آية 17.

المضاجع﴾[1] وقال ﴿يـذكرون اللـه [و23] قيـاماً وقعـوداً وعلى جنـوبهم﴾[2] فكويت الجنوب، إثباتاً لإحكام القلق والاضطراب، والتقلب بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الدعـة والشرف والنعمة، وترك الركـوع والسجود والقيام بين يدي الملك الـرحيم المعبود على غايـة المحبوب، وكـويت الظهور إثبـاتاً لإحكـام الأثقال فيهـا، بدلاً من نشـاطها وانبساطهـا وخوفهـا في ترك الصلوات، وفي تـرك أداء الأمانـات، وخوفهـا في القيام إلى أمثالهم من أهل الـدنيا، وتصدرهم في المجالس بها، على مـا يحظرونها من المواضع على غيرهم كبراً وزهواً.

فالكي في الظهور إثباتاً لإحكام الأثقال فيها، لأن من تحمل الأثقال تطأطأ وانحنى بخلاف ما كـانوا عليه في الدنيـا، من رفع الرؤوس، وصعر الخدود، بخـلاف ما صار إليه أهل الفقر من نعيم الأبد في جوار الواحد الصمد.

هيهات لهم هيهات! لو زهدوا زهد الحقيقة في الفاني القليل لكُلّلَتْ جباههم بأنواع الأكاليل في جوار الملك الجليل، ولو تجافت جنـوبهم عن المضاجع واستوخمت، وثارت المهاجع [ط23] لنامت على السرر المرفوعة الفـرش، والموضوعة على العبقري والنمارق، مع الحور العين العواتق، في جوار الصمد الخالق. ولو قاموا في ظلم الليالي تملقاً إلى ذي الجود والمعالي وخضوعـاً لمولى الموالي لكانوا سراعاً خفافاً إلى زيـارة الرحمن في مراكب أهل الأمان، في جوار الملك الديان.

فياجـامع المال! أسمعت أوصافك؟ فجمِّـع أطرافك إن كنت عـاقلاً، وإن اغمي عليك فاليقين عما قريب واصل إليك، قل بالمال هكـذا وهكذا كما قال نبيك صلى الله عليه وسلم.

---

(1) سورة السجدة، آية ١٦.
(2) سورة آل عمران، آية 191.

وقال رضي الله عنه :

الكون معلوم الحقائق في قوله سبحانه ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[1]. وللكون حياتان : حياة تفنى ، وحياة تبقى . فالدنيا حياة الكون من وقت النشأة إلى وقت النفخة الأولى من نفخات القيامة وهي الحياة الفانية ، وبعد ذلك حياة الكون وهو الآخرة الباقية ، وهي الحياة الحقيقية لقوله سبحانه ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[2] وما بقي ببقاء الدنيا من أصناف الشهوات والأموال فهو متاع الحياة الدنيا وزينتها .

والحياة حركة ، لأن الميت ساكن ، والعبد [و24] موزون بحركته قبل أن توزن عينه ، فالأعين توابع للحركات في أحكام الدنيا والآخرة . قال الله عز وجل في صفة الذين ضل سعيهم أي عملهم وحركاتهم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾[3]. والفاني في لسان العلم وهو المنقطع وجوده من وجود الإيمان ، هو عند الخلق والباقي وجوده بكونه موصول الوجود بوجود الإيمان هو عند الله ، قال عز من قائل ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[4].

والدنيا عند علماء العربية فعل من دنى يدنو، جعلت في الاصل «واو» مدَّ «يا» ، فتغير لفظها ولم يتغير معناها ، وهي من نعوت المؤنث لا من نعوت المذكر، وفسر القرآن العزيز في عدة مواضع أنها من نعوت الحياة ، فقال عز وجل ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾[5]، ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[6] وإنما تعني هذه الحياة الدنيا ، ودنو الحياة هو فناؤها وانقطاعها وزوالها في سرعة ، لقوله تعالى : ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى﴾[7] والكون كله ميت في عينه وحركاته وسائر جهاته ، حتى يتصل وجوده بسكينة إيمانه ونوره ، [ط24] فيكون حياً لقوله سبحانه ﴿أوَمَنْ كان ميتاً فأحييناه ،

---

(1) سورة النحل ، آية 40 .
(2) سورة العنكبوت ، آية 64 .
(3) سورة الكهف ، آية 105 .
(4) سورة النحل ، آية 96 .
(5) سورة الأنعام ، آية 32 .
(6) سورة الكهف ، آية 46 .
(7) سورة الأعلى ، آية 16 ، 17 .

وجعلنا لـه نوراً يمشي به في النـاس كمن مثله في الظلمات﴾[1] الآية. وقال ﴿لينذر من كان حياً﴾[2] وقـال في نعت الأصنام من حيث تعبـد لا من حيث تشهد ﴿أمـوات غير أحياء﴾[3] فنبـه على أن المتوجـه بعبـادته وشهـادتـه إلى ميت ميت، ودليلـه أن المتوجـه بعبادتـه وشهادتـه إلى حي حي، فـالمحمود من الـدنيا مـا كان حيـاً باقيـاً بحياة الإيمان وبقائه، وذلك هـو العلم النافع في الدنيـا والآخرة، والعمل النـافع لعامله عنـد الله في نفسه، أو في نفسه وغيره.

والمذموم من الدنيا ما لم تتصل به حياة الإيمان وبقاؤه فيما يتعلق به المكلف من عين وحركـة. فالمذموم إذاً من الدنيـا هي المعاصي وأصنافها، وهي الكفـر، والأهواء، نعني البدع، ومنزلة الكفـر في البدع منزلة الروح من الجسد، فإن الكفر بدعـة، والبدعة كفر غامض، وكل واحدة منهما عناد بيِّن، وأما المعصيـة وإيثار ما يفنى على ما يبقى، فكل واحدة منهما خيانـة، والعناد البين فيه إبطال جملة الحق، ومنـازعته مستحقة في [و25] كله.

والخيانـة إنما هي إبطال إقـرار بالحق، فـالمعانـد سالم نفسـه وهواه، وعـادى سيده ومولاه، ودفع في حكم قيام الحجـة حقوقه إلى من سواه، وأمـا الخائن فإنه أنصف سيده وأحبط إقراره، فعلى نفسه جنى، وعن حظه تأنى.

فهذه أصناف المذمـومات، وما لا يراد من الأعيان إلا لما أوبقـه سلطانها فيه تبع لها في الذم، وإنما قيل الدَّنيـا في الدُّنيا هي المعاصي، وفي الآخرة عقوبـاتها، لاتصال وجود المعاصي في لسان الحقيقـة بوجود عقوباتها في الـدنيا والآخرة، وأراد بذلك قـائله المذموم من الدنيا، فأما رأيه المؤيد نفسه وعمله لحظه وشغله بِذِكْرِهِ عن مَذْكُورِه، فليست بدنيا في ظاهر الكتـاب والسنة، وموضع الاتصال بـالإيمان العامل، وإنما ذلك دنيا في حكم خاصة الخاصة، وعلى سعي الكتاب والسنة شواهد حقائقها، ولكل مقام مقال.

وأما الليل والنهار فشاهدان للعبد وعليه، وشهداء الله حججه، وحجة الله باقية

---

(1) سورة الأنعام، آية 122.
(2) سورة ياسين، آية 70.
(3) سورة النحل، آية 21.

الحقيقـــة، فإذا اتصل الليل والنهـــار [ط25] بـوجـود الإيمان مـن هـذه الجهـة، فهما منفصلان من الـدنيا، متصلان بـالآخرة، وأما عنـد فنائها بفنـاء الكون (. . .)[1] عند النفخة فهما مـوصولان بالـدنيا. فالحكم فيهـا مفتقر إلى التفصيل، ولما كان أمـد الآخرة يوماً واحداً لقـوله سبحانه ﴿واليوم الآخر﴾ وكان الآخـر من نعته دَلّ ذلك على يوم واحد أول، وذلك هو أمد الـدنيا، كأن بظاهره يـوماً، وبحقيقته أمساً، لأن الدنيـا وأمدها، وسائر توابعها، حقيقتها الفناء، والأمس هو إثبات حقيقة الفناء لليوم.

وأما اليوم الآخر فهو يوم بالظاهـر والحقيقة معاً، فالبقاء نعته، وكل باق من الكون من عين أو حـركة مـوصـول به، وكل كـون فحظـه من الـدنيا بحسب حظـه الأول من النعوت المتقدم ذكرها، فالعبد دنياه حياتـه من وقت نشأته إلى وقت موته الذي هو موته بفراق روحه وجســده ومعاصيه في هذه الحياة، وكل حركـة له مذمومة، دنيا مـذمومة، وطاعاته وكل حـركة له محمودة دنيا محمودة، وليلـه ونهاره بما لهما من الفناء دنيا، وإيثاره ما يفنى [و26] على ما يبقى دنيا فكل ما تحت ذلك من أصنـاف الحركات وماله وبنوه، وشهواته وملابسه، ومراكبـه وسائر الأعيان المتصلة به من حيث يفنى دنياه، ومن حيث يـوجب العقوبـة، دنيا مـذمومـة، ثم هـو ما بين مغفـور له فيـه، وبين معاقب عليـه ومهمل. والإهمال من نعـت حقيقـــة (الفناء)[2]، فما كان على هذا النعـــت فهو أيضاً دنياه.

وآخرة كل عبد حظـه من الإيمان، وثوابه، فإن كان حظـه من الإيمان باطلاً، أو لا حظ له فيـه، أو مشوباً، فـلا آخرة له في لســان الكمال من لسان الحقيقة، ولـه آخرة في لسان العلم. ومن كان حظـه من الإيمان حظاً لا شوب فيه، فهو الذي لـه آخرة بلسان العلم والحقيقة جميعـاً، وأما المشـوب فله آخـرة بلسان العلم، وليس لـه آخرة في حكم الحقيقة فلذلك صمت العلماء عن كثير من أهل الدنيـا، لأن ما شهد فيه حكم الحقيقة دون عينها غامـض، مفتقر إلى نصر قوي، وإيمان سري، وذلك عزيز الـوجود قليل في خاصة الوفود وبالله التوفيق.

---

(1) مكررة «عند الكون».

(2) في الأصل الفنا.

ومن [ط26] كلامه رضي الله عنه:

الخلوة بدايتها التسبب لها بمفارقة الخلق من غير إضرار بدين أحد من خلق الله، ولا إضرار بحق من حقوق الله وحقوق الخلق، أوجب نفس الخلوة مقداراً ما من الليل والنهار بلا عمل، فكيف إذا انضاف إليها ركوع أو قراءة قرآن، أو فكر في علم حق، أو نظر في كتاب؟. ثم إذا وجد العبد بركتها جلبت إليه وهي أول مقامات الإخلاص، ونهايتها في لسان الحكم مغيب العبد بها وهو مشهود بالأبصار، وفي لسان الحقيقة مغيب العبد بها عن الأبصار والبصائر جميعاً، الكشف عن باطن الوجود تدريب، والكشف عن سر تصريف الوجود تقريب.

وبين من رأى دار الملك ومن دخلها فرقان، ومن بهت عند الرؤية حجب عن الدخول، ومن صَمَمَ أو تألّم ناداه منادي القرب أن هلم للأوراد لقاء المرتدي من المريدين برداء الأحزان بعقد البكاء والحزن في كثرته وقلته، بحسب الأيام تفتقد المحبة لله عليك. وماذا أعددت لها من تسليم واعتراف وضراعة بلسان المناجاة إذا كثر الكلام ركب بعضه بعضاً، والحكمة جند منصور تكفي منه الكلمة والكلمتان.

الأصول أربعة: [و27]عيش، وعقل، وعلم، وعبودية. فالعيش لمعاملة النفس، والعقل لمعاملة الخلق، والعلم لمرافقة القلب، والعبودية لمرافقة الرب.

من كتب الأسماء الحسنى من الأخلاق [واليسير؟][1] من الأخلاق لا بجملتها ولكن ثلاثة فقط ثم نظر إليها في أوقات القيام إلى الصلاة، نافلة كانت أو فريضة، فتح له في طهارة بواطنه من سببها وزكاته لحسنها.

لا يكاد من رفق بأهل داره ومحلته حتى رزقهم الله به، مراعاة الصلوات في أوقاتها، وحتى حرض عليها من لم تجب عليه من صغارهم، إلا كفيهم الرزق هو وأهل بيته، ولذلك تجد بيته قل عددها ومددها، وصلح القائم [شرها؟][2] حتى أصلح الله به، إلا مفتوحاً عليهم من حيث لا يحتسبون. محبة الأولياء فرض على الكافة، وفرض فرض على الخاصة.

---

(1) كلمة غير مقروءة.

(2) كلمة غير مقروءة.

وقال رضي الله عنه :

وجد في نفسه مرة ظلمة، ثم وجد بعد ذلك تأويلها، إن رفع الحقائق في الدين من صدره، ونزول معنى ذلك من غير حقيقة.

(٦)

[ط27] الانفتاح الذي أردته وفهمته من الحجة لله عليَّ في أثناء هذه المرة، ما يضيق بأيسره الضرع، ويهلك بأقله الوادي والزرع. فإن قلبتني قدرة الله سبحانه في جهة الغفلة، فلا والله ما أظن في المخلوقات أقبح مني جملة ولا أحق بالمقت، وإذا صرفتني في جهة الذكر لحالي فلا أضيق مني صدراً. ومقام عبد ضعيف بين هاتين الحالتين مقام صعب، إن لم يتداركه مولاه فهو العطب لا عطب سواه.

ولما طال أمد أملي في التوبة، ولم يطمئن قلبي منها إلا إلى ما انشرح به صدري وانفتح لأوله سمعي، عزمت في الخروج عن أهلي ووطني عزيمة قطعتني عنها من الأمور الظاهرة ثلاثة - والله أعلم بالقواطع الباطنة - أولها ضعف جسدي بالكلية عن السفر، والثاني أن ورائي من العيال من لا وجه لفراقه لما عندي من الشفقة عليهم، وعندهم من العجز عن الصبر.

فلما كدت أيأس، فرج الله عني على لسان بعض من ورد علينا، فأخبرني ووثقته وصدقته أنه قد لقي بالفيافي والقفار قوماً لا يؤبه لهم في البلاد إذا دخلوها، ولا تعرف لهم أعيان بوجه، وأنهم موقوفون على الدعاء في صلاح جملة المسلمين. وذكر لي عن بعضهم أنه كان يحفظ [و28] كتاب البزار[1] لا يسقط منه شيئاً، وآخر ما كان عنده من علم العربية والقراءات الحظ الوافر، وآخر كان عنده من علم الفتيا بمذهب مالك رحمه

---

(1) هو الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير توفي 292 هـ.
الذهبي : تذكرة الحفاظ، جـ 2، رقم 675 ص 653.

الله نصيب ظاهر إلى ما ينخرط في هذا السلك من ظاهر العلم. ثم عند الجميع من علم الأحوال والمقامات وأعلام البدايات والنهايات وأصناف الحكم والنفار عن الخلق للشغل بالدعاء لهم ما يرجى بسماعه الرحمة فضلاً عن وجوده.

وذكر لي في جملة حديثه أنه لو وصل خبري إلى رجل منهم، وحقق الله عنده صدقي في طلب هذا الأمر من صحة التوبة، وأذنت أحكام الله سبحانه في الإقبال إليك، لكان شفاؤك على يديه، فتعلق بالي من ذلك الوقت إلى اليوم. وكان ذلك في سنة خمس وعشرين [وخمس مائة] الأدنى إلينا.

وفي جملة ما قال لي: لو صدق لك بعض أصحابك في طلب أحدهم في نواحي المغرب لوجد. فمدار أمري كله على أن حاجتي من الخلق في رجل عالم عامل، يضبطني ضبطة الوالد الحازم العاقل لولده، لا يراني على حال من الغفلة إلا أدبني عليها، بما يحتمله حالي وجسدي من السوط فما دونه، حتى إذا حصلت في جملة السالكين فعل ما أراد الله عز وجل، [لأني خلقت خلقة الصبي والمرأة لا تصلح إلا بقَيِّم، وحققت من حالي هذه تحقيقاً لم يجد الوهم إلى شيء من القدح فيه طريقاً][1].

فإن لم يتفق من هذه [ط28] صفته من الخلق، ولم يكن إليه سبيل في هذه المدة، فلا يأس من روح الله، ولا من رحمة الله. وهذه أُمنيتي ونيتي حتى ألقى ربي عز وجل. وكان من إرادتي ما دمت هكذا ليس لي مؤدب حازم.

لو فتح الله لمن ورائي في شيء من حطام الدنيا حتى يستغنوا به عني، فإنهم ذكروا من الدنيا مقداراً ما، وزعموا أنهم لو وجدوه، لم يبالوا فقدي مدة تتعدى كالشهرين والثلاثة. فلو اتفق لهم ذلك، لكنت أهون على نفسي من السفر في أيام الربيع ونحوها في السنة ما أمكنني، وكنت أبحث على إخواني أذاكرهم شيئاً من العلم في المواضع التي كنت أتوجه إليها، ثم أنصرف إلى أهلي ووطني، فأقضي من حقهم ما يلزمني، فالحاجة الأُولى هي حاجتي، وهذه الأخرى هي لله تعالى حتى يفتح الله.

---

(1) هذه زيادة أضيفت من مخطوطة بن سودة التي نشرها بولس نويا.

له من أخرى[1][إلى أبي الحكم بن برجان][2]

(2)

الفقيه الفاضل أبو الحكم كبيري، أدام الله توفيقه، معظم حقه البَرُّ به أحمد بن محمد، من لو وجد سبيلاً لأتخذ في ذلك الكنف مقيلاً، وإن قرب عملاً لما صنيعه أملاً، ولأمر ما أقام الباري سبحانه صحيح النية في كل الجهات صحيح العمل. ولله الحمد والشكر على كل النعم، باطناً وظاهراً عني وعن كل شيء بالحال وبكل شيء، وأعوذ بالله من نعمة في طيها مكر، ونعم المعاذ من كل مكروه.

وكتب إليه أيضا رحمهما الله

(3)

الله ولي الشيخ الفاضل الإمام أبي الحكم وحافظه من البرية، وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم. سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قد كان من أملي قرب الدار وكر المزار، فمنعت الأقدار، ولا أدري أفي طيها الأعذار أم الأوزار والرب [و29] يعلم ما يفعل ويعفو عن كثير.

---

(1) هذه الرسالة ناقصة في مخطوطة الخزانة الملكية ــ موجودةفي مخطوطة بن سودة وقد ذكرها بولس نويا.

(2)هو عبد السلام بن أبي عبد الرحمن بن أبي الرجال من أهل إشبيلية قال عنه ابن الزبير «كان إماماً في علم الكلام ولغات العرب وعارفاً بالتأويل والتفسير نحوياً بارعاً نقاداً ماهراً، إماماً في كل ما ذكر لا يماثل بقرين مشاركاً في علم الحساب والهندسة، وغير ذلك قد أخذ من كل علم بأوفر حظ مؤثراً بطريقة التصوف وعلم الباطن له عدة مؤلفات منها كتابه في التفسير، وكتاب في تفسير الأسماء الحسنى، وكتاب الإرشاد وغيره.

ابن الزبير الصلة، رقم ٤٥، ص ٣١، ٣٣، الشعراني الطبقات الكبرى، جـ 1 ص 15.

شكايتي التي شكوتها إلى الشيخ الإمام قديماً بحالها، وأعجب شيء فيها أني عرفت الداء والدواء منذ أربعين سنة أو نحوها، فما توانيت ولا تداويت فالأحوال في الظواهر مجتمعة والأعذار في الحقيقة منقطعة.

فأرغب أن لا أخلو من بال الشيخ ودعائه في توبة صالحة صادقة، وفراغ لإقامة فرض شافع نافع. فتح الله لي في مَبَرَّتِك ونفعني بمعرفتك ومحبتك برحمته.

وكتب إليه أيضاً رحمهما الله

(4)

الله ولي الفقيه الإمام أبي الحكم شيخي وكبيري، ورحمة الله وبركاته عليه. من المقتبس منه، المتطلع إلى ما لديه عبد الله الضعيف أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على محمد رسوله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهم! صل حقيقة وجود الشيخ إمامي وكبيري بوجود حقيقة المعرفة بك والتعرف منك، واجعله لمعالم طهارات النفوس زماماً، ولأعلام الهدايات إماماً، وبارك به وعليه بالبركة التي بدايتها من محمد صلوات الله عليه، ونهايتها إليه.

كان من همي أن يصل كتاب [ط29] الشيخ واحدي نظراً، ومتقدمي تسليماً ومعتبراً، بما يتحرك له حامل براهين السمع مني حركة تحول بين النفس وهواها، وتورثها الحياء من مولاها ـ فوصل من ذلك دعاؤه وكتابه وخطه و إعلامه بالمحبة والمودة لي.

وكل ذلك من آثار ما سألته، جل اسمه فيه، ولم يكن عينه، فإني كنت آمل إشارة من إشاراته علمية أو عملية.

ولقد أشكل علي إشكالاً باب من قبول البيان تفصيلاً و إجمالاً: كيف يداوي السكران أو يداوى وسكره غالبه، وقد غفل صديقه واستيقظ مطالبه؟.

اللهم! إنها الحيرة من ضعيف لا عذر فيه، وجود لا قدرة عليه بالحكم إلا لضعيف مغرور.

اللهم! سترك لطافح السكر من حب الدنيا، ميت الحقيقة عن رؤية مشاهد الأخرى، ليس له سواك رب يتولاه، ولا يجد من الجوارح إلا ما ملاه وغلبه هواه.

فإذا أزعجه إليك ما عندك من الجود، أزعجه عنك ما عنده من قبيح الوجود، فارحم وتجاوز عما تعلم. وافتح قلوباً قاسية بمفاتيح العناية فتحاً ننظر به إليك ونستحي به منك!.

وأنت يا إمامي! بحرمة الشيب، اذكرني اذا رقدت عند من له رقدت، أَحَبَّك الذي أحببتني له.

والسلام [و30] معاد مكرر عليك، ورحمة الله وبركاته.

رسائله إلى أبي الحسن بن غالب[1] رضي الله عنهما

(1)

من ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنين، وعلى السلف الصالح أجمعين، وعلى المتبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، سلام على أخي إبى الحسن بن غالب ورحمة الله وبركاته وعلى أهل بيته، إنه حميد مجيد.

أخوه يشكو عجره وبجره، وترك من الأمر أنجعه وأكبره. الناس في الدنيا إما محمول على كاهل الغفلة يرجى له التوفيق فيما بقي له من الطريق، وإما منظور إليه بعين العناية، مأخوذ بيده إلى محل الحفاية. وأخوك بطال معطال، لا من أهل الآخرة فيسيح، ولا من أهل الدنيا فيستريح، فلا تكن يا أخي كذلك، واعلم أنه لا مطية إلى درك الحقائق والتقصي عن شرك العلائق كالهم الصادق والحزن المتناسق. ولا أعلم أوحش من قلب فارغ من ذكر الله سبحانه، وأنا ذاك. فادع الله لنفسك ولأخيك ما استطعت، فإن المظاهر تنسلخ بانسلاخ الظاهر [ط30] وهي الدنيا، وتبقى الحقيقة ببقاء الحقيقة وهي الآخرة، دار ﴿الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[2].

---

(1) وصفه ابن الزبير بـ «شيخ الصوفية في وقته» وقال عنه ابن عبد الملك «إن له في طريقة التصوف مصنفات لا نظير لها» منها كتاب «الاعتبار» وكتاب «الأيام والحجب» وكتاب «اليقين».
ابن الزبير: الصلة، رقم 201 ص 99.
ابن عبد الملك: الذيل والتكملة سفر 5، قسم 1 رقم 415 ص 209.

(2) سورة العنكبوت، آية 64، والآية ﴿وما هذه الحياة إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.

اللهم! إنا نسألك من محبتنا لأوليائك ما يوصل إليك وينفع لديك.

اللهم! إنا نسألك قلوباً تقية وأعمالاً زكية نقية وأن تجعلنا خلفاً من السلف الصالح وبقية! يا الله! يا الله! يا الله! يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها! يا كريم.

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(2)

إلى الفقيه أبي الحسن بن غالب الودود المودود، أحسن الله ذكراه، من أخيه الضعيف أحمد بن محمد عفى الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلِّ على محمد سيد رسلك وعلى آله وسلم تسليماً. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أقام الله لسانك بالصدق، وغمس قلبك في نعيم الرفق غمسة تجعلك رحمة لكافة الخلق، وتوجب لك الزلفى من مراقبة الحق.

لا فرق بين الشكوى إليه والشكوى إلى من أمر به وحض عليه. وإن أخاك لمتلدد في السفلى، متردد حول السؤال. أجهل الناس بقدره وأمقتهم بطوية صدره، لا مع الباكين في مواقف الأحزان، ولا مع اللاهين في مراتع الأنس.

بعدت أنباؤك عنه، فوحشته بك طويلة! ولم يدر كيف حالك وحال إخوانك فمسرته قليلة [و31] كليلة. ما أشبه الليلة عنده بالبارحة، وأقرب اليوم من غد، فبالذي لك أسأله وله أسألك، لا يمنعك من المخاطبة إلا مانع ضرورة واجعل من همك معنى كتابي في السالف الذي لم يكن عليه جواب، وكنت في عام تسعة وعشرين [وخمسمائة] لم يصل إلينا في وجهة المشرق محبور بأنس، ولا محبور بطيبة نفس. فترادف الكرب حتى فتح الله سبحانه بأبي موسى[1] أخينا وابن أبي موسى، فكان بسط، نفعه الله ونفع به.

---

(1) لم استدل على شخصيته ـ لعله موسى بن مسدي جد الحافظ أبو المكارم (أبو بكر) بن أحمد يوسف بن موسى بن مسدي الأندلسي إذ أن الحافظ الذهبي نقل عنه قوله عن ابن العريف هذه العبارة «وصحب جدي موسى بن مسدي، ولعله آخر من بقي من أصحابه».
انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ20 رقم 86 ص 133.

أخوك اليوم تلف، وتساوى عنده ما جهل وما عرف، وعقد على لسانه عقدة من ورائها تقف الحكمة ومن دونها تطّرد ينابيع غير العصمة. وأعجز الناس من اشتكاه أخوه فرقد، وأعجز منه من استبكى وقعد. ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا عذر لمن ولىَّ عن الذكر وجفاه.

وزد في حب إخوانك عني، واقرأهم سلامي عميماً على كل باسمه، والسلام المعاد عليكم ورحمة الله.

وكتب إليه أيضاً

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهم! اغسل جميع جميعنا بماء كرمك من قبيح صنعنا، وخذ بأيدينا إليك أخذك [ط31] بأيدي الكرام عليك.

اللهم! اعتق رقابنا من رق الأهواء، وخلصنا في أدياننا من الأدواء وعرفنا مقاديرنا تعريف عناية وهداية وخلاص من كل الأسواء ﴿تلك آيات الكتاب المبين * لعلك باخع نفسك ألاَّ يكونوا مؤمنين﴾[1] السورة إلى آخرها. ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً * قَيِّماً﴾[2]، إلى قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾[3].

أبى الملك أن يتحقق له ملكه إلا بكمال قدرته، وكمال القدرة يظهر في النقائض والنظائر، وهو كذلك في السر والعلانية والباطن والظاهر. ففي بيان كل شيء لا محالة الفاضل والمفضول، والصحيح والمعلول. فلا يكن في صدرك حرج من أهل بيتك إذا اختلفوا عليك ورموا بأحداقهم إليك، فإنه حكم الله الذي لا يناقض ولا يعارض.

---

(1) سورة الشعراء، آية 2 ـ 3.
(2) سورة الكهف، آية 1 ـ 2.
(3) سورة الكهف، آية 6.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[1]. فلا بد من إقبال وإعراض ومحبة وإبغاض وكشف وإيماض، وسكون وارتماض. فمن ظننت به من أهل بيتك أنه غافل فنصحته فأبى، فلك أجمل أسوة في كتاب الله سبحانه، فقل: ﴿فكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ﴾[2]، وقل: ﴿فقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً﴾[3]، واتل كثيراً قول الله سبحانه ﴿وَلاَ تَحْزَنْ [و32] عَلَيْهِم ولا تَكُ فِي ضِيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الذينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ﴾[4]، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ، فَسِيْرُوا في الأرضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾[5] ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُم﴾[6] الآية، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾[7]، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[8] ومن لم تكن القيامة شرطاً في صحة موعوده، فالدنيا سلطانه المخل بوجوده. والدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما أوى إليه. وهل تؤتى الدنيا إلا جندها؟ أو تبذل إلا ما عندها؟ فما فات منها فليس بفائت.

وبلغني أنك في هذه المدة كابدت وعكاً في مستدير مجهول وجدته حجراً وكنت ظننته كعكاً. أما عندك اليقين بأن ﴿الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾[9] وأنه لو شاء بقدرته أن يطعمك من التراب خير الطعام والشراب لفعل؟.

وربما يا أخي كان لك إخوان في الغيب وأنت لا تدري، إخوان من الناس سكنوا بسكونك ويهتمون بهمك. فاسكن إذا وردت عليك الغموم والهموم تحت واجب العلم والحلم، لا لنفسك ولكن لإخوانك. واتق الله يجعل لك مخرجاً ويغفر لك، فإنه [ط32] ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾[10].

(1) سورة الذاريات، آية 49.
(2) سورة الأعراف، آية 93.
(3) سورة الأنعام، آية 89.
(4) سورة النحل، آية 127، 128.
(5) سورة آل عمران، آية 137.
(6) سورة النحل، آية 37.
(7) سورة النحل، آية 96.
(8) سورة القصص، آية 88.
(9) سورة الذاريات، آية 58.
(10) سورة المدثر، آية 56.

شغلك الله به عمن سواه في عافية، يجمع لك رضاه وإيّانا وإخواننا في ذمة الإسلام عامة وخاصة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضاً

(4)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين، وعلى أهله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً. سلام عليك يا أخي ورحمة الله تعالى وبركاته.

كتبته ولا أكن إن كنت أدري كيف كنت

ولا لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

فإن قلت أني في عافية، فإما كذبت، وإما درت على الكذب. فإنه لا عافية لمن كثرت معاصيه واجتمعت على أدناس المخالف أدانيه وأقاصيه. وإن قلت أني لست في عافية، كفرت نعم الله سبحانه عندي وأنواعها لا تحصى ولا تحد بتواليها ولا تستقصى.

فإن كنت تفهم بلسان الأشكال حقيقة ما عند أخيك المتحير من الأحوال فافهم، وإن كنت مشغولاً بنفسك عن أبناء جنسك فهو لك ولهم أسلم.

سألتني عن وجه حالي في التعليم. وإني فيه لفي العذاب الأليم لكثرة ما يعتريني فيه من الوسواس، إما بيني وبيني، وإما بيني وبين الناس، الأطفال كما علمت [و33] مثلت في نفسي أني وإن كنت آخذ منهم الأجرة، أني لم أجلس لهم من أجلها، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله وقوله عليه السلام: (خَيْرُكُم مَنْ تَعَلَّم القُرْآنَ وعَلَّمه)[1].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه جـ 9، ص 74 «فضائل القرآن».
أخرجه أحمد في المسند جـ 1، ص 58، 59.
النسائي في فضائل القرآن رقم 61، 62.
الترمذي جـ 4 ص 53 وقال حسن صحيح وغيرهم.

وإذا الصبيان لا يبذلون جهداً ولا يفقهون رشـداً، أو ربما كان آباؤهم قريباً منهم: فالأطفال بين داخل وخارج، والآباء بين جاءٍ وخارج. وأشد ما يمر بي سوء الظن بهم، وهم صغار لم تأخذهم الأحكام، ولا تثقفـت منهم الأحلام، ولا جرت عليهم الأقلام. وذلك أني أنظر إلى الصبي فـأفهم كثيراً من الكبر الباطن فيه بما أرى من ظـواهر معـانيه وطلبـه للرئاسـة في أتـرابه وذويـه. وقـد كنت قد حـاضرت النـاس وأنا صغير، فـرأيت جماعات من الأطفال كلهم يرجى صغيراً، فما أفسده كبيراً إلا نـوع من الرئاسة كان فيه. ومر من ذلك علي أمر كثير، فما رأيت قط من ذلك الصنف أنه ساد في كبره سيادة بينة في الدين، وأكثـر من رأيته سـاد في كبره، صبي كان كثير الغفلة في صغـره، لا يدري لأي شيء يصلح، كل أحد في ظاهره وباطنه عنده خير منه: شديد الحياء، قليل الرياء.

رأيت أقواماً من هذا الصنـف رفق الله سبحانه بهم، في الكبر. فمن [ط33] طول ما جربت في ذلك، وقع فيَّ شيء [جسيم؟][1]لا يزيله شي أبداً. إني والله لو رأيت ولياً للـه يمشي على الماء أو في الهواء أو يعطى القوة في جميع الأشيـاء حتى يبلغ ذروة السماء، وفهمت منه أنه يشتغل بذكر خطة مـن خطط الدنياأو تتعلق بوهمه أو تتصور في فهمه ـ مـا وثقت بشيء من حالـه ولعلمت أن حقـه ممـزوج بمحالـه. وحقق ذلك في نفسي أن الواجد لبركة الخلوة وجوداً يذوق الإخلاص وخاصة الاختصاص، والله لا نظر في وجوه الناس مثابراً عليهم أبداً إلا وهو مخذول أو سكران بشراب ذنب أصابه. فإن أطيب حال الـولي عنـد الـولي أن يقيل مع الكلـب في أوسـاط الأسـواق وبين الأقـدام ويبيت معـه كذلك. وإنما بكـاؤه على فوت هذه الـدرجة، فإن اللـه أرحم بالأمة أن يفتقـر سلطانها الطاهر إلى شفقة واحد بعينه ورحمته، حتى لا تصلح إلا به.

لا واللـه بل حق من ادعى أنه زاهـد في الدنيـا ونصب لذلك نفسـه، أن يزهـد في ذكرها، وفي ذكـر أمورها كلها أعلاه وأدناه، وفي أهلهـا، وفي ذكرهم بخير أو شر، فيدع الكل لصاحب الكل: ﴿إِنَّمَا يُـرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَـدَاوَةَ والبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ والمَيْسِرِ ويَصُدَّكُمْ عَـنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ، فَهَـلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ﴾[2]، [و34] ﴿ذَلِكُمْ

---

(1) كلمة غير مقروءة.

(2) سورة المائدة، آية 91.

حُكْمُ الله يَحْكُمُ بَيْنَكُـمْ، واللهُ عَلِيمٌ حَكِيْم﴾[1]. ثبت إن شاء اللـه عن النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكتاب (لا تصدقوهم ولا تكذبوهم) ولكن ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَاهُنَا وَإِلَاهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

إن المشتغل بجزء لا يتجزأ قلـة وذلة من كل هو جناح بعـوضة لفقير إلى رحمة تعمه وتخصـه، ومعنى الحديث عنـد أهل العلم حق، فـلا تتعـرضـوا لتكذيبـه وبـاطل فـلا تتعرضوا لتصديقه. أبى العلم إلا أن يكون أصدق الشهداء أو معرَّفاً بأصدق الشهداء، لذلك يقـول المولى جل وتعالى ﴿شهِـدَ اللهُ أنه لا إِلَه إِلاَّ هُـوَ وَالمَلاَئِكَةُ وأُولُـوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ﴾[3].

ونرجـع لحالي مع الصبيان، فلما استقـر في نفسي أن الصبيان على هـذه الصفة وأن بركة القرآن إنما ترجى في عـاقل منهم أو متغافل، وليس عندي منهم إلا قليل، ولا أجد منهم بـاقيـاً لتعلم القـرآن إلا أقل من القليل، كثـر همي وترحـي، وانسد بـاب فـرحي وفرجي. فإن أجرتهم، و إن كانت لفاقتـي مسداً ولحاجتي مرداً، فما من أجلها قعدت، فليس في مجيئهـا أو فقـدهـا مسرة ولا مبرة، بـل هي في بعض النظـر حجـاب ومضرة. والمرجو منهم [ط34]، الذي قعدت من أجلـه، وهو التعليم، لم أره، وأغلب ظني أني لو صلحـت لمعلم لما كان هذا حظـي من كل متعلم ـ ولا حـول ولا قوة إلا بـالله العلي العظيم وحده.

وأما ما ذكرته من خبر الرؤيا، ففي كتاب محمد بن سحنون أنه لا ينبغي للمعلم أن يعلم ذلك الصبيان، لما في ذلك، إذا عرفوه، من كثرة الغم والهم نعني، والمسلم ينبغي أن يوفـر عليه عقله وقلبـه، ونشاطه وانبسـاطه، لعلـه إذا اجتمع وجدت الذكـرى إليه سبيلاً انتفع.

وللرؤيـا في الظهور شروط، ولا يمتنع أن تكـون الرؤيـا كاملـة، علامـة الصدق،

---

(1) سورة الممتحنة، آية 10.

(2) سورة العنكبوت. آية 46 والحديث أخرجه البخاري في صحيحه جـ 8 ص 170 باب «قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا» ومواضع أخرى من صحيحه، وأخرجه أبو داود في سننه رقم 3644 العلم باب رواية حديث أهل الكتاب، وأخرجه أحمد في مسنده في مواضع عديدة جـ 4 ص 136.

(3) سورة آل عمران، آية 18.

ولكن ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1] ويختار ما يشاء. فرب مفتون برؤياه لو ظهرت، لكان فيها عطبه، فخار الله أن لا تكون. وقد يدعي الإنسان غاية الصدق في الزهد في الدنيا، فيمتحن بالرؤيا التي تدل على الدنيا بوجه يبيحه العلم ويعد من المحمود من الدنيا في العقبى غير المذموم، فإذا هو قد ظهر كذبه في دعواه، أو ظهر من ضعف عقله وتميزه ما لا يفرق به بين بهرج ما هو فيه وإبريزه، ويعد هذا خيراً من قربه إن لم يرجع من قرب إلى ربه، ويبحث عن أدواء قلبه. فلا ينبغي أن يعول من الأمور كلها إلا على ما نطق به الكتاب المحكم والسنة الماضية [و35] والإجماع المعصوم، وسلمه العلم الواضح والعلماء المقبولون.

وقد وقفت بالتجربة على رجل كان مجاب الدعوة، شاهدت ذلك منه مراراً، وكان صادق الرؤيا، لا يكاد يكذب ولا يحلف، فما هو إلا أن خالطه الناس وجالسهم وقبل مديحهم، وشق عليه ذمهم، فإذا هو قد فسد لسانه في الصدق، وفسدت مرائيه، ومات ولم يظهر أكثرها، وما أظنه قطع الله له عادة إجابة الدعاء.

وتحققت من رجل آخر خلوة مستمرة وصدقاً، فتكررت عليه رؤيا في وجه من وجوه البر، بزعمه، في لقاء السلطان لا أشك في صدقه وتكررها عليه، ففعل، فكان فيها تلف ماله وعقله ودينه.

والآفة التي دخلت على هؤلاء فيما علمت مخالفتهم للنصيح، واستغناؤهم عن العلماء، وتفريقهم بين أجزاء الصواب، وهذا أمر لا يحتمل التفريق ولا يباشر صاحبه التوفيق، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[2].

وقلت لرجل وصف لي بعمل وإنابة وحال نبل وإجابة: أوصني. فقال: إياك ومخالفة الكتب في الظاهر، ولا تخالف الورع في الباطن، فإذا اختلفا عليك [ط35] وأنت في حيرة، فاطلب عالماً، وإذا اجتمعا لك، فأنت أنت! واصبر على هذا إلى الموت.

وقال لي آخر: الليل بيت العجائب، ولا تصح الخلوة إلا لأهل الرغائب، والقوي

(1) سورة الرعد، آية 39.
(2) سورة البقرة، آية 27.

إذا خالط الناس ضعيف. لا صدق إلا بـاجتماع قلب وجارحة، ولا يجتمعان إلا بخلوة نورتها المجاهدة ونورها العلم، وزينها الأنس بمن في كنفه عاشت النفس. جموح القلم أخرج من ذكر الرؤيا إلى ذكر هـذا المعنى. فكن في الرؤيا كما تقدم: لا تُكَذِّب بها، ولا تعمل عليها، فإن العمل على الكتـاب والسنة هي الهداية. وليس المكذب بـالرؤيا من قال: ﴿يَفْعَلُ اللهُ ما يَشَاءُ﴾[1]، بل المكذب بها من قـال: لا بد منهـا، فإن الله يقضي ولا يقضى عليه، ويجير ولا يجار عليه. فمن رد الأمر إلى من له الأمر أصاب، ومن قطع فبنفسه قطع، وقد خـاب. وقد قال الله للمصطفى صلوات الله عليـه وسلامه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[2]أي إلا مقروناً بالمشيئة.

إذا غبت فـلا تجالس نفسك، وإذا حضرت فـلا تجالـس أنسك، ولا تلق إلا من [و36] هذه صفتـه، ولا تيأس من أن الله بمن هذه صفتـه، فمثله هو الـذي نفع الله به. فإذا شرعت في تعليم الأطفال في يوم خميـس أو غيره بنفسك ففارقها، وإذا جاءتك الخلـوة فعانقهـا، واتل قـول الله تعـالى: ﴿وأُخْـرَى تُحِبُّونَهَا، نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَـرِيبٌ وَبشِّر= الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

أَخُـــوكَ الـــذِّي سَرَّكَ الأَمْـــرُ سَرَّهُ   وإنْ نـاب أَمْـرٌ ضَلَّ وهـو حَـزِينُ
يُقَـرِّبُ مَـنْ قَـرَّبتَ مِنْ ذِي قَــرَابَـةٍ   وَيُقْصِي الَّـــذي أَقْصَيْتَــــه وَيَبِينُ

وكتب إليه رحمه الله

(5)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى اللـه على سيدنا محمد في الأولين والآخرين، وعلى آله وأزواجه وذريته، وسلم تسليماً. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سمعت القاضي أبا علي الحسين بـن محمد الصدفي[4] رحمه الله يقـول: قال بعض

(1) سورة ابراهيم، آية 27.
(2) سورة الكهف، آية 23 ـ 24.
(3) سورة الصف، آية 13.
(4) هو حسين بن محمد بن فِيُّرة بن حيون بن سكرة الصـدفي من أهل سرقسطة سكن مرسية كان عالماً بالحديث وطرقه، عارفاً بعلله واسماء الرحال. استشهد في وقعة قتندة 514.
ابن الزبير: م.س. رقم 330، ص 143، ابن بشكوال، الصلة رقم 330 ص 143.

العارفين: الحكايات جند من جند الله، يثبت بها قلوب العارفين. قيل له فهل لذلك شاهد من كتاب الله؟ قال: نعم ﴿وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[1].

حكاية:

كان لي صاحب [ط36] جربت منه إجابة الدعاء غير ما مرة، وجربت من صدق خواطره وصفاء قلبه عند الموعود ما هو من أعجب الوجود، ثم خالفني في شيء من علم الرواية وعول على أمر القلوب والغماية، وذكر من المرئيات والمكاشفات كثيراً، أهمها طول الأمل والعمل على خط النفس في الجاه والمال للاستطاعة على الطاعة، فعرفته بما في ذلك من المكيدة للعدو، فمات وحاجته مطوية ودنياه ظاهرة، والله يغفر لنا وله.

حكاية:

في اليوم الذي مات فيه ابن الزبير[2] سمع أتباعه يقولون: أين ما كان من اتساع أمره وانفراده بالخلافة؟ فقال: كل شيء وجدنا أكثره باطلاً إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حكاية:

كان بعض الفقهاء ممن جالسته كثيراً ما يرى مرائي تدل على ولايته أحكام القضاء، وكانت حالته لا تفي بذلك، لضيق صدره، وقلة سياسته، وعجزه عن الأسباب التي تكون بها الولاية. فكنت أعجب من تناقض الأمرين، فإذا هو قد كُتب له كتاب القضاء. فخرج به من دار الذي ولاه فأ [و37] ظهر من قلة السياسة مع الذي جرت ولايته على يديه بما أوجب عزله في تلك الساعة، فصدقت مرائيه في ولايته، ولكن حالة

---

(1) سورة هود، آية 120.

(2) أبو عبد الله بن الزبير بن العوام الصحابي الجليل وابن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، استشهد عندما حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي مكة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية.

الظاهر كانت أصدق وربما نزلت المرائي من السماء لا يشك في أنها من الحكمة ثم لا يكون لها ظهور البتة فإن ﴿الله يمحو ما يشاء ويثبت﴾[1].

لا حقيقة للعبد إلا عبودية وإنفاقها في خدمة مولاه على إذن الكتاب المحكم والسنة الماضية محكوماً لا حاكماً، فإن شغلته الحكومة عن الحكمة فتعلق بها مناه، فقد باع آخرته بدنياه، وغره ما غره من أمر مولاه، فإن لم يتب سريعاً فهو أسير هواه.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك عند الغضب)[2]وفيه من الفقه أن القوة للأحلام لا للأجسام، وفي الأرواح لا للأشباح.

حكاية:

قال: قال لي بعض أصحابي: وُلِّيت الحسبة لأربعة أوجه:

فأحد الوجوه لأَحُطَّ من نفسي، فإني كنت عند الناس فوقها.

والثاني لأجرب نفسي عند الأمر والنهي، والجاه والمال.

والثالث [ط 37] لينكشف لي ما عليه الحكام من إظهار الحق وإبطاله.

والرابع لأقدم ذلك فيما عسى أن أُمتحن به من أمر ولاية فأكون على بصيرة من الإقدام والإحجام.

قال: فامتحنت بأربعة.

الواحدة: لم يصح لي بعد ذلك تواضع البتة ولا وجدت له لذة.

الثانية: أني لم أرزق بعدها خلوة صادقة.

الثالثة: أني فتحت على أقوام أبواباً من الطعن في أهل الانقباض لم يصح لي توبة بعدها.

---

(1) الآية: ﴿يَمْحُو اللهُ ما يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ سورة الرعد، آية 39.

(2) أخرجه البخاري جـ 10، ص 518، الادب باب الحذر من الغضب، ومسلم جـ 4 ص 2014. البر والصلة باب فضل من يملك نفسه، أخرجه مالك في الموطأ جـ 2 ص 906. حسن الخلق باب ما جاء في الغضب وغيرهم.

الرابعة: أني شعرت لمقدار من عقلي فاتني في مخالطة الناس لم ينجبر علي بعدها.

ذو النون: الخلوة عمود الإخلاص لأنه إذا تخلى لم يـرَ إلا الله وحده، وإذا لم ير الله وحده، لم يـرجُ إلا الله، ولم يخش إلا اللـه، وإذا كان كـذلك فهو من صفـوة الله، لا يطمع أن يكون والياً في الحكم، ولياً في الحكمة إلا مخبول وفتان هو على العدوان مجبول، فأما المكره المضطر فمحمول.

باب منه آخر:

إذا بطنت الحكمـة خصت أهلهـا فدامـت ونفعت، وإذا فشت وظهرت عمـومـاً أنكـرها مـن ليس من أهلها فـانقطعت وارتفعت وفيما ظهـر من الحجـة كفـاية لتعـرف المحجة وما بطن من الـذكر موقوف [و38] على خصـوص أهل البر. عمل الخواص[1] ثلاثين سنة في تطبيب قلوب الخلق للفقراء، يـريد أنه أدى إلي كل ذي حق حقه، وترك لكل أحد ما كان له قبله من حق، ووافق الحق لكل شيء من ظاهره وباطنه، ولم يخالف مخلوقاً في ظاهر سلمه العلم وسامحته السنة.

السفر والظفر قريبان، والراحة والإرادة منهما قريبان من الشر ألا تترك الشر جانباً، ومن حمد الدنيـا فليس بحامد، وأسوأ حـال أن يرى المرء جابر إصلاح جماعـات بإفساد واحد.

السياحات ثلاثة:

سياحة بالقلوب في محل الغيوب لكمال العقول الباطنة وهؤلاء مرادون بالعلم، وهم محل المحن والفتن جميعاً إلا من عصم الله.

---

(1) الخواص: هو إبراهيم بن أحمد بـن اسماعيل كنيته أبو إسحق، وهو أحد من سلـك طريق التوكل وكـان أوحد المشـايخ في وقتـه ومن أقـران الجنيد والنـوري. لـه في السياحـات والـرياضيـات مقامات. مات في جامع الريّ 291 هـ.
السلمي: طبقات الصوفية ص 284، القشيري، الرسالة القشيرية ص 31.
الشعراني: لواقح الأنوار (طبقات الشعراني) جـ 1 ص 113، ابن إسحق: حلية الأولياء جـ 10 ص 325.

الثانية. سياحة بالأجسام في محل الإقدام، وأكثرها بطالة إلا لعالم متحقق.

الثالثة: سياحة بالقلوب في حقائق الغيوب مضمومة إلى سياحة بالأجسام في محل القدرة فراراً من موضوع العزة.

هؤلاء هم الخصوص بحقيقة السياحة، وهم المؤمنون الفارون بأديانهم من الفتن إن شاء الله.

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(6)

[ط38] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله أجمعين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين.

أغفى بعضهم إغفاءة فإذا هو بحائط مكتوب الملك لله الواحد القهار، وتحت ذلك يا ناظر أتعبتك المناظر إن تحت قدميك لكنز لا يصلح إلا لملك. فجعل يظهر من الفرح ويحفر ليكون ملكاً، وفي لذاته منهملاً منهمكاً، فمن قرب ظهرت له النجوم، وبطل ما كان عليه يحوم، ونفذ الحكم عليه، فنسى عقله الحائط، وطفق يذم الحائط، فناداه مناد هو لمن عقله هاد يا عبد هواه، ومتحكماً برأيه في ملكوت مولاه، أي ذنب للحيطان في تيهك وحفرك للغيطان، ألم يشهد عندك الحجر والمدر، والحيوان والشجر، والأبيض والأحمر، أن الملك لله الواحد القهار؟. فأدركته في إغفاءته رحمة الله له وبركة إخوان كانوا له فقال: نعم قد كان ذلك فقيل له إذا علمت أن الملك لله وأنه واحد، وصدقت أن الكنز لا يصلح إلا لملك فالكنز لا يصلح إلا لله فمن أين جاءك الشرك ومن لك أن ينعتك الملك وأنت بالحقيقة عبد. [و39] وتلك إن نوقشت الحساب عليك رد، فلو حملك أو حملت أياماً ظننت إنك تتحول رباً. فصاح يا حسرة الجهال! ويا وحشة المقام في محل الإغفال!. فقيل له رفقاً بنفسك لعلها تقوى بالتقوى فتنال فإنه ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾(1).

يا عبد الله، أغفل ما يراد بك، أين أنت من الوجود؟ فقال في حالة الهجود، ولولا الله سبحانه ما قالها ولا نالها، فقيل له والحق النائم، أين يكون بها له من الحركة

(1) سورة الحج، آية 37.

والسكون؟ فقال عنـد الله عز وجل بلا ريب، فإن المنـام منزل من منازل الغيب. فقيل له ﴿وَإِنَّ يَوماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُونَ﴾[1] وإنما ساعة هذا اليوم لمن فهم عن الله عز وجل وكأنـه عنده به بضع وثمانون سنـة وهذه ليلة القدر التي لم يطلع عليهـا إلا الله عز وجل ومن شاء بما شاء من اللطـف، لا بما شاء المتكلفون من الكلف، فما لك تنظر في المواعيـدالصادرة عن ألسنـة أربـاب المواجيد نـــر الملك القـاهـر، ولست به لا نظـر العبيد.

أما علمت أن متى من عـلامات من عتى؟ وهل [ط39] سأل ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[2] إلا من جهل نفسه ودساها. ألم يكن سؤال الآيـات منذ نشأ الضلال برهان الضلالات ولسـان الظاهرية شـاهد لا يمكن أن يجحده جـاحد. ولقد أنذر نـوح عليه السلام قومه الأعور الدجال. ولولا ما قرب له شأنه وأدنى من وقته الحاضر زمانه ما كان ذلك، فانتظـر وانتظروا. ثم ما كـذبوا ولا أدبـروا، وقد مضوا صـادقين مصدقين وبقي الملك لله في تصريف الأكوان، وإخراج أمر الدجال من حال الغيب إلى حال العيان.

يا عبد الله! أما تدري أن الناظر إنما يتبع المناظر إذا وقف عند الحسن وقام بحقيقته تحت النفس ومظنون حاله أن يعـاند عقله فلا يفقه دليلاً ويكـون كالأنعام بل هم أضل سبيلاً وبذلك شهد عليهم القرآن حيث ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾[3]. كما جاءك في الحائط أن الملك لله الواحد القهار. وقالوا ﴿لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُـونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْـهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّـةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾[4]. ﴿وَقَالُـوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّـى تَفْجُرَ [و40] لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُـوعَا﴾[5] الآيات. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾[6] واستمع بقلبك قوله ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ انْ يُؤْمِنُوا

---

(1) سورة الحج، آية 47.
(2) سورة الأعراف، آية 187 والآية ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنماعلمها عند ربي﴾.
سورة النـازعات، آيـة 42، 43والآيـة ﴿يسألونـك عن الساعـة إيـان مرسـاهـا* فيما انت من ذكراها﴾.
(3) سورة طه، آية 133.
(4) سورة الفرقان، آية 7، 8.
(5) سورة الاسراء، آية 90.
(6) سورة الاسراء، آية 93.

إِذَ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾[1]الآيات .

فقد كانت آيات الإيمان جاءتهم فتركوها ظهرياً واعتقدوها قولاً فرياً، وطلبوا ما لا يكون وهـونوا من تحويل الملكـوت وتبديل أحكام ﴿الحي الـّذِي لاَ يَمُوت﴾[2]، ما لا يهون. فهذه أحوالهم في المحسوسات يعانـدون عقولهم فإذا صاروا إلى المعقولات عاندوا الرسول في نفس تعريفهم العقـول وذلك من المحال المقبول، و إنما هي أوهام. ولا عقل إلا عقل لم يحمل إلا حجـة اللـه وحـده في كل شيء وبكل شيء، على كل شيء. فأمـا حـامل حجة نفسـه فهـو الهوى وهـذا الضرب من العقول غـائب المعنى والـذات عن أصحاب العقل المدسوس في صـور المحسوس، وهـم العقلاء عند الكـافة دون الخاصة وهم فلاسفة الفتـوى عند أهل العلم بالله وبأمن اللـه فاعتصم من بلاء الحس والعقل بعصام العلم، وما طوي فيه من الرحمة والفضل .

و إذا رأيـت مـن يحاول [ط40] ملكـاً ليمـوت فيغـدو، فإنما يحاول ملكـاً ليفـوت ويتأخر، وقـد قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الـرُّومُ * في أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم منْ بعدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[3]فاخبر عما فيـه يتغلبون وأنهم في القبل يغلبون ويتغلبـون، فإذا جاء البعد وهو الدار الآخرة، فرح المؤمن بنصر الله فعرف النائم أن الحائط لا ذنب له وعرف أن كل ما فيه حق وأن السابق من ذلك كله مزيد علم، والمنتظر مزيد إيمان، وأن حقيقة الإبعاد والإثبـات وتقرير الأحـوال والأوقات ليس إلا لحاكم البريات، فـراجع وأناب، واستيقظ وقد تاب الله عليه فتاب .

والسعيد من اتصلت في حقيقة الإيمان بـالله ورسوله يقظته بمنـامه، وسرى صدق رؤياه إلى أحلامـه، فإن من فضحته اليقظة هو الذي يفضحه المنـام. ومن كذبت رؤياه هو الذي تكذب منه الأحلام، فأمـا المستثنى فمحفوظ من هذا المعنى والله سبحانه إنما يتولى الصالحين، ولا يصلح عمل المفسدين. وبانقطاع مادة الظلم تقوم الساعة، و إنما يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والحمد لله [و41] رب العالمين .

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(1) سورة الاسراء، آية 94 .
(2) سورة الفرقان، آية 58 .
(3) سورة الروم، آية 1، 2، 3 .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(7)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مرحباً أيها الصادق النظر، الرائق العين والأثر بكتابك . فلقد كشف الله به غماً، ورفع به نابية وهمّاً، فإن النفوس سجاياها عند ورود الإيمان مجبولة، وعلى غير ثبوت العلم والتعليم محمولة، والنفس أمارة بالسوء، إلا ما سبق في الأزل من صلاح المضنون. أفهمنا الله به عنه، وأوصلنا به إليه، وثبتنا بعد الوصول، فإنه غاية الخصوص والمأمول.

وأما مرور الخواطر في تلك الآيات البينات على نظام واحد، وأمر قاصد ببرهان الإقبال على مواضع الآمال ــ هنّاك الله وزادك وجعل اليقين إلى مقعد الصدق عنده زادك بقدرته.

وأما أخوك وما يتشوف إليه من معرفة ما لديه فما ازدحمت عليه الفتن قط أكثر من ازدحامها عليه في وقته هذا من ذكر مشهور وسر بخلاف المشهود معمور وقد [ط41] وجب واجب السكوت ولزم لزوم البيوت ولا مفر إلا إلى الإنكار لو كان المحل صالحاً لأعمال الأبرار.

اللهم! إنها الحيرة العظمى إدباراً عن الحق في غراره، وإقبالاً في بحاره وكلاهما ذنب لا يغفر، وإن كان يغفر وعمل في إسقاط الحياء وهو أدهى وأكبر. ولئن كان المنتسبون إلى الخير والصلاح قبلنا مثلنا ـ ومعاذ الله وحاشى لله ـ لقد ماتت الطريقة موتاً وفات التوفيق فوتاً وعند الله تعالى نحتسب هذا المصاب وإلى الله سبحانه نشكو هذه الأوصاب.

اللهم! إنا نسألك رفيقاً وتوفيقاً فاجعل الطريق الحق لنا قبل العطب طريقاً بلطفك وهي إلى التطلع إلى من ذكرته جمرة محرقة، فما أمكنك الإعلام بما تجود فافعل مأجوراً.

والسلام.

وكتب أيضاً رحمه الله

(٨)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمـد وآله وسلم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يـا حسن الصنيع رفقـاً بالجميع، شرح مـن صدري وصـدوركم مـا عسى، وألان بذكره من قلوبنـا ما قسى، وفتح لنا بالتوبة وفيهـا لنا فتحاً نشاهد عليه نفـوسنا وعيوبنا فنتنافيهـا ولا نصافيهـا، وجعل التوفيق جادة علـومنا وحلـومنا [و42] وصير الحقيقـة والتحقيق جادة همومنا وفهومنا، ولا تكلنا إلينا ولا إلى شيء من خلقه المتوجه علينا.

من حق الاشياء بـه وحقه أنه ولي مـن لا ولي له، عز وجهـه، ثبوت التحكم يمنع من ورود الحكمة وعلامة الفرق بينهما أن الحكمة طريقها الإيمان ومكانها الفهم، وقرارها اليقين وتسوقها السعادة، وتحدوها الإرادة التي لا تعارضها إرادة.

وأما التحكم فطـريقه العقل، ومكـانه الـوهم، وقراره الشك، وتسـوقه بين يـديه التكلف، ويحدوه من ورائه الهوى المزخرف، فمـن لم ترسخ حقائق إيمانـه برزانـة صدق الفهم لم تشرق أقطار فهمه بضيـاء شمس اليقين فإنه متحكم لا حكيم، والمتحكم هو الذي بَعْدُه نعيم، وقُرْبُه عذاب أليم ـ عصمنـا الله من سقوط الهمم، ومناقضة أرباب الحكم، وجعلنا دراً ثابتاً في أكناف العصم بكرمه وما له من دوام إدرار النعم.

ولأخيك في هـذا الوقت من وحشـة وحيرة الفقـر ما لا يـزيـد عليه في الحد، فإنـه مسحور الصمت والكلام، مفتون اليقظة والمنام، يكره الموت لسوء ما قدم، والحياة لأنه مزيد ندم. ومن الفتن ما يـدع الحليم حيراناً. فخاطبه إن أمكنك والسلام [ط42] على الجملة.

علامة صدق العبد أن يفتقـر بإيمانه إلى كل إيمان وبعلمه إلى كل علم، وبعقله إلى كل عقل. وعـلامة فراقـه للصدق أن يستغني بنفسـه أو بشيء من الخلق عن شيء من الحق. ونعم الحارس من الآفات إظهار الفقـر إلى المخلوقات، وعن كمال الغنى علماً أو حقيقة لخالقها.

وبلغنا أن أخانا محمد بن يوسف[1] زاد الله به قرة العين به نشط وبسط فليقيد العلم بالكتاب إذا نشط. اللهم! تماماً بإحسان وعافية في عمران الحياة بأكمل غفران وأتم أمن وإيمان، يا من لا يقدر على المسألة أحد سواه ولا يتفضل بالمواهب موجود غيره.

اللهم! صلِّ وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم.

وكتب إليه رحمه الله

(9)

الله ولي أبي الحسن بن غالب وحافظه.

من أخيه ومحبه في الله أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. الحمد لله الذي هو أهل الحمد، ومستوحيه وملبسه من خلقه أهل المراعاة لحقائق حقه.

والصديقون هم الصادقون عن ذواتهم في حكمته وصدقه. والحكماء هم الواقفون بالهمم والهموم عند لطفه [و43] ورفقه المنسلخ أحدهم بشفرات جده في طاعة مولاه من جهله، وحرقة ما ترك الحق لهم نفساً إلا ملكه، وهم عند أنفسهم مع الباطل وهي مشقة.

فالحمد لله على ما ظهر من نعمه وما بطن فيما شرد من المطالب أو سكن. ثم الحمد لله تشفيعاً لكل حامد وبيانه عن كل غافل أو جاحد كما ينبغي لربنا في شريف ما له من الكرم والمجد ولعزة وجهه من الثناء والجد والصلوات التي لا ينتهي إلى الإحاطة بفضلها وسموها غير ربنا من ربنا على محمد نبينا وسيدنا، وآله وأزواجه وذريته والسلام الموصول بكل لطف وقبول في الأولين والآخرين وأبد الآبدين.

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السبتي بن الأبار كان من كبار المتصوفة بقرطبة.
ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 1 رقم 242 ص 126.

كتبتـه على حال لا تخفى إلا عمن يقضي ويجفى. فأمـا المنور بـاطنه بأنـوار فراسـة الإيمان فإنه عنده في غاية الإعلان، وهي حـال لا يرضاها للموت من هي له، ولا يأمن من معطيات الفوت من هُـوَ لَهَا، فلا يبعد عليك من الدعاء لأخيك ما يـرجى بركته إن شاء الله.

ويا أخي يـا أبا الحسن: لا تشغل بـالك بشيء مما طـرأ عليك فما رأي هؤلاء إلا في جحـور هـؤلاء ــ والمسلم عليـك مني ومن أبي الحكم[1] وأبي محمـد عبـد الـرحيم[2] وجما [ط 43] عتنا ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه رحمه الله

(10)

الله ولي أبي الحسن بن غالب وحافظه، من وليه وأخيه في الله أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم، وعلى آله وسلـم تسليماً. سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كتبته ــ كتب الله لك أتم رضاه، واستعملك بذات الصـدق ومقتضاه، وجعلك ممن عزم على إخلاصه فأمضاه، إنه ولي من أطاع البيان واتقاه.

وقفت على مـا ضمنته كتـابك ــ أكرم بـه وارد، وعلى شوقي إليـه وافـد ـ وعـرفت مضمنه من غضب أقوام، ونطقهم بألسنـة نوام، وقد هممت في تلك المدة أن أخاطبها في التحفظ من هجمات النفوس برياستها الـراسخة منها في السوس. فلا أدري في وقتي هـذا ما منعني حينئـذ إلا أنـه قدر نفـذ. ومن شأن الكبر أن يطغى بيسير التخمين فيما يباليه بكثير اليقين، وفراغ الصدر مفتاح الظنون، والعجلة ركاب العقل المقبور.

ويسرني من اعتذارك لإخوانك أن يتفق فيه شمل سرك و إعلانك ـ بارك الله عليك وعليهم ـ وقرر بالعصمـة ما ساق من الخيرات إليك و إليهم ولو عرفـوا معرفة الخصوص

(1) هو ابو الحكم بن برجان.
(2) ابن أخت أبي العباس بن العريف. [و 52].

[و44] كم انفك في قبـولك ذلك الأمـر من مأسـور، وانبسط من محسـور ومحصـور؛ لما وقعوا في ظلم الأحوال ولا عارضوا ـ فتح الله بك على كافتهم بمثل تلك الأحوال ـ وليس بمستنكـر نفار الخلق عن مـواضع رحمة اللـه ، والمولى يقول ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّـةٍ بِرَسُـولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾[1] الآية .

نفعك الله ونفع بك في عامتي رأيك ومذهبك برحمته .

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله ورضي عنهما وعنا وعن كافة المسلمين
(11)

بسم اللـه الرحمن الـرحيم ، وصلى الله على سيـد خلقـه والمزكى به من أخـذ بأدنى سبب من ذاتـه وحقيقته محمـد نبيـه ورسولـه ، المنسـوخ كل شيء من السلوك والطـرق بسلوكه وطريقه ، صلوات الله عليه وسلامـه وعلى من كان بالتوحيد الفرض أو التجريد المحض منـه وإليـه . كتبك اللـه فيمن انتجبـه وانتخبـه ، ورزقك من خـالص الإيمان والعلم أعـذبه وأطيبـه ، وأوجب لك حظـاً وافياً من كل خير نـدب إليه وأوجبـه . وإذا أرادك بحسنة فيقر لك وبك منارها وهديه ، حتى لا يسمع بها عنك واف أو (. . .)[2] [ط44] إلا حن إليها عن شرف القرب السعيد العاقبة وتمناها ، ولا جاف إلا بهرت جفاه فاشتهاها فيكون لك أجرها عاجلاً و إماماً ، وشرفها بداية وتماماً ، وما ذلك بعزيز عليه ، فإنه بـدأنا بالإسلام قبل وجـوب المطالب وتوجيـه الرغائب ، وهو أعـز المواهب ، وأكرم المذاهب ، فلا إلّه إلا هو جلت قدرته .

أخوك نفعـه الله بمحبتك طالت فترتـه ، وخمدت بشرته ، وبعـدت عن جميل العز عزته ، وأظلمت بقبيح العـذر أَسِرَّته ، وقام رسوخ الجهل في صدره من أسبـاب نجاته ، وأدوية حياته عند مقام اليأس من الحرام ، وحمل بينه وبين صادق الحياء ، وصافي الرجاء في محل إهمال الاعتصـام ، فإن سكت سكت عـاصيـاً ، و إن شكـا شكا قـاسيـاً ، و إن

(1) سورة غافر، آية 5 .
(2) كلمة مطموسة .

عرضت له الأخرى عرفها وعجز عنها لما يستوجبه من عقوبة التسويف، وبعد العهد بالإقبال على تدبر التخويف وإن تعرضت له الدنيا أنكرها وأطاعها، وأعلن عن بيعها بما يتحقق عليه ابتياعها.

فليت شعري! إذا ملك أخاك هذا المذهب إلى أين يذهب؟ وكيف وبمن يستمسك؟ وهو بين الأعداء والأهواء نُهْبَةً ينتهب وبأي لسان يشكو داءه وهو يشتهيه، والحال بنداء صدقها تناديه، يا من لا آخر له [و45] خذ بي غير ما أنت به، فإن العطب كله فيه، أوليس من عمه أخا الصدق وسفول القدر عند منزل الفراق في ليلة القدر.

إن أخاك محترق ما من ذات نفسه ينادي حيرة ليست بحيرة المعرفة التي هي سجن من سجون الحق لاختيارات أهل الوفاء والصدق وهي ضرورة مرجومة حجب الحق فيها عن أوليائه حظهم منه، حتى يكون القائم على كل نفس بما كسبت هو القائم بهم عنهم في ورودهم على القرب السني في الملك الهني من حيث كان ذلك في عطاياه أعلى، فكانوا عنده بما فوق علومهم وظنونهم أولى. فليست حيرتي من هذه الحيرة في شيء، ولكنها حيرة عاق شاق نسي نفسه بنسيانه مولاه، فكانت الحيرة عقوبته ومثواه، فلا صوته معمور، ولا صمته مشكور ولا هو بشيء من معانيه مأجور ولا معذور - نفعك الله بك ونفعك في كافة ذهابك ومذهبك - برحمته لك بداية، ولطفه بك نهاية.

ومما يتأكد له غمي وهمي ويتمرد عنده جمعي وظني، خوفي أن يكون الخصوص من إخواني [ط45] وأحبتي أصابتهم الأقدار بمثل مصيبتي، وأفلت عندهم الأنوار عن فصل جريرتي. فيا جزعي لهم من الهدى بلا دليل، والسعي في غير سبيل. فيا أخي: أصابتك الأقدار بشيء من نقض العهد الواجب للتأكيد والعقد فإن ذاك من هناك، أغلق بابه وصرمت أسبابه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ومن الله ولله ولا رب سواه المذموم عصيه، وما دون المفروض رخصه، فإذا تخطاهما سر العبد رزق العلم والخشية، وإذا تخطاهما قلبه أعطي الحياء والهيبة، وإذا تخطاهما العبد بحقيقة فملؤه خلوة ورأيه المتفرد قدوة، وقل ما اندرجت حقيقة صفاء السر بخالص الضرورة في مباح مهجور، إلا هاجت المحنة الضعيفة التفتين، مصدرها الضعفاء من أهل الدنيا والدين، وتعارضها الرحمة قوية التلوين تحت لوائها الأقرباء من حملة الظواهر وأرباب اليقين. ومن لم يقدم

إلا عن تمام رؤية في استخارة ديانة واستشارة معالم إيمانه وإحسانه بلغ الإصابة وإن أخطأها، وفارق الغفلة وإن توطاها، ورفق الله مع المذنبين فإلى أين يزول عن المطيعين المنيبين؟ [و46].

تداركنا الله من دعواتهم بما يلحقنا بها من درجاتهم بكرمه. والمسلم المعاد عليك وعلى أبي عبد الله وعلى كافة الإخوان ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه رحمه الله

(12)

الله ولي الصديق الوفي، والأخ الصفي أبي الحسن بن غالب، وحافظه من المكاره والمكروهات علانية وسراً، حفظاً لا يدع له حالة إلا ملأها كرامة وبراً.

من وليه المشوق إليه ـ لا فرق بينه وبينه ـ ما لزم المراد قلب آدمي وعينه.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم تسليماً ـ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يروى عن بعض السلف أنه قال كنت أحب فلاناً، وكان يبدو عليّ من الشوق إليه، ومن الحرص على رؤيته ما لا يظهر مثله عنده. فكنت أقول في نفسي قد ورد في الأثر ما تحاب رجلان في الله إلا كان أشدهما حباً لصاحبه أفضلهما، فأين ما نحن فيه من ذلك؟ ـ قال: وجاز خروجه في بعث فأرسل إلي فأتيته ليلاً، فكلما أردت توديعه أمسك بثوبي. وكره مفارقتي، فَعَلَه مراراً. ثم سمعته يقول اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني [ط 46] لك فافعل به وافعل. فعرفت أن الحديث كما ورد يريد أن صدق المودة وصحة الاشتياق علامتها قوة الأسف ساعة الفراق، وأن الحركة إذا أسرعت فسلطانها النفس، وإذا ابطأت في مسألة فصاحبها السكينة والأنس وعندي في وقتي هذا من الرقة لذكرك ما لا أدري له سبباً خصوصاً، ولا أعرف من الإشارات فيه أمراً منصوصاً، فإن كان عن شغل بال، فعزاك عما تضمن الحق سبحانه به جزاك، وإن كان عن أنس بمولاك، فَهَنَّاك الله فإنه تولاك وقد انهدم أخوك انهداماً، فكله يبكي ولا يغدو حسرة وانتداماً. فاجعله من همك دعاء واهتماماً بيمن الله تعالى، وأجب رؤية الإخوان على كل حال إن

كانـوا بقوا و إن كانـوا انصرفوا، فاكتب إليهم بـدوام أسفي ما عشت عليهم وحسبي الله وحسبك.

والسلام عليك وعلى الكافة من إخواننا ورحمة الله تعالى وبركاته.

وهذه الأبيات وما بعدها كانت في مدرجة في هذه الرسالة.

بَـرَّحَ بي سَيِّـدِي هَـوَاكَ فَلَمْ أُعْطِ ... الهوى سر لـــه مـن الجزع
مَـاتَ مِنَ اليَأسِ عَـاذِلي وَأَبَـا ... قَلْبِي إلاَّ الحيـاةَ بـالطَّمعِ
[و 47] قَـالُـوا فما تَشْتَهي فَقُلْتُ لَهُمْ ... لَيْـسَ لِضَرْبِ الحَبيـبِ مِـنْ وَجَـعِ
إن تَلِفَـتْ مُهْجَتِـي فَـأَنْت بِهَا ... وإن تَـراخـى المَدى فَـأنْتَ مَعِـي

ومما كان فيها أيضاً

يَـا عَـاذِلِيَّ عَلَى البِّطَـالَـةِ زِيـدَا ... أَصْبَحتُ عَـنْ [1] طُرق الـرَّشَادِ بَعِيـدَا
وَإِذَا سُقِيتَ وأَنْتَ في سُكْـرِ الهَوَى ... سَمَّيْتَ نَفسَكَ للشَّقَـاءِ [2] سَعِيـدَا
لا خَيْرَ فِيمَـنْ لَيْسَ يِنْصَـحُ خِلَّـهُ ... حتّى يَـرَاهُ يُـلاَزِمُ التَسْـدِيـدَا
مَـنْ لي بِيَـوْمٍ سَـالِمٍ أو لَيْلَـةٍ ... فَتَكُـونُ لي مِنْ كُـلِّ عُمْـرِي عيـدَا
ومن الـذنـوبِ عَيِيتُ لاَ مِنْ غَيْرِهَـا ... إنّ ابـنَ آدمَ للمصـائِبِ شيِـدَا

ومما كان فيها أيضاً

إنْ لَمْ يَكُنْ عُـذْرِي صَحِيحاً صَـادِقاً ... فَقَبُـولُـه بـالْفَضْلِ جِـدُّ سَـدِيـدِ
ولَـرُبَّمَا خَفِيَـتْ حَقِيقَـةُ حُجَّـةٍ ... بِلِسَـانِ فَـهٍ أو لسـانِ عَنيـدِ
مَلَـكَ البِعَـادُ أَحِبّتِي وَدَنَـا بهم ... مَـوْصُـولُ ذِكْـرٍ في الفـؤاد جَـدِيـدِ
و إذا سقـى الله الفـوائد رَيَّـة [3] ... فَسقَـاكَ ثم رعـاكَ يـا بـن مُفِيـدِ [4]

(١) في الأصل من.

(٢) زيدت الهمزة حتى يستقيم البيت.

(٣) احتمال كبير ريَّةَ وهي مدينة مالقة.

(٤) أرجح ان يكون ابن سيد المالقي.

(13)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله أكمل الصلوات وأسناها وأطلها وأوضحها وأدلها على المخصوص بالنبوة العليا والرسالة الدنيا إلى كل من عمر الدنيا محمد بن [ط 47] عبد الله بن عبد المطلب، وعلى آله وأزواجه وذريته في العالمين، إن الله حميد مجيد.

العلم في الصدور لا في السطور. قال الله تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾[1]. في قراءة التخفيف قدم العلم على الدرس وفي قراءة التشديد قدم التعليم، وهو الإمامة على الدرس، فَدَلَّ أنه لا ينتفع بالدرس على صحة المنفعة إلا عالم وإمام. قال الله تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه﴾[2]. فقدم أخذ الميثاق من الأنبياء والعلماء صلوات الله ورضوانه عليهم وفي آخر الميثاق كمال الحجة وثبوت العلم ثم ذكر الدرس لدوام الحجة فدل على أن العالم لا بد منه بداية ثم بعد ذلك يتذكر العالم والإمام بالكتاب، وقال تعالى ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[3].

فالكتاب هو المشهود عليه بعلم العلماء ليكون حجة فدل على أنه لا ينتفع بعلم العلماء إلا من أخذ [مشهوده] بعلم العلماء، وذلك يقضي تقديم علم العلماء بصفتهم ورؤيتهم. علم الصدور محروس بالتأييد والتوفيق والتسديد من التبديل والتغير والتحريف والزيادة والنقصان وكل [و 48] ذلك أو بعضه لا بد لعلم الصحف منه لأن العالم حي بحياة تسري. وأما الكتاب فناطق بصمته نطقاً لا يسمعه إلا حي ولا حياة قبل مطالعة الكتب إلا لمن حيا بحياة معلم حق وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ولكن يقبض العلم بقبض العلماء)[4] فدل أن من يأخذ العلم من العلماء لم يأخذه من

(1) سورة آل عمران، آية 79.
(2) سورة الأعراف، آية 169.
(3) سورة المائدة، آية 44.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه جـ 1، ص 194 العلم باب كيف يقبض العلم، ومسلم في صحيحه جـ 4 ص 2058 العلم باب رفع العلم وأخرجه أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم.

الصحف أبداً وثبت عنه عليه السلام: هذا أوان يختلس فيه العلم فقال قائل والله لا يختلس العلم وكتاب الله بين أيدينا نقرأه ونقرئه أبناءنا ونساءنا. قال: ثكلتك أمك إن كنت لأحسبك من أفقه رجل بالمدينة. أليس هذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى فما ترى أغنى عنهم[1]. وهذه غاية البيان من المصطفى صلوات الله عليه وسلامه. إن العلم إنما هو في صدور العلماء، يبقى ببقائهم ويفنى بفنائهم، وفيه تنبيه من النبي صلى الله عليه وسلم أن المعول في تحصيل العلم على الصحف، ليس بفقيه، وتنبيه أن كتاب الله دون العلماء لا يغني شيئاً.

وقال رجل لابن وضاح[2]: دليلي على ما أقول كتاب الله وسنة رسوله، فقال: من إمامك في كتاب الله وسنة رسوله؟ فانقطع الرجل. وقال [ط 48] النبي صلى الله عليه وسلم: العلماء ورثة الأنبياء[3]. فنبّه على أن العلم بعد، وأن العلم في الصدور لا في السطور، وكان بعض من سلف من علماء هذه الأمة يسمي من اكتفى بالكتاب صحفياً، وكانوا ينهون عن أخذ العلم من الصحفيين. وفي كل ما تقدم دليل واضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ترك العلم والسنة في صدور العلماء، لا في الصحف.

فائدة هذه الصفحة أن المكتفي بالكتاب عن الشيخ قبل البحث والجد في طلبه ليس بفقيه.

---

(1) أخرجه الإمام النسائي في كتاب العلم رقم 73 من حديث عوف بن مالك الاشجعي مطولاً بلفظ (هذا أوان يرفع العلم) بسند جيد [واحمد في مسنده جـ 6، ص 26]، وابن حبان في صحيحه «موارد رقم 115»، والبزار في مسنده «كشف الأستار رقم 232»، والحاكم في مستدركه جـ 1 ص 98، 99 وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي الدرداء وقال حسن غريب جـ 3 ص 371، وعند الدّارمي رقم 294، وأخرجه أحمد من حديث زياد بن لبيد جـ 4 ص 160.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بديع قرطبي الأصل، رحل إلى المشرق مرتين، وسمع عن عدد كبير من العلماء وكان عالماً بالحديث ورعاً زاهداً. ت 286 أو 287 هـ.

الضبي: بغية الملتمس ص 133، ابن القاضي: جذوة المقتبس 93، 94.

ابن فرحون: الديباج ص 239: 241.

(3) أخرجه أبو داود في سننه رقم 3641 (العلم باب الحث على طلب العلم) في حديث طويل.

وعند الترمذي ج3 ص380 العلم: باب فضل الفقه على العبادة.

وعند ابن ماجة رقم 223، الدّارمي رقم 349 وابن حبان في صحيحه موارد 80، والحاكم وغيرهم

وكتب إليه رحمه الله

(14)

الفقيه الفاضل أبو الحسن علي بن غالب أدام الله توفيقه .

من محبه في الله أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ـ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أمدك الله يا أخي بعض أنواره ، وغيبك بخصوص جواره ، وأفردك بما أفرد به أولياءه من جميل اختياره ، وحجبك به عنك حجبة لا غيبة لك بعدها أبداً عن موضع لطفه وعطفه ، إنه ولي كل شيء وربه .

ورد كتابك فَأَنَّس بما فيه من الدعاء . بدأ الله بك في كل صالحة ، وأسنى حظك من كل راجحة وهي القلوب ، لا أبلغ في رضاه من تآلفهما على أمره [و 49] وما اقتضاه ، فإنه جل جلاله يقول ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم﴾[1] . فنبه على موضع خصوص التآلف وأنه غير موزون بشيء من التكلف وهو أحد مواضع الإيمان الذي لا مسلك للعدو إليه ولا سلطان له عليه ـ جزاك الله عن إخوانك أفضل الجزاء ووصل لهم بقاك بحقيقة البقاء .

أمّا ما ذكرت من التنقل إلى شلب ـ صانها الله ـ لما فيها من الرفق ، فإن الإخاء يوجب المساعدة لك ، والعلم يقتضي أن لا تنهض بك قدمك إلا عن يقين أو منة ، فإن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، وليسوا مثلك في القوة .

إن كان العدو كما قيل ظهر في تلك الجهات ظهوراً مخيفاً فقف . الأولى بك ألا تنهض ، فإن علامة العون والصون من الله جل جلاله لمن توجه به إليه ووصل حبله بحبله ، والله حاملك على ما هو أزكى لديه وأجمل توصيلاً إليه لا إله إلا هو.

لا تقطع كتبك عن إخواننا بشلب أطاب الله عنده ذكراهم ونور لهم مواضع المنزلة من دنياهم وأخراهم . واعلمني بما خفي عليك من ذلك وتردد عليهم في الوصية في المشايين والحاضرين عليهم والبحث عن [ط 49] أحوالهم والفتش عن أسرارهم . وأن

---

(1) سورة الأنفال ، آية 63 .

يخاطبوك بما دق من ذلك وجل، فإن المخبوء إن لم يطلب لم يوجد.

والسلام عليك مني ومن خاصتي وجملة إخواني ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه رحمه الله

(15)

الله ولي أبي الحسن بن غالب وحافظه في إخوانه ومحبيه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أوصلك الله إلى مرادك منه، ثم جردك له من اختيارك، واختار لك في لطائفه وشريف عوارفه، ووصل إخوتك ومحبتك من رضاه، لك وبك بما ينزلك منازل الصالحين عنده، ويبوءك محل الصديقين لديه بكرمه.

أنا إذا اختصرت فإنما قبضني قابض صدق الإخاء، وما في باطنه من الثقة بالبر والوفاء ومعه من التوقير والحياء. وإذا طولت فالحال بسطت من اليد واللسان ما لا حكم لي فيه، وما ظهر من بِرّي بالإخوان كافة وبكم خاصة إلاَّ وما بطن أعلى منه مكاناً في إن شاء الله، ويوم كتابي هذا هو يوم الخميس الثاني وعشرين من شوال وفيه اتفق سفر الفتى محمد الأشبيلي[1] موصله ـ هناه الله ومعه كتابك هذا إن [و 50] وصله الله، وكتاب إلى أبي محمد عبد الغفور أكرمه الله[2].

فترى رأيك فيه، في إمساكه وفي إرساله، وفي وقت ذلك. وأرغب في تعريف حالك وبحال من ورائك صانهم الله به وبك.

---

(1) يحتمل أن يكون هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن موسى، إشبيلي، أبو عبد الله المجاهد.

ابن عبد الملك: الذيل سفر 5جزء 2 رقم 1261 ص 666.

(2) عرف الشيخ أبو محمد عبد الغفور بالفضل والعلم والكرامات وإجابة الدعاء.

ابن الزبير: م.س. ترجمة رقم 52، ص 37.

وكتب إليه رحمه الله

(16)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * والْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[1]، ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ، لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِم شَيْئاً إلَّا بِإِذْنِ الله، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوكَّل الْمُؤمِنُونَ﴾[2]، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثيراً﴾[3]، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً، وَقالُوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ من اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتبعوا رِضْوَان اللهِ، واللهُ ذو فضل عظيم * إِنَّما ذَلِكُم الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَولياءَهُ فلا تَخَافُوهُمْ﴾[4].

لو أن الأرض تطهرت من الجنايات على الدين وأهله لكانت جنة. ما من نفس على وجه الأرض إلا وهي مسلطة [ط 50] على المؤمن بضرب من التسليط، مسخرة له بوجه من التسخير، فإذا شغله الضجر بالتسليط عن شكر الله سبحانه عن التسخير وعن رؤية نعمة التسخير فقد رقد عقله، ومن رقد عقله لعب عدوه به كيف شاء. والعبد سلطان نفسه عليه، هو سبب كل نفس عليه من جهتها يتصل إليه، فمن صدق في مجاهدتها حتى خافت، خافه كل ما وراءها من نفس.

فليكن همك نفسك لا ما وراءها. فإن الظفر بها ممكن والفوز مبذول، وإن الله لم يخوف بالسيف إلا كافراً ولا بالسوط إلا فاجراً فإن لم تكتمها فلا تخافها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(1) سورة الصافات، آية 180، 181، 182.
(2) سورة المجادلة، آية 10.
(3) سورة النساء، آية 19.
(4) سورة آل عمران، آية 173، 174، 175.

وكتب إليه رحمه الله

(17)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد يا أخي، فإن العبد ضعيف وأن الله خلق الأشياء بقدرته وصرفها بحكمته وسلطها على كل شيء يسلطانه وأدرج في بعض المسلطات خذلانه وفي بعضها مكره. فما كان من الدنيا مقطوعاً من شاهد اليقين فذلك موضع الخذلان، وما كان من الدين مقطوعاً من شاهد اليقين فذلك من حد المكر فاحرص على الحرية [و51] إلا من رق المستحق بحقائق الربوبية، ولا تعرض نفسك لملكة الأشياء وغلبتها عليك، واعلم بأنك لا تقدر على السلامة من ذلك إلا بحول الله وقوته، وملازمة لطفه ونعمته، ومطالبة نفسك بحجته، وذلك ملك دائم قائم مخصوص به أهل حقائق الإيمان فإن العبد إذا اتصلت حقيقته بسكينة إيمان، أمده الله في نفسه الأمن من الدنيا والجنة في العقبى، وآخر مد في أعدائه السيف في الدنيا والنار في العقبى.

قال: الملك من الموصول الحقيقة بسكينة الإيمان المنتهي الملك وعند أعدائه وقف الهلك. فاجمع همك وهمتك في إدراك بعض ما يلزمك من قيام حجة الله عليك فإن ذلك معراج حق يوصلك إلى محل سكينة الإيمان ويحول في البداية والنهاية بينك وبين أهوائك وأعدائك، واستعن بالله استعانة من لا يصلح لشيء ولا يصلحه غير الله شيء، وابك على نفسك الدمع [متبجحاً] برضاه، وليس لي ولك إلا الله، تاب الله علينا توبة حق وصدق مستمرة إلى لقائه بعزته.

والسلام عليك وعلى كل واحد من إخوانك.

[ط 51] وكتب إليه رحمه الله

(18)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد رسوله الكريم، وعلى آله وسلم تسليماً. الله ولي الصديق أبي الحسن بن غالب وحافظه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إذا طال أمد الفترة، ألفه وجع العثرة قام الحزن شهوة في الصدر بحقيقته وإن كان حزناً بصورته وطريقته. وإن أخاك تلافاه الله نسي في بحر الحيرة نفسه ومن سواه، ومن وقع في الطين، وكان من هواه، ولا يدري ما يراد به من نسيانه.

حدث له بشيع وإيحاش من غاد عليه بديع، ومات أمله في التوبة بموت أحبائه وفراق ألبائه، وفقره من دعائم من يقوم بذمامه وبقائه في أرض الوحشة يستوطنها بخوفه ورجائه. تفسخ أخوك تحت أدوائه وعجز على منفعته صبره، أو تصديقه بدوائه. وما يمتعه من أن يجهل اليأس والقنوط بين أحبابه إلا ظلمة الأوهام، وقسوة العطلة من الاهتمام. فإن لم يكن من الله سبحانه عون ينهضه إلى رشده، وصون يكفيه عن سوء قصده فقد حاق به جزاء غفلته وأحاط به ميزان [و 52] [جرأته ؟] وملك أو كاد، ولله المحجة البالغة على عبده ولا حول ولا قوة إلا بالله وبكرمه ومجده.

مات في هذه الأيام صهري أبو جعفر[1] والد عبد الرحيم، رحمه الله، ونضر وجهه - فأحزن وأبكى، ثم وقع العزاء فاستوى لا جعل الله صبرنا عمن نحبه له عذراً منا لهم وغفلة عنا. انطوى من حقه في حقهم وعندي شفقة على ولده عبد الرحيم لصغره، ووالدته أختي - صانها الله - أشد على نفسها وعليه وعلي. فأرغب حسن الدعاء للجميع بالخاتمة الحميدة والمواراة السعيدة والقدوم على كامل النجاة من كافة الغموم والهموم، فما ذلك على الله بعزيز.

---

(1) يحتمل أن يكون ابن عم يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي والد أحمد صاحب بغية الملتمس. في ترجمة ابن العريف عبارة «صحبه ابن عم أبي الزاهد أبو جعفر».
البغية رقم 360، ص154.

وودت أن نعرف أحداً من إخواني ساكن الجأش عن خالص بر وذكر، فأنسى بذكره عني فكنه إن أمكنك.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه رحمه الله

(19)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

إلى الفقيه أبي الحسن ـ الله وليه وحافظه.

من الواحش إليه الحريص عليه أحمد بن محمد.

سلام عليكم ورحمة الله [ط52] وبركاته.

أما بعد، فإنه ليس لمقبوض أن ينبسط، ولا لمرفوض أن يشترط، وأحق الناس بالرحمة من عرف ما لا بد منه، ولا سبيل إليه. اللهم! ثبت أولياءك وأيّد بتأييد الخصوص أصفياءك، ولا تحرمنا من رؤيتهم ولقائهم، ما يزيد في حياتهم وبقائهم.

كنت في أول الحال على مثل الجمر من خوفي على الكمال، فلما بلغني ما صنعته أم فلان ـ صان الله ذكرها ـ وهم يفقأون عينها ويريدون شينها من دعائه ورغبتها إلى من لا يوجد في الشدائد سواه في المغفرة لهم وترك المواخذة، طابت جهتي للجملة وعلمت أن مصاباً لم يكدح في أسرار القلوب، هين في لسان التعزية وإن كان شديداً في لسان التوفية. فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل)[1]، فدل على أن الذرّة مما حملوه به واحتملوه له أثقل مما حمل غيرهم من الجبال، فالتعلق بهم يوجب العزاء، والتعلق فيهم يوجب الهموم والغموم والأرزاق.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده جـ 1ص172، 174، والترمذي في جامعه جـ 3 ص 286 وقال حسن صحيح، والنسائي في سننه الكبرى وابن ماجه وابن حبان والحاكم.
وفي صحيح البخاري، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل جـ 10 ص 111 كتاب المرضى.

كذلك ينبغي للمحب أن يكون في خدمتهم جبلاً وهباء، وناراً وماء فإن لهم حالاً وحقاً فاتباعهم في الحال يوجب [و 53] السرور بما سرهم، واتباعهم في الحق يوجب النوح الطويل فيما شاههم في شيء من الأشياء وضرهم وقَلَّ ما حمل عطاياه إلا مطاياه، أو عرف بلاياه إلا خصوص براياه.

فإذا قرأت كتابي فجدد لله سبحانه شكراً بما جرد ذلك من النعمة في ثبوت إخوانك عند المكروه على إقامة شريعة الخدمة، وإياك أن يزهدك في طلبهم والبحث عنهم حيث كنت أو كانوا، خوف عليك أو عليهم، فإن نصر الله ظاهر قريب واعلم أنهم القوم المرحوم سواهم بهم وإن أساء عليهم، فإنهم رب من غفلوا عنه حتى إذا أضرهم أو نال منهم، خصوه بالشفقة عليه والحنين الصادق إليه، وإنك لا تدري ما وراء ذلك من لطف الله سبحانه بمن لطفوا به.

مات بالبصرة شاب كثير الإسراف على نفسه، فلم يصلِّ عليه أيوب السختياني[1] ـ رحمه الله ـ ردعاً لغيره، وقياماً لحق الله في أهل المخالفة. فرؤي الشاب في المنام على حالة حسنة، وقيل له بما رحمك ربك؟ فقال: بترك أيوب السختياني الصلاة علي.

وتأويله في حقائق العلم أنه رُحم بإقامة أيوب [ط 53] السختياني السنة فيه، فإقبالهم رحمة، وإعراضهم رحمة، فكن محباً لهم وفيهم على كل حال ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله وحده.

ومنذ فارقني عبد الرحمن ويوسف وأبو بكر وإخواننا لم يتجدد عندي رؤية قريب العهد بحضرة المجد، فطال استيحاشي وأصاب سري من الأمراض القبيحة ما فاض على جسدي، فأخوك ـ لا مسك الضر ـ لا صحيح الأديم ولا سليم البشرة ليس بينه وبين الماء مانع، ولا له في التخلف عنه حجة، لعبت به الرياح مختاراً ويدعي معذرة واضطراراً، فلا حسن حال، ولا صدق مقال، وهو جميع بين المرتين وعلامة حصول القوتين، عائذاً بالله لي ولك ولإخواننا من ذلك.

---

(1) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ـ أبو بكر. سيد فقهاء عصره، تابعي من الزهاد والنساك، من حفاظ الحديث وكان ثبتاً ثقة روي عنه نحو 800 حديث ولد 66 هـ وتوفي 131هـ. ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ 1 ص 297، أبو نعيم الأصفهاني: حليه الأولياء جـ 3 ص3.

يا أخي : علم وعمل ما أعزه وأهونه على من لم يره . يا أخي : طلب ولي البحث عليه بعد المحنة بسببه وفاء خصوص ، ووفاء الخصوص كأنه إيمان جديد فإن حسن العهد من الإيمان . يا أخي : شفقة على مثلي بالدعاء حتى يظهر أثر ذلك عندي وحتى أخاطب بها كشف لي عنه من تلك العلاء أي [و 54] حسنة لا يعادلها بعد الإيمان شيء من الإساءة ولا شيء من الإحسان ، وكيف لا يكون كذلك عبد مستور الظن ، مفتوح اليقين ، صاحب رأس الدعوى في كل شيء من الدنيا والدين كلما عصى حركت له الحصى ، فلهى ونسي المنتهى ، لا خوف ولا رجاء ولا هيبة ولا حياء والظن مع ذلك جميل رفقاً بهذه الأشباح ، فإن هذا النوع من حلمك لا يحتمله من أمن بوقوع مكرك .

اللهم! تقبل ما عندنا من قليل الضراعة بها في جودك من كريم الشفاعة بعزتك .

والسلام عليك يا أخي ، بل يا قرة عيني ، بل يا مولاي وعلى أحبائك كل واحد باسمه قرب أو بعد ، كان أو كائن ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(20)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

الحبيب الودود المقدوم الموجود أبو الحسن بن غالب ـــ أدام الله توفيقه ـ وليه في الله تعالى وأخوه أحمد بن محمد .

سلام عليكم عامة وخاصة معشر الإخوة والإخوان ورحمة الله وبركاته .

كتبته ليلة [الخميس؟] الخامس عشر من ذي القعدة . وقبله بخمسة أيام [ط54] ورد كتابك الكريم صحبة أبي بكر بن البناء[1] ـ أكرمه الله ـ ووقفت على مضمونه في جوامع فنونه ـــ فجزاه الله عني وعنكم أفضل المجازاة في دار الفناء والحياة ، وأحياكم

---

(1) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي ، كان أديباً كاتباً شاعراً ، أخذ على أبي الحكم بن برجان وأبي الحسن بن عظيمة ، ولكني أرجح ألا يكون هو لأن سنة الوفاة متأخرة .
ابن عبد الملك : م . س ، سفر 5 قسم 2 رقم 1283 ص 681 .

الحياة التي لا يشوبها كدر، ولا يعوقها عن رضاه قدر بعزته.

وحالي في ظاهري صالحة، وما وراء ذلك فارغ مخوف العاقبة إلا أن يعفو الله سبحانه، وكل من عندي من الإخوان أكرمهم الله، إنما يعتقدون يوم وصول كتابك عرساً من الأعراس، يفدى بالنفوس والأنفاس، ودعاؤهم بحسب مسرتهم، والله يؤلف القلوب في ذاته، ويقود بها إلى مرضاته بعزته.

ووقفت على ما ذكرت من خبر أبي محمد وأبي عبد الله فحمدت الله سبحانه على الفتح فيهما، وسألته الزيادة لهما، ورجوت المزيد من عنده، ونظرت إلى أملي في حاجاتي جميعاً، كأنه بين اليد عملاً، وليس الرب سبحانه بمخيب لمن قصده بأوليائه أملاً. وإذا ذكرت شوق أبي عبد الله فاذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وددت أني رأيت إخواننا فأشتاق إليهم قبل الوجود، وشرفهم بأن كان فرطهم إلى الحوض المورود)[1]. فما ذكره لك من اتحاد نفوس الإخوان بصادق الإيمان [و55] حق لا مرية فيه. وفي كل ما وقفت عليه من تلك الأنباء علم واضح إلا بالمشافهة وعندي به من الروح والأنس ما يعم طرفي الروح والنفس.

ولا أدري ما أقول لك! إلا أني أقول وهب الله لك بكل حرف مما تكاتبني به ألف نور، لكل نور ألف درجة في خزائن القدرة، لكل درجة وجهان، وجه يحيط بأعلى مراتب النجاة، وما ذلك وأعلى منه بعزيز على من هو على كل شيء قدير. نفع الله بعضكم ببعض، وأقام لكم من ذكره مزعجاً إلى كل فرض بقدرته.

تفهم كتاب أخ إلى أخيه، كيف أعامل أصحابي؟ فكتب إليه عامل أهل النهايات بنهاية التصديق وأهل البدايات ببداية التحقيق، وجاهد نفسك وحدها بغاية

(1) أخرجه في حديث طويل لفظة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت إنا قد رأينا إخواننا. ورواية مالك: وددت أني قد رأيت إخواننا قالوا يارسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: بل انتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد . . . الحديث مطولاً. مالك في الموطأ جـ 1 ص 28 باب جامع الوضوء.
ومسلم في صحيحه جـ 1 ص 218 الطهارة.
والنسائي في سننه جـ 1 ص 93، 95 الطهارة حلية الوضوء.

المجاهـدة، في نقض المواثيق بغايـة القبول من أخـذ الوصف من إيمانك، والـدليل من إيمانه الدعـابة في مجلس الذكر ﴿إِعْصَارٌ فِيـهِ نَارٌ فاحْتَرَقَتْ﴾[1] وذلك للتنبيـه على ما في القلوب في أوقات الـذكر من التدنيس بأدنـاس الغفلة. فإن الدعابـة محرم عليها أن ترد على الاسرار الطاهـرة، والاسماع [الظاهرة؟] لـذلك قال الحق وقـوله الحق: ﴿لاَ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيةً﴾[2] بعد قـوله طبتم. وقال سبحـانه [ط55] ﴿لاَ يَسْمَعُـونَ فِيهَا لَغْـواً وَلاَ تَأْثِيماً﴾[3] وإنما حلقة الذكـر روضة من رياض الجنة والعبـد سوق، فما نفق عنده جلب إليه، وميراث أصـدق الترتيل في تلاوة الكتاب العـزيز أو مـا حفظ منه صيانـة الأبصار والأسماع إلا عن المحمود. قلت فما بال العبد قلبه قلب عالم ولسانه في غير أوقات العلم كأنه لسان جاهل. قال: إنما ذلك لأنه بعد متعلم لا معلم فعليه بحكم تسليمه للعلماء وما أخذ منه محفوظ عليهم فهو في كنف العصمة ما أشار إليهم. وأما لسانه فمردود إليه بسقـوط حظوظ السـامعين منه، وإنما مصـابهم من قبلهم لا من قبله، فمن الـواجب عليهم التوبة عنهم وعنه بلزوم ذكر جالب لا يتضح من جوالب الحزن كالموت أو النار - أعـاذنا اللـه منهـا ومن أسبابها - وتـرتيل التـلاوة وملازمـة ذلك حتى يقـوم شاهـد في [سو؟][4] الضمير ملحوظاً بعناية اللطيف الخبير، ولا يجوز لهم محاسبته بما بقي عليه من لسانه إلا بلسان معلميه خاصة. فأما بألسنة المتعلمين منه فذلك مرفوع عنهم وعنه لأنه قد يكـون مراداً في المغفرة، فـلا يكون له بد من لسـانه. وإن لم يكن له في ظـاهر العلم حجة. ولو كان لسانه مراداً في العصمة، واتصل ذلك بما حفظ من سرِّه للعلماء، لكان من المصطفين الأخيـار المخلصين بخالصـة [و56] ذكرى الـدار ولو كـان كذلك لنفع وانتفع، فإنـه يخاف على من ذاكر بعلم حق، ثم داعب أن يكـون كما قيل شوي أخـوك حتى إذا أنضج رمد، و﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾[5] ولو كرما على المتجالسين مجلس ذكر أيقنوا أنه لا بُدَّ فيه من دعابة أن يتذكروا بذكر إشفاق وحزن قول الله سبحانه ﴿فَأَصَـابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَـارٌ فاحْتَرَقَتْ﴾[6] ويرددوه تـرديد بكـاء وخوف ويصرخـون به

(1) سورة البقرة، آية 266.
(2) سورة الغاشية، آية 11.
(3) سورة الواقعة، آية 25.
(4) كلمة غير واضحة.
(5) سورة النحل، آية 92.
(6) سورة البقرة، آية 266.

ألسنتهم إزراء على أنفسهم خاصة لا على المداعبين معترفين بعضهم لبعض بما عزموا عليه لأن الدعابة في محل الذكر من أقبح الأشياء والقبيح لا يحتمل الفضيحة. وبمثل هذا مع الضراعة والاستغاثة إلى الله والاستعانة به ليطفىء نار الدعابة والضحك في أقرب مدة ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّل عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1] ومن نفر عن حائل بينه وبين الله فقد توكل على الله سبحانه.

قلت: فما بال سكون العبد في المحفوظ قلبه مردود إلى نفسه في لسانه وهو في ذلك مأمور بالحركة. قال: لأنه لا بد من نفوذ حكم المشيئة فيه وإن لم يكن له فيه حجة به في العلم توجب له عذراً، ولأنه لم يكشف له بكمال البيان في حدود الذكر إو حدود العيان ما في رد [ط56] العبد إلى نفسه في لسانه من حرمان الفوائد والعوائد، لقوله سبحانه ﴿اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[2] دليل تأويله وتطيعوا الله طاعة موصولة بسلامة الخاتمة، ومن يطع الله طاعة موصولة بسلامة الخاتمة فقد فاز فوزاً عظيماً. فكأن صاحب هذه الرتبة مراد وقت لا مراد جملة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)[3] فظهر بجموع الآية والحديث أن استقامة اللسان مبدأ كل صلاح عمل، ومبدأ كل استقامة قلب وعلى نفسي وحدي تكلمت وعليها وحدها نحت، وبعيبها بُحْت.

اللهم! توبة ومغفرة سموحاً وروحاً من أمرك، وروحاً بكرمك، يا خير الغافرين ويا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين ويا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها.

لا بد من عيش وعقل وعلم، فأما العيش فينبوع قوام الجسد والروح، وهو إحراز الكفاف بأصل من التوكل، أو بأصل من التكسب، فمن لم يصح له عيش، لم يصح له فراغ في طلب حقيقة ومن لم يصح له فراغ في طلب حقيقة لم يصح له عقل ولا علم، وأما العقل فينبوع قوام العشرة والمصاحبة للحق أو للخلق [و57] فمن لم يصح له عقل

---

(1) سورة الطلاق، آية 3.

(2) سورة الأحزاب، آية 70، 71.

(3) أخرجه أحمد في مسنده جـ 3 ص 193 من حديث أنس بن مالك، وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت.

لم تصح لـه عشرة ولا مصاحبة، ومـن بطلت عشرته ومصـاحبته وجب شـذوذه، وكثر عدوه، ولزمـه الخوف والحذر حيث لا ينفعانه، وصاحب هـذه الحال ليس له عيش ولا ينفعه علم. وأما العلم فينبـوع قوام أعمال قوام الدين فرضـاً وفضلاً، فمن ليس له علم فليس له فرض ولا فضل، فكيف يكون له عقل أو عيش؟.

اللهم! حسن أخلاقنا، ووسع أرزاقنا، وأمن بالإيمان والإسلام إلى يوم الدين بلادنا وآفاقنا.

أبو موسى[1] نـزيل جيان كـان معي في رمضان ومضى هـذا المنسلخ عنا، وعنـده فوائد وأعلام قدرة، وفارقني في السفر إليكم، وتكلف لي رغبة إلى الله سبحانه في حاجة وصفها لي بألسنة الصالحين. فإن وصل إليكم يجتمع رأيكم، ووكدوا عليه.

أبو محمد عبد الله [بن عبد] الواحد بن محفوظ[2]ـ أكرمه الله ـ كتب إلي عازماً على استيطان إشبيلية ــ حرسها الله ــ وذكر الآن أنه في كنف رعايـة الشيخ أبي الحكم ـ أدام الله توفيقه ـ وذكر [شراء][3]دار هناك وأموراً نحو هذا. وخطر بـالبال أنه يريد سفراً إلى نـاحية المشرق، وأن رأيـه في الأمن بخلاف مـا كان، وهـو الذي منعني من مخاطبتـه في الوصول إليكم، ومن النـاس مغلوب عليه في آرائه [ط57] وأحق الناس بـالرحمة من لا فراسة له.

وأخي إسماعيل هداه الله سـافر إلى بلاد المغرب وورد كتـابه من مراكش ولا يتحقق له حال. فـادع الله أن يفتح له في نفسه بهداية وكفايـة وأن يميت الجميع ميتة إخلاص وخلاص.

قال لي بعض أصحابي: المكـاشفة بباطن الوجـود عندي دون الوجود بظـاهره لأنه مثال من المنـام، واليقظة أشرف من المنـام، ولذلك مـدة عامين أو أكثـر فما عرفت ولا أنكـرت وكأني فهمت منـه أن أعلى المكـاشفـات وأسناهـا وكلهـا شريـف حق مـا كـان

(1) لم أستدل على ترجمته لعله أبو موسى بن مَسْدي الذي سبقت ترجمته.
(2) لم استدل على ترجمته.
(3) في الأصل شرا.

مكاشفـة بباعث حق على أمـر من الشريعة حق، أو تراجـي حق على نهي من الشريعة حق.

وقد ذكر أبـو عبد الله[1] أنه يـرى من الوجـود ما شـاء كما شاء من تفصيل وإجمال وهي درجة شريفـة عالية جـداً، وأنه إذا تحرك أو حـرك بعضه تحرك الباقي من الـوجود كله. فـإذا وقع له شيء من ذلك وأنت معـه! فلا يكن شيء أهم لك من أن تسأل اللـه وهو يُؤَمِّن، أو هو يسأل وإنت تُؤَمِّن في حاجتك وحاجتي أما حاجتك فإحراز الكفاف لك ولجملتك، وأما حاجتي، فالحاجة التي هو بها أعلم.

اللهم! أوصلنا غاية رضاك، واجعل خير أيامنا يوم لقاك.

السلام المعاد على كل واحد [و58] منكم باسمه قدر شوقي، سلام خادم لا سلام عازم، وسلام تابع لا سلام شافع، أنتم سادتي في الدنيا والآخرة.

إن شاء الله إذا اجتمعتم فخذوا لي في حـاجتي ضمائر، وخاطبني وخص بالضمير من له ضمير.

اللهم! كن راحماً لي من كل مكروه في الدين والدنيا والآخرة.

(1) أبو عبد الله محمد بن يوسف الأبار.

رسائله إلى الفقيه
أبي عبد الله محمد بن يوسف الآبار[1] رضي الله عنهما

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[2] وفي طي هذا الخبر كل بركة لمن تفقه فيه، ولم يهجم هجوم الصبي على ما يذره ويأتيه. إذا علم المعلم من نفسه علم اليقين أنه ليس بحريص على حظ نفسه من المال والجاه، وأمكنه أن يستكثر من الصبيان بوجه مباح صحيح، فعل من ذلك الغاية، فإن أَولى الناس بتعليم الخير أقربهم من القبول، وهذه صفة الصبي. وليس على المعلم واجب أن يتولى كل صبي بنفسه في كل أوقاته وأحواله، فإن هذا غلو وحقحقة، وإنما عليه أن يتولى جميعهم بنظره ورأيه، حتى لا ينصرف الصبي إلا وقد كتب وقرأ، وقرأ غيره إذا أمكنه، ولا يتركه إلى الغفلة البينة [ط 58] الظاهرة المتصلة جل النهار أو شطره، وأما غفلتهم في بعض الأوقات فلا بد منها، ولا بد للمعلم أن يسمح لهم فيها، فإنها العون على وقت الشدة والمجاهدة له ولهم، ولكن ليكون هَمّ المعلم في تعلمهم أخلاق الديانة من الحياء والسخاء والتواضع، وذكر فضائل الفقر وعيوب الغنى ونحو ذلك من الإيمان، أهم عليه وأوجب إليه من حفظهم لحروف السواد، يلقي ذلك إليهم كلمة كلمة وينبههم عليها وقتاً وقتاً.

---

(1) سبقت الترجمة له في الرسالة الثامنة الموجهة لأبي الحسن بن غالب.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه جـ 9 ص 74 فضائل القرآن، وأحمد في مسنده جـ 1 ص 58، 59، والنسائي في فضائل القرآن رقم 61، 62، والترمذي جـ 4 ص 53 وقال حسن صحيح وغيرهم.

وإذا حضرته حالة مع مولاه من بكاء ونحوه فلا يستره عنهم، وليأخذ معهم في بعض أوقاته من العشيات فيما أمكنه من الدعاء، وفيما يحضره من حكايات العباد والزهاد الصالحين والعلماء تحبيباً منه للسلف الصالح عندهم، وإحياء لما درس من ذكرهم، وآثارهم، وتذكرة لنفسه.

ولقد سمعت شيخاً من ذوي الحرمة [والاتساق؟][1] وكان ببلده قرطبة أنه سمع بها رجلاً يمشي في سككها وهو ينادي: من يشتري العقل؟ قال: فكنت ممن اشترى منه. فينبغي للمعلم أن يتعلمه ثم يبيعه من الصبيان رخيصاً. والله المعين

فإن قلت كيف يتعلم الإنسان العقل حتى يعلمه غيره؟ فإني سمعت الشيخ المذكور يقول: لما سمعت الرجل يقول من يشتري العقل؟ [و59] دخلت إلى دايتي فسألتها ما أشتري به، فدفعت لي نصف درهم من تلك الدراهم أو كما قال. فخرجت وتبعته واشتريت. قال: فأخذ طرف كبة كانت بيده، فقال لي: أمسك، ومشى حتى بلغ الطرف الآخر من الكبة ثم رفع صوته، فقال لي: إسمع! فقلت ورفعت صوتي، نعم. قال: إذا رأيت الشر فاهرب منه بمقدار هذا الخيط، فإنك إذا فعلته لم تقع في شر أبداً. قال الشيخ: فكنت إذا سمعت الشر وأنا في داري أردت الخروج، فتقول لي دايتي وأهلي: والعقل الذي اشتريت؟ قال الشيخ: فصار لي ذلك عادة، فها أنا قد بلغت، وذكر أكثر من ثمانين سنة ما قربت من شر ولا وقعت فيه، وكان ذلك في أيام الفتنة[2]، فما أظن كان ذلك إلا رجلاً صالحاً.

فكذلك يحكي الصغار حكاية العقل والعقلاء، وإن أمكن تنبيه بعضهم على بعض الفرائض في الوضوء والصلاة ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة في التوبة ونحوها من الأعمال الخافية فعل ذلك، فمن كانت فيه همة لهذه الأمور ونحوها فليأخذ فيها، وليستكثر من الصبيان لأجلها، وليعلم أن التعليم فرض عليه أو كالفرض، وينبغي أن يشدد المعلم على صبيانه في العمل بما يعلمهم من وجوه الخير، كما يشدد عليهم في الحروف [فهو؟][3] أتم وأكمل ليعلموا أن ذلك جد ولا يتخذوه حكاية.

---

(1) كلمة غير مقروءة.

(2) المقصود الفتنة التي حدثت بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس.

(3) كلمة مطموسة.

[ط 59] حَضَرْتُ فِي أَبْعَدِ مَا قَالُـوا وَمَا وَصَفُوا وَغِبْتُ فِي القُـرْبِ عَمَّا عَـايَنُـوا وَرَأَوْا
نِعْم الجَنِي ذَوْقٌ أَنْسَى بـالذين دنـوا لَـوْلاَ إِقَـامَـةِ شَخْصِي فِي الـذينَ نأَوْا
وَحْـدِي بَقِيتُ فَـلاَ مِثلِ الـذين أَبَـوْا غَيْر الخُضُـوعِ وَلاَ مَثُلِ الـذينَ بـأُوْا
لاَ خَيْرَ فِي العَيْشِ إِلاَّ أَنَّ أَكُـونَ لَهُمْ عَبْداً ولـو أَنَّ رأسِي بـالحسـام مأوا

ثم السلام عليك وعلى جميع إخوانك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله

(2)

الولي الخالص أبو عبد الله محمد بن يوسف ـ أعزه الله ـ يتفق له وليه في الله تعالى أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله والسلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته .

وردني كتابك أكرم بكما فسرني ما فيه من جميل الدعاء ببابك مقروناً بها لا أمتري فيه إن شاء الله من صدق جنانك . وخفت لعلمي بنفسي أن يحول بيني وبين ظهور بركة الدعاء عندي من قلة جدي وكثرة شغلي بها لا يجدي وما عسى أن [ينتفع؟][1] بإجابة الدعاء محل مشغول بأضرار معنى الدعاء إلا أن الرجاء بعون الله لم يفارق نفسي على ما عودها من المعرفة بحالها في ورود لطف الله سبحانه عليها من حيث لا تدري فإن لطف (. . .)[2] التي لا تدري أكثر من التي تدري ولا هم الآن ولا غم إلا في الحدود ومصاحبة [و 60] عالم حاكم حفي وعوفي إذا حضر أدهش وإن غاب أوحش فاجعله لي من بالك أملاً وعملاً . واعلم أنك لن تلقى الله سبحانه بعمل بعد الفرض أزكى لك عنده وأرجى نفعاً عاجلاً من دعائك لي فيه .

والسلام عليك معاداً ورحمة الله وبركاته .

---

(1) كلمة مطموسة .
(2) كلمة مطموسة .

وكتب إليه رحمه الله

(3)

بسم الله الـرحمن الرحيم وصلى الله على محمـد وآله وسلم. سـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعـد حمد الله. أول الأشياء وآخـر النعماء والصلاة على محمـد سيد الأنبيـاء وآله وأصحابه البررة الأصفياء، فإن الذي يصد بـواعث القلوب عن تحقيق ما تذكره الألسنة من المودة والمحبة، نفس تخاف أو عقل يعـاف، وليس عند النفس إلا الـرياء والجهل، ولا عند العقل إلا الرياسة والـدهاء فإن النفس من شأنها أن تكتم عيبها وتجفو من ترى أنه يـرى عيبها، والعقل يتـداهى ليظهر أنه تنـاهى، وفي مثلها تخرس الأقـلام والألسنة وعنـدها تخمـد اليقظة والسنـة فيسكن القلق ويتمكن القلق وتموت الأعمال حين أودي ببـواعثها في تيـار التقية ورؤيتهـا العـرق، فأما السـاكت بعلم وحلم [ط 60] فإطراقه شفقة، وإمساكه صـدقة، ولو شاء لنطق جمعاً لا تفرقة. وأما السـاكت بإيمانه فسكوته أدب أو غضب، وهـذا أطلقهم عذبـة لسان وأوسعهم جليـة بيان، فإن الإيمان معـدن التفصيل ومقر إطلاق الألسنـة بالحسن الجميل. وأما ساكت الحياء والهيبـة فموقوف لا متوقف، ومحمـول لا متكلف يتلوه شاهـد منه، وقد استغنى أن يعتذر أو يعتـذر عنه، مراده أمر غير إرادته معلوم ومكانة مهابة واستحياء منه بنعمتها فيه مفهوم.

وكان لأخيك إخوان عـرف بشواهد التجربة أنه لم تنبعث بـواعث خطابه إليهم إلا برؤية فضل له في حكم الكبر المبثوث، وكانت لـه أسانيد تبدلت النفس عما به تناجيهم حين ظنت بـرعونتهـا أنها توازيهم وكـان إذا ضعف وجهل فتق لسـانه بها أهلـه وبعض إخوانـنـا إذا لم يجد ما يقول، يقول: لعل فـائدة تنكشف أو رحمة تنعطف وقد تقع الحيرة التي ينطفىء بمثلها نور البواعث عزيمة التسيـب بعيدة النسب فلا غريبة يعلم وجهها الا الله سبحـانه أو مـراد منهـا في الكشف من الله عـز وجهـه، فـإن ظهر سلطانهـا في حفـظ الحـدود وَرِعَا [و 61] يَتِهَا كانت رحمة، وإن ظهـر في إهمالها كانت نقمـه ونعـوذ بالله سبحـانه لنـا ولإخواننا من المكـر والخذلان ـ ونسألـه النقلة من ذل المعصيـة إلى عز الطاعة.

وأقرأ عليك خاصة وعلى الإخوان كل واحد باسمه السلام ورحمة الله وبركاته .

جوابك لا بـد منه ، ولك أن تكتبه مهملاً لا عنوان لـه ، ولك أن تعنون بها لا ضرر عليك .

موفقاً إن شاء الله .

وكتب إليه الفقيه
أبو عبد الله أن يجاوبه[1] على هذه الرسالة

وهي :

سلام على مولاي ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد رسوله الكريم . الحمد لله الكائن قبل الأكوان ، البائن عن حدث الزمان والمكان الذي كان ولا شيء معه قبل إيجاد المكان ، وقال وقوله الحق ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2]، ولما فني الخلق عند وجود عدم دعواه وكتب الحق في لوح كل شيء . كلا بل هو الله وعين الحق تنظر شزراً وغمزاً ولسان الصدق ينطق زجراً ورمزاً . هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكراً؟ ثم انفصل العلم عن اليقين وتفصل حتى اتصل [ط 61] بيوم الدنيا والدين وظهر الحق في محل الكيف والأين ، واستتر الحق في وجود حقيقة الزوجين ، وقامت العقول بواجب أمره بأمره . وكثيراً أنكر واستكبر، وما قدر إلّه حق قدره ، وظهرت النفس بكمالها في شطر الدائرة ، وظلت الألباب في كمال نقصها ، ونقص كمالها باهتة حائرة ملكت ملك الاختيار في ملك الاختبار حتى حكم الاضطرار على وفق الأقدار، فعقل العقل هناك عند تحصيل فهم التفصيل .

وقالت النفس عند وجود العجز هل إلى سكوت من سبيل؟ كي لا يظهر ضعفها ، ولتستر بسكوت الرياء لا بسكوت الحياء سخفها ، فلما بلغ النفس الخؤنة ريقها وإن كنت قد حسنت قدماً طريقها ، وفررت لعدل العقل معرضاً عنها ، ومستجيراً بصدقة

(1) رسالة أبو عبد الله بن يوسف الى ابن العريف .
(2) سورة الرحمن ، آية 26 .

منها، سالكاً في ذلك سنن أصحاب الأصول لأهل الوصول في الاعتماد على العقول، فإذا هو بسياسة الرياسة والدهاء يقول: لقد طال بنا البرسام وبئس ما أجرينا هجن الليل في طلق الكلام، ففهمت الإشارة، ولمحت فيه بتنبيه الفقيه أمارة عز الإمارة.

فقلت: حسبي الله، لا نفس تنتصح، ولا عقل عن العلل يرتفع، ثم أومأت إلى النفس إيماء مفتقر في حال محتقر. فقلت: ماذا ترين؟. فقالت: دع الكلم [و 62] الخلف واخف خبره، وامح من الرسم عينه وأثره، فإن العالم البالغ لا يخاطب بقول مهلهل النسخ فارغ.

فقلت: واغوثاه!. أصبحت أسبح في بحر من الخجل، ورحت من خبر العقبى في وجل. فقام خاطر العلم وقال: أنا فوائد الفوائد والموجود في الشدائد بخرق العوائد، أعاقك عائق؟ أم عفي لك أثر في طرق الحقائق؟

فقلت: كان كل ذلك وقد انسدت السبل دون أملي، والمسالك منعت من مراجعة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وقد قال جوابك لا بد منه.

فقال: خلق الانسان من عجل، ألم يسرح عن التقييد بأجل؟.

قلت: أجل.

قال: فأقم المدة إلى وجود المدة.

قلت: لا أقوى على ذلك وأسلم من قول الفقيه هنالك.

قال: فما وصف فيما صنف، ألم يقل في ساكت الحياء والهيبة وقد استغنى أن يعتذر أو يعتذر عنه!

قلت: بلى.

فقال: فدع الاعتذار وكنه.

قلت: أخاف الدعوى!

قال: هو في الحقيقة (الغُثَاءُ الأَحْوَى)[1]، ظاهرة في العلم، في العلم موجود وباطنه في اليقين مفقود.

---

(1) الآية ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ سورة الأعلى، آية 5.

قلت: زدني من البيان.

قال: إن في القرآن لبينات من الهدى والفرقان. تقرؤه؟.

قلت: كلا. لكني أفتح السورة وأقول متى تتم، وأبدأ القراءة وغاية رغبتي [ط 62] أن أختم.

قال: هذا عقل محجوب، وقلب قفله عليه مضروب، لكني أذكرك آية لم تبق في هذا الغرض غاية ولا نهاية، قال الله سبحانه ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى﴾[1] ضرب لكم فقد علمك بها أعلمك كيفية كونك مع سيدك، وأنها ككون مملوكك معك قولاً وعملاً ورجاءً وأهلاً. فهل لمملوكك أن يدعي شيئاً من ملكك وهو بمرأى منك وفي ملكك؟

قلت: سبحان الله! وأنَّى له السيادة؟ وكيف يتخيل خرق هذه العادة؟.

قال: فإن قال أخاف الدعوى.

قلت: هو عبد توهم الحرية وخرج بعد وجود الخوف من رق العبودية.

قال: نعم. والدعوى منا ألطف من هذا. وذلك أنه قد يعبر بالدعاء عن الدعوى. قال الله سبحانه يريد دعاهم.

ولهذه اللطيفة شرح لا يحتمله الكتاب، ولا تسعه كل العقول والألباب، ثم عطف علي وقال: [تحقق؟] كيف كانت النفس أسعد منك في وجود الحجة، وأحمد في سلوك نهج المحجة. أظنك غلوت في احتقارها حتى كدت أن تمضي في تيارها.

فقلت: الحق أجهر إن ظنك ليقين، وإني على تعظيمها لضنين.

قال: فما شئت الآن فاستخبر ولا تستعظم خلقاً ولا تستحقر لا سيما السيئة [و 63] فإنها بطرق الشر والجدال فقيهة.

فقلت: أيتها النفس لقد جال طرفك في ميدان المعاتبة، ضاربة بحسام المنى عنق المخاطبة والمعاتبة فما الذي أخاف أو أعاف إن جاوبته بهذيان وانتلاف؟.

قالت: بخلوص نية من غير فكرة ولا روية اشتهار جهلك واحتقار شأنك وسقوط

---

(1) سورة الروم، آية 27.

منزلتك عند [سائر] أصحابك وإخوانك عيبك وهو سر في خزائن غيبك.

فقلت: أيتها النفس العاقلة ألست أنت المنتشرة القائلة:

العلم إحصاء فكل معلم أحصى المعلم في الحقيقة كانه.

أوليس سيدي بك منك أعلم! وقدمه في الصدق أصدق وأقدم؟ يا عيبة عيب دون دناءة بلا مرية ولا ريب، لعمر الله لولا أطول على سيدي بهفوة باردة بعيدة القرب من الفائدة لفضحت من خفي أسرارها بإصرارها، وأوضحت من دَنِيّ أخبارها، فبأخبارها ما يستسغه السفال، ويستسغه السفهاء والجهال. لكني أنزه سمع سيدي عن سماعه وأراجعه عن رؤيته واطلاعه على أنه بشرها أعلم، وبسرها أستر وأكتم، وبها وعليها في كلتي حالتيها ألطف وأفهم. فإن نفس المتعلم جزء من عالم نفس العالم، وفي مثله يقول الناظم:

[ط 63] أحاط بجُزئياتِنا كل نَفْسِهِ   فأنفسنا في مِلْك عَالِمِها مِلْك
كَأَنَّ جُنُود العارفين جُنُودهَا   تَصْرفها ملكاً لها وهي الملك

والسلام المؤكد المعاد المردد على مولاي عدد ما لا يحصيه عدد ولا يحويه أمد متصل المزيد بدوام الأبد ما اتصلت صفاته بالمزيد وحياته ورحمة الله وبركاته.

فجاوبه الفقيه أبو العباس رضي الله عنه
(4)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على محمد ورسوله الأخص بشرف التأويل والنص، وعلى آله الذين هم إذا أخلص له ما له وعلى كافة من تجوز الصلاة عليه ويزكو بها المصلي عنده ولديه.

سلام عليك أيها الأخ ورحمة الله وبركاته.

وقفت على كتابك وقوفاً أراني أجناد البر والصدق صفوفاً، وكشف لي عن كثير مما جهلته حسناً معروفاً وكثيراً. كنت أعتقد فيمن ينتقد أنه غير مصيب وأن العذر ضرب

فيه بنصيب، فإذا حملتني نفسي إليها فارقتها، وإذا ساعدتها فذنوب سلفت حملت عقوبتها ذنوب خلفت، ومما كنت أراه أنه لا يضام لمختصمين ولا خصام بين متحابين حتى ذكرت قول الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْـمَلَإِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1]وذكرت قوله عز وجل [و 64] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾[2]، الآية، إلى قوله ﴿خَصْمَانِ﴾[3] . وفي الثابت المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم: هل تدري فيما اختصم الملأ الأعلى؟ فعرفت أن من الخصام عملاً صالحاً وأن في بعضه علماً راجحاً، وفكرت في المثنى فوجدته بحقيقة من التثنية سينازع من ثناه، ويدافع من شاركه في معناه شاء ذلك أم أباه، فإما بلسان الحال، وإما بلسان المقال، فكل شريكين الوحدانية لهما عارية وفي الفرقة والكثرة ثبتاً، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[4]فـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[5] ، ﴿وَلَهُ الحَمْدُ في السَّمٰواتِ والأَرْضِ وَعشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرونَ﴾[6]وقوله قبل إيجاد الكان. ذكر سهل[7]رحمه الله أن الكان هو الله عز وجل، وهذا هو الصحيح في لسان علم الحقيقة، لأن الكان رسم، وحقيقته الأزل، والأزل رسم وحقيقته الله عز وجل. فالكان لا يدخل تحت الإيجاد لا سيما وفيه ألف المعرفة ولامها، والكان في نعت الحكمة هو الكمال المنزه عن الإعداد المقدس في عين السبق عن الإمداد والاستمداد.

وأما الكان الداخل تحت الإيجاد فهو تناهي الحدوث في المحدثات ومحل شرف المخترعات وهو يلحق الأكوان رسماً في الأصل [ط 64] لا حقيقة لما بين العدم والقدم من التعادي نشأة وطريقة، فإذا كلمة إيجاد الكان لها مساغ في القول الملفق وليس معها بلاغ في المعنى المحقق.

---

(1) سورة ص، آية 69.
(2) سورة ص، آية 21.
(3) سورة ص، آية 22.
(4) سورة الأنبياء آية 22.
(5) سورة الصافات، آية 180.
(6) سورة الروم، آية 18.
(7) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد. أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في تفسير القرآن، وكتاب رقائق المحبين. ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ 2 ص 429، أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ص 189. ابو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ص 206.

قولـه: ولما فني الخلق عنـد وجود عـدم دعواه، تفسير الوجـه فيه أن الخلـق حال نشأته الأولى التي لا نشـأة له قبلها، نشأ محفـوظاً من الـدعوى ثم تـرتبت النشأة بتدبير الحق سبحانه وعلى حكمه، حتى ظهرت نشأة النار ثم نشأة الطين وعرضت عليها عهود الأمانات بثوابها وعقابها، فاحتملاها فمن يومئذ ظهرت الدعوى بفنائها وبقائها، وظهر عن ذلك [فناء] الخلق وبقـاؤه فأما قبل ذلك فقـد كان كل شيء باق وببقـاء الحق أولياً ليس قبله فناء فقد مرت على كافة الخلق أطوارهم [وهنا؟] شهد الله عز وجل بما شهد به لنفسه وكلهم حينئذ باق ببقاء الحق وهو أول طـور من أطوار الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وفي إظهار بقاء الكافة من الخلق ببقاء الحق على الفطرة الأولى من غير مزاج ولا معـارضـة نـور مشرق بظـلام داج، يقـول الله سبحـانـه ﴿وَهُـوَ اللهُ في السَّمَـوَاتِ وَفِي الأَرضِ﴾[1] ، وقال ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾[2]، فثبت أنه ليس في [و 65] النشأة الأولى دعوى ولا فناء، ويومئذ كان مكتوباً في لوح كل شيء بالذكر الأول هو الله.

وأما **كَلاَّ بَلْ هُوَ الله** فإنما ثبت في الألواح التي عرض لها الشرك الجلي أو الخفي، فلما محتها يد المجـاهدة بماء التوبة في أوقات دوام المساعـدة وكمل صفاء الألواح، واتصلت الأشبـاح بـالأرواح، وكلت أبصـار أبصار البصـائر عما عـاينت ورأت، وبلت أرحـام الوحـدانية بعضهـا بعضاً فتـدانت بعدما نـأت وكتبت فيها **كَلاَّ بَـلْ هُوَ الله** ففي **كَلاَّ** عظمتها وفي **بَلْ** نعمتها، وفي **هو الله** سلطانها وبرهانها.

هذا هو الذكر الثاني في الألواح خاصة، وهذا هو بقاؤها الثاني ببقاء الحق والحقيقة عن فنائهـا بفناء الدعوى والنفس، فإذا قيل في لـوح كل شيء فذكر الدعـوى والفناء، هناك وَهْم لا وجه له ولا أصل.

وأما تفسير الوجود والعدم فإن العدم رسم تابع للعلم في محل العلم، متقطع الخط بكليته عن الخارج الـذي هو باعث الـذوات، والوجود هو انتظـام الذوات في الخارج، والصفات وأخـص أسمائه في حقيقة الذكـر يدور على الثـابت والثبات، فليـس للعدم

(1) سورة الأنعام، آية 3.
(2) سورة الزخرف، آية 84.

البتة وجود من [ط 65] حيث تبرأ الخارج منه وانفصل الداخل عنه والدعوى لها وجود وبقي عينها لا بوجود الحقيقة موصولاً ببقاء الحق. وذهب قوم إلى أن العدم له وجود من جهة أنهم عرفوه مذكوراً فتوهموا من حيث كان كل موجود [موجوداً][1] أن كل مذكور، وهذا مذهب الظاهرية المحضة وقياسه باطنية محضة وكلتاهما أعني الباطنية والظاهرية تنافرهما الحقيقة.

قوله: وعين الحق تنظر شزراً وغمزاً معروف مشهور من شهادات الأصول أن الحق أضاف العين إلى نفسه تشريفاً أو تعريفاً، فإنما هي كمال رؤية وتحقيق، وليس البتة رمز ولا غمز، ولا لهما إلا ما هناك طريق. وليس للرمز ولا الغمز أن يتعديا خائنة الأعين حكمة وشاكلة الأنفس حكماً وإذا وسع الله ضيقاً فقد حرم أو كره الزيادة ومنع الاسترسال والهوادة، وأخاف أن يكون قوله ترمق زيادة على موضع التوسعة قوله ولسان الصدق ينطق رجزاً ورمزاً. هذا إنما يصلح لعبد متحقق بسماع الحق ووقتين من أوقات إرادته مختلفتين أو لعدين.

قوله: انفصل العلم عن اليقين وتفصل قول حسن إذا كان اليقين يراد به الحق سبحانه فإذا [و 66] أريد اليقين حقيقة العلم فالتفصيل متقدم على اليقين تقدم العموم في العين الواحدة على الخصوص.

قوله: وضعه الخلق في محل الأين والكيف، فهو كذلك في رسم حقيقة الخلق، فأما في عين حقيقة الحق فإن الخلق يوجد سابقاً ويتبعه الأين والكيف فيوجدان حقيقة في محله.

فصل

إستتار الحق في محل الزوجين غير مفهوم على حكم الحقيقة، والمشهور المعروف أنه ليس دون الحق استتار في عين الحقيقة ولا في عين لسانها والمستتر في حقيقة الزوجين هي الوحدانية التي قام بها وجود الزوجين التي في حقيقة دار أو جار، وأما وحدانية الحق وكذلك الحق فأوسع من الاستتار وأعم الأقطار، ولذلك قامت حجة الله في التوحيد

(1) كلمة غير واضحة.

بكل شيء، على كل شيء، في كل شيء. ولكن إذا عشي صاحب الأمانة بهواه عمي ذكره ذكر المشرف وذكر به مولاه قيض له الشيطان يغويه، وجعل على بصره غطاء من ظلمة الهوى يعميه بحال غطاء الهوى على عين البصيرة بين نور البداية الموضوع في البعد قسراً أو اضطراراً.

ونور البداية المطلوب من العبد [ط 66] دركه والتعرض قصداً واختياراً، وقد ورد من ذكر [الدواء؟][(1)] عجب ما له تفسير لا يليق به وقتي هذا المضيقة واتساع القول والإشارة في ذلك المعنى.

قوله: فقامت العقول بواجب أمره بأمره. صوابه عن أمره أو بإذنه لأن آثار القدرة قامت بإذنه، ومعاني الخصوص ظهرت عن أمره.

قوله: ظهرت النفس في شطر الدائرة كاملة. صوابه أن النفس في ذاتها حقيقة نقصان لأن كل شيء تفصل، ولم تكن النفس من أجزائه، فبقاؤه بقاء الحق والحقيقة دائم، وكمال فطرته في إيمانه سالم، وأما كونها في نصف الدائرة فإنها كذلك من حيث أحاط بها القهر والقسر، وأما من حيث توجه إليها الأمر والنهي ففي نقطة أسفل سافلين. هذه حقيقتها من جهة ذاتها، ولها من جهة ما هي تابعة له من عقل وعلم وإيمان غير ذلك من الأحكام.

فصل

حيرة الألباب في كمال نقص النفس ونقص كمالها من جهة أنها ملكت ملك الاختيار في ملك الاضطرار إلى آخر الحديث لا يتضح وجهها وتأويلها، لأن اللب هو ما اتصل من نور الفطرة بنور الإيمان، فكلما طلع له نور حق أو حقيقة خالطه [و67] وألفه وإن طلع له ظلام نافره وشنفه، ولا حيرة له إلا عند الممتزجات التي ليس لها تفصيل البتة، ولا بد له فيها من تفصيل الكلمة، وكمال نقص النفس عند اللب واضح بيّن، ونقصان كمالها إذا كان لها كمال بطريق العارية بيّن واضح، وملكها ملك الاختيار باطل بيّن لأن مكانها أسفل سافلين بذاتها، وهو مكان لا يصلح للملوك، وقد يكون في المجنون ما يشبه أخلاق الملوك وليس به، وتفسير هذه الاشارة أن الاختيار هو رؤية

(1) كلمة غير واضحة.

الأولى ومشاهدته وملك الاختيار وهو ظهـور الأجناد والولايات، بين مسخر ومستخدم في سلطان، الـرأي يتبع رؤية الأولى، والنفـس من هذا كلـه بمعزل، ويصلح لـه عبد مستخدم الجملة بحقيقة إيمانه ثم إقامة الحق مقام الإمامة والقدرة، وقال سبحانه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾(1)، ففرق بين حقه وهو المُلك، وحظهم وهو النعيم.

وزعم قـوم لا ترتضي عـربية قلوبهم أن النفـس مفوض إليهـا، وهذا حـرام شرعاً، ومحال عقلاً، فأما استحـالته فمن أجل أنه لو صح التفـويض لصحت حقيقة القدرة، ولو صحت حقيقة القدرة أفضـت فنون وقائعه [ط 67] ومجوزاته إلى أن الأقدار أعجز، وأن الأعجز أقدر وهو محال، والمفضى إليه محال.

وأما تحريمه شرعاً فلما فيه من الإلحاد في أسماء الله الحسنى، والقدح في ذاته وصفاته العلى، وأجمل عبارة في مسألـة القدح على الإجمال أن العبد قامت عليـه الحجة بصحيح [المظان؟] وثبوت العلم لـه، به قيامها على الفاعل حقيقـة، وهذا سر. فمن هنا تحيرت الألبـاب لا من هنـاك فبطل العجـز بصحيـح المظـان، وشرط العلم بـه حكماً، وثبت العجز لاستحـالة قيـام حقيقة القدرة بـذلك المحل حقيقة، فبطـلان العجز حكماً منع العبد من أن يكون مجبوراً أو معذوراً، وثبوت العجـز حقيقة أوجب للعبد أن يكون عبداً يلبس الطاعة، والسخـرية حقيقة وحداً ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَـالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فادْعُـوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(2). وهذه أحـد المعارف الذي بـذلت الولايـة والهداية قبلهما لأقوام فكادوا هم الرفعة لا يكون بأيديهم من الحق إلا أضغاث أحلام.

قوله: وتنزل الخاطر. صوابـه أن الخاطر عند الفقراء والفقهاء وارد سماوي لا يحمل إلا حقاً، ولا يسمع الأصـدقاء فـالكيف المذكور ليس من [و 68] محمولاته والخبر عنه ليس من إشاراته ولا دلالاته، ولكن الخاطر يبدو ويغيب والعبد هو الذي ينزل ويتنزل، وليس للخاطر بذاته سفول ولا نزول.

قـوله: وعقل العقل. هـذا قـول يرضـاه الشعـراء ويأباه الكبراء، لأن العقل يمـد بالأنوار ثـواباً وهِداية، ويكف عنها عقـاباً وزراية، وربما رد إلى ذاته، والربانيـة بروحها حافظته ومربيته حتى ينتعش لما يراد به انتعاشاً، وتنتعش القوة التي يحمل بها ما وراء ما

(1) سورة الإنسان 20.

(2) سورة غافر، آية 64، 65.

عنده انتعاشاً. والعقل مركوز ها هنـا بما كان عليه في حال النشأة، وليس بمعقول هناك البتة لما سبق من الدليل على أن كل شيء في النشأة الأولى كان باقياً ببقاء الحق والحقيقة، وقالت النفس عند وجود العجز صوابه عند ظهور آثار عجزها، لأن العجز حقيقة ليس بطارىء عليها فتجده بعد أن لم تكن تجده.

فصـــل

فزعه من النفس إلى العقل وذكـره أن ذلك من سنن أهل الأصول وليس على طريق أهل الوصـول. فالفزع صحيح ومـا ذكره باطل لأن أهل الأصـول لا يميزون بين النفس والعقل، وقد وقفوا عند ضياء العقول وعليها يعملون، وإن كانوا لا ينظرون، لا ينظرون فيها ولا [ط 68] يتأملـون وإنما التميز بينهما علم من الحقيقـة لا ينال إلا من كـان من أهلها.

قوله:

أَحَــاطَ بجُـزْئِيَّــاتِنَــا كُلَّ نَفْسِــه ... فَــأَنْفُسُنَــا في كلِّ عَــالَمِهَــا مِلْكُ
كَــأَنَّ جَمِيـعَ العَــالَمِينَ جُنُــودُهَــا ... فَكُلُّهـمُ مَلكـــــاً لَهَا وهي المِلْـكُ

تقديره أحـاط بجزئيات كل أنفسنا وهذا على رأي الفقـراء، طريقة المثل، ويصلح حقيقة في عـالم الحق والصناعـات، ويتعلمها إذا ثبت لهما شرط التعليم والتعلـم وسببه وأحق الناس بقبوله المنتسبون إلى الفلسفة العقلية، لأن كل ما أضافته فلاسفة الدين إلى القلوب أضـافته فلاسفة الفترات إلى النفـوس، ولو كان القلب في الشعـر مكان النفس لكان أحق الناس بقبوله الفقراء.

والسلام عليك معاداً أيها الأخ ورحمة الله وبركاته.

(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.

قال الله سبحانه ﴿الَّـذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَـالُوا: إِنَّا لِلَّـهِ وإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُونَ﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[1]وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: من أصابته مصيبة فقال كما أمره الله ﴿إنا لله و إنا إليه راجعون﴾ اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله ذلك به[2] قالت أم سلمة: فلما توفي أبو سلمة قلتها ثم قلت ومن خير من أبي سلمة. فأعقبها الله رسوله فتزوجها والحمد لله المسبح بحمده المقدس بتأييده ومجده الذي كتب الفناء على كل ناطق وصامت، وجعل في وجوده الدائم عوضاً من كل فان وفائت، فدل متلوفاً على العوض، وأصل مشغوفاً بعرض أو عوض، وقال الدليل والبرهان هل الفائت إلا سلالة أصلابكم ﴿أَفإِنْ مَـاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَـابِكُمْ﴾[3] وبهذا قدر القدر بحسن مستقدمه ومستأخره، وظهر سر الخبر في الأمة بالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره لكن الآخر أقل ﴿فَـإِنْ لَمْ يُصِبْهَـا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[4] مع خمول القلة واستتارها، وظهور العلة وانتشارها وخصوصية الملة في القرون السالفة وأعصارها فلله الحمد على قديم إحسانه وعظيم نعمائه، وامتنانه أعقب المفقود موجوداً في محله وأوطانه، وغلب الرحمة على الغضب في حال سطوته وسلطانه، ومَنَّ بالنجاة على النجاة في مبارك العطب وأعطانه، فاستقر السر وبطن، ولما عاين العارف بحر الأقدار، عم جميع الأقطار بأنواع المكاره والأقدار، والكل سابح غريق في [ط 69] حال الهلاك أو هالك، والفار يتوهم إمكان الفرار كالمستجير من الرمضاء إلى النار، ولروح الرحمن سريان سر في سر الحكمة، قال

---

(1) سورة البقرة، آية 156، 157.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه رقم 918 الجنائز باب ما يقال عند المصيبة، وأبو داود رقم 3119 الجنائز. ومالك في الموطأ جـ 1 ص 236 الجنائز باب الحسبة في المصيبة، والترمذي وغيرهم.

(3) سورة آل عمران، آية 144.

(4) سورة البقرة، آية 265.

فأوجز وأعجز، ليس العجب ممن هلك كيـف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا؟ ومن أين سلك؟ . ولقد قال وصدق وبمفهـوم الوجود في المشهور نطق، لكن النجاة لا تبصر بحاسة عين، ولا تحصر فتدرك بـالكيف والأين، لا سيما والزمان زمان ليس لمؤمن منـه أمـان، وإني وقـد خفي الخبر ودرس الرسـم فلا عين ولا أثـر، وعـادت العـادة في الغـالب عبـادة، والهوادة إرادة، وطفق المريـد يطلـب مـراده وإن أخطأ مـراده وخـدع المخادع في الحديـن حتى اختلفوا في حـدود الدين وائتلفـوا على الدنيا والإطـراء في حق اليقين [ونبت؟][1] النبـات أمـلاً وعمـلاً على عـارض عـرض أو أجل أثـاره مـرض، وأصبحت النعمـة نقمة أو كـادت وراحت المحنة محنـة أو إحنة في حقهم، فأكـادت، ومعهود الإرادة عكس ذلك لـولا ركس الغرض أو نكس المرض الكامنين هنـالك فيا لها من فجعة لم يأن لأهلها رجعة، ويا له من مصاب سقى القلوب صرف الصاب وجرعها غصص الألم والأوصاب.

هلموا إلى المدام المبـاح فقد وجـب البوح بـالنواح [و 70] وعدت العـوافي رزءاً ما يرجوه أجـر ولا يرجى عليه جزاء. كم ذا أصبح عـدم النصيح! ليتني ناصح فأريح! أو منصوح فأستريح! ألا هـل من مستكشف غير مستنكف؟ ألا سائل مرسـال فأستفهم عن بعض ما أشكل أو أبهم؟ سلـوا عن الخطرات وآفاتها واشتغلوا بـالبحث عن النيات ومخبآتها، فإن في محمود العمل من العلل مـا لا يكشفه إلا خطب جلل، وإن في معهود الخطرات من الآفـات ما لا يعرفها إلا واجد الـوفاة، وما تغني الآيات والعمـر قد ذهب وفات.

لقد قلت ووصيت حتى قـال الطالب أو المطـالب: خوف وعنف وحفي، فشتت ونعى وكلا ما جفوت إلا نصحت وصفوت، ولقد خاب وما أصاب من تغلغل بفالوذج الـرجـاء خلـواً من الخوف وتعلل بأنمـوذج من سعـة الإمهال والإرجـاء، فقـال سـوف وسوف.

اللهم! إنا نطمح تكرماً بل نقطع جرأة وتجرماً على جـودك بالنجاة، وجئنا ببضاعة مـزجـاة، فـامنن اللهم على عفـاتك الحفـاة بإشـارة أهل اليمين، تقـوم للكل المثمـون

(1) كلمة غير واضحة.

والثمن، فإنك قلت في معرض الامتنان ﴿هل جَـزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[1]. فجازِ اللهم على إحسانك السابق [ط 70] بإحسانك اللاحق المتلاحق وصله يسراً من العقبى بعافية من المكاره والأكدار صافية برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله في العالمين.

---

(1) سورة الرحمن، آية 60.

وكتب رحمه الله إلى
جملة من الإخوان[1] رحمهم الله

(6)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

من اعتقد نفسه أعقل الناس فهو أحمقهم، ومن اعتقد أنه فقير العقل إلى كل عقل في أهل السموات والأرض في الإنس والجن فيرجى أنه عرف نفسه إن صدق في اعتقاده ذلك، ومن افتقر عقله إلى كافة العقول فكل ما سمع نصيحة، وكل ما عمل من ذات نفسه فضيحة.

وأنت يا يوسف إن نفعتك همتك واتصلت بتوفيق الله وحسن عقلك عن الله ذمتك، فلا يكن شيء أحب إليك من أن لا تعمل عملاً إلا بمشاورة مسلم تجد في رأيه البركة، وعلامته أن لا يشير عليك إلا بما يحببك إلى أهل السموات والأرض جميعاً، ويحقق حالك في محمود الظاهر والباطن، وهو الحقيقة. أمسك لسانك ولو مت، وتعلم من وقت حروفي هذه ووصولها إليك العقل، كما تتعلم [و 71] السورة من القرآن، وطالع بعد ذلك بأحوالك، وما اتفق وما أتقن لك من ذلك غير خارق لعادة ولا موحوش لقلب مسلم ولا مكتمل إلا على الله وحده، ولا نازل من الدين إلا في أحط منازل الجهل عند نفسك، نزولاً تعرفه العامة والخاصة من حالك وأفعالك، لا من لسانك وأقوالك، والتزم حرفة لا تقطعك عن صالح بينك وبين الله تعالى، ولا تجرك إلى ما يوبقك في غد، وابك على نفسك بكاءً صادقاً، واعمل على ما يبقى معك في هذه الفانية، وحياتك في تلك الباقية، وجانب القرناء برفق، فكثرة التزامك للشغل فيما ينفعك أو ينفع أهلك مجانبة حريص عليهم في الظاهر من غير نطق بلسانك، زاهد في

(1) الرسالة موجهة إلى أبي عبد الله محمد بن يوسف.

السر في حقيقة نفسك، عاتب عليها ألا ترضاها لأحد من خلق الله خادمه فكيف صاحبه؟ وانتظر الموت مراراً في الشهر يأتي بك إلى أن تنتظره مراراً في اليوم، وإن خطر بقلبك أن الذي نصحك بهذه النصيحة ليس من أهل هذه الصفة فليخطر بنفسك أنها أنفع لك وله، وأولى بك في حق الله تعالى وحق عبوديتك، ومن ترخص في الحجة حاد عن المحجة، وحسبك الله وحسبي وكافة إخواننا المسلمين.

وأوصيك بأمور فالزمها جهدك صلاة [ط 71] الجماعة لا تفارقها إلا أن يحال بينك وبينها، والجمعة صلها خلف كل من قدمه الإمام بَراً كان أو فَاجراً، وحسابه على الله. الصوم تطيب القلوب لكافة الخلق. اليأس من كافة الخلق وقطع الطمع، الإنصاف، الإشفاق، الوزن، الحزن، التواضع، الصمت وهو ثلاثة أنواع: صمت اللسان إلا عن فرض، وصمت الجوارح عَمّا لا يدخل في عمل صالح إجماعاً، وصمت القلوب عما لا يُرضي من العقود والخطرات، ومن كلم أحداً بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو بآية أو بإجماع أو باستنباط من هذه الثلاثة قريب ظاهر، أو بعيد خفي، والمخاطب قاصر عن ذلك الكلام، فقد عرضه للفتنة بالسنة. ومن فعل فعلاً يجوز له تركه بمحضر أحد فالأمر كذلك، وإذا كان النطق فبشرط أن يكون نطقاً يسلم عليه كل قلب خلقه الله تعالى وهو خالقه إلى يوم القيامة، إلا قلب كافر مجاهر.

وأما الإنصاف في حق الخلق بعد كمال الإنصاف في حق الخالق، تنظر العمل فتبتدىء بمعرفة إنصاف الحق فيه على الكمال، ثم في إنصاف الخلق ثم تشرع في ذلك العمل.

الوزن من وزن نفسه فرأى أن إحسانه أرجح فقد [و72] خاب إلا من عصم الله بالعفو، وذلك أمر غائب، ولا يعمل عليه إلا مغتر، وليعلم الوازن إن رجحت عنده سيآت من أقر بالإسلام وقبله أهله كائناً من كان القابل من عاص وغيره، فقد خاب الوازن وخسر العيش.

من أين؟ وكيف؟ ولم؟ لا تأويل إلا ما حقق إجماع الأمة، وإذا نطق به إنسان عرفه الكافة، ولم ينكر مسلم بحقيقة إيمانه البتة، لا يجوز خلاف الظاهر إلا إذا كان العمل به كفراً أو معصية أو بدعة أو جفاء للصالحين، وخلافاً لحسن آدابهم وأخلاقهم كوناً

ظاهراً لا شك فيـه، والصالحون هم أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأتباعهم بإحسان رضي الله عن جميعهم ما نقلته الكافة وعرفته القلوب، عرفان المحبة.

اليقين وأصوله إجماع الأمة بـالفتوى، وإجماع القلوب على أنه أولى واليقين في ذلك اليقين من أنه لا بد منه في الأخرى، ومن تأوّل في شيء من الدين تأويلاً يؤدي إلى العمل بِأَدْوَن الوجهين فهـو الظاهري. ومن تأوّل في شيء من الدين تأويـلاً خارجاً عن حكم ذلك الشيء وحكمته والمعروف المشهور والمنصور من أمره فهو الباطني، وكلاهما تالف - إلا من عصم الله تعالى.

أربعة لا يكـون السلوك [ط 72] حقاً إلا بها وهـي: إسقاط الكـذب، وإصلاح الكسرة، ورد التبعـة، وإخـراج الظلمة نعني إخـراج الترخص في الأقـوال والأعمال من القلب بـالعمل في ثبوت حـال اليقين في القلب ثبـوتاً مـا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِـرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

وَرَد التبعة هو أن يـؤدى إلى كل مظلوم له حقه، وأصله، استرضـاء كافة الخلق من صالح وطالح، ممن غضب عليـه يوماً ما، فما فوق الغضب ولا يسترضى بـالقول وحده ولكن بالقـول والعمل جميعاً، وبالنية الصـادقة الصافية، والعقـد على الدوام على ذلك قولاً وعملاً ونية صحيحة إلى الموت، ومن استرضائه خدمته فيما يتولى من أمر دينه ومباح ذلك، ومهاداتـه بما حق من الكسب الطيب، واعتقد فيـه أنه سلفاً صحيحـاً لا شبهة فيه، وموازنه ما بين العـزة والتواضع في كل أعمال البر، فإذا كان العمل من أعمال البر له وجهـان: وجـه إلى التـواضع، ووجـه إلى العـزة، أخـذ بها فيـه من التـواضع على نيـة صحيحة، وترك الآخر على نية صحيحة، ونفر عنه، لم يعمل بأصل صحيح مما أجمعت الأمة على صحتـه، والفقه على الـرضى به، فما أقربـه إلى الزلل، ومن لم يسترضِ عـامة الخلق في عامـة أحواله فما أحـراه بأن يشهدوا [و 73] عليه وهم شهـداء الله في أرضه، وأوكـد ذلـك حقـوق الحكـام، ثم حقـوق الفقهـاء، ثم حقـوق المنسـوبين إلى الستر والصيانة.

ومن رأى منكراً ظـاهراً بيناً فعليـه بخاصـة نفسه، فإن المشغول بعين الفـريضة من

(1) سورة فصلت، آية 43.

حـال نفسه وإن كـان عالماً أو حـاكماً لا يجب عليه ذلك، فكيف بمن ليس بعـالم، ولا حـاكم، ولا صـديق، ولا رفيق؟ إذاً فما يتعين تغيير المنكـر على الحاكم بـالشرط ومـا في معنـاه، وعلى العلماء بالنصيحـة والتبيين، وعلى الأصـدقـاء بالـرفق والنصيحـة، وإلا صارت فضيحة.

وأشد الإنكار ضربـان: الإنكار على السلطان، لأنه حجـة الله ولا ينبغي أن ينكر عليه شيء من قوله أو عملـه إلا بشروط: منها الستر، والسر، والرفق، والعلم الكامل، وارتفاع التهمة البتة، وسلامة النية، وأن لا يراد بذلك إلا وجه الله وحده، يشهد بذلك الأحوال من الناصح والسلطان والوقت.

والضرب الثاني: إنكـار الأسفل على من فوقـه في علم أو حال، وإن كـان ولده أو خادمه، وأصلـه كله التوقف والتثبت عند الحركة إذا حانت، وعنـد السكون إذا حان، وسؤ الظن بمخلـوق يجوز تحسين الظن به محرم شرعـاً، ومعنى يجوز تحسين الظن به أي يجوز أن يكون معه مسلماً عند الله وعند [ط 73] فقهاء المسلمين وعلمائهم.

ومن ادعى فيمن نطق بـالشهادتين نطقاً ظـاهراً أنـه كافـر، ولو بأبعد تـأويل فهو الكافر عندي حقيقة ظاهرة [لا خافية؟][1] فصار الإنكار منه حق ومنه باطل.

والإنكار الحق إنكار المعنى الذي هو في نفسه يهودية أو نصرانية أو شركاً كالتعطيل الظاهـر، وكادعاء النبوة، أو ادعـاء الربوبيـة إذا كان هكذا إلا عند المنكـر، ولكن عند المنكـر وعند فقهـاء الإسلام وعلمائه، كينـونة ظـاهرة يعـرفها صغـار الصبيان وضعفـاء النساء، وتجري بذلك أحكامهم المشهورة المنصورة.

ومن الإنكار الباطل الذي هو إنكار عند الخصوص: القطع من العبد بأنه سيكون كذا قبل كونـه فلا بد من المشيئة التي ورد بها القـرآن عقداً وقولاً ونية صحيحـة وعبودية صريحة ولا يهلك على الله إلا هالك.

ووجدت له من هـذا المعنى رحمه الله بعد ثبوت ولايته إذا كـوشف فقطع بالمكشوف قطع يقين فقد زل لأنـه تحكم على القدرة في عين النفوذ وذلـك ليس لأحد من خلق الله عـز وجل مباح، وهي دعـوى في محل العلم خارجـة عن مـوضع يقين العبوديـة لها من القدح في الدين بالمكشوف بحسب قوتها وضعفها.

---

(1) كلمة غير مقروءة.

ومن [و 74] صرف الأمر إلى المشيئة في النفوذ، وخاف من موضع المكر، فهو الموفق بما سيكون، وذلك في الرؤيا، ليس للعاقل منها بأكثر من إنها رؤية، وأما هل يكون؟ أو لا يكون؟ ومتى يكون؟ وأين يكون؟ ومن صاحبها؟ وغير ذلك من الوجوه فكله موقوف على المشيئة، فمن قطع فقد تحكم ومن تحكم فقد أنكر القدرة، لأنه أبطلها بإلزامه إياها حكماً لم يقع به اليقين وقوع الماضي. هذه حال الولي بعد ثبوت ولايته.

وأما نحن وأمثالنا فكل شيء منا إنكار، لأن الإقرار من شرطه العلم والحال جميعاً، ولسنا من أهله، وأصل البلاء كله رؤية النفوس وهو تشويقها من الخير في الدين عملاً، ومن استحقاق حظ من السلامة أو الرياسة عقداً ونية ولو بمقدار ذرة.

وكتب رحمه الله إلى
جملة الإخوان[1] بقرطبة

(7)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد خاتم النبيين و إمام المتقين وقائد الغر المحجلين إلى أعلى عليين أبد الآبدين وعلى آله وعلى أزواجه وذريته أجمعين، وعلى السلف الصالح وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

[ط 74] سلام عليكم جماعة الإخوان خاصة وعامة ورحمة الله وبركاته.

قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كونوا عباد الله إخواناً)[3]. وفي مشهور الحكمة أنه لا أخوة إلا بمحبة، ولا محبة إلا بالدعاء والرغبة إلى الله تعالى في إصلاح جملة المحبوب وبدايته ونهاينه، وظاهره وباطنه، ولا بد من النصيحة تعريضاً أو تصريحاً. لا أوجب من العلم، ولا علم إلا ما يقع غداً، ولا نافع غداً من العلم إلا ما غرس في القلب ترغيباً وترهيباً، وسلاه إقبالاً على الباقية، وإعراضاً عن الفانية، ومن اكتفى بنفسه في حقيقة حق، فإلى نفسه دعى، وفي تزكيتها بها سعى، وحول الحمى لا محالة رعى، ومن اتهم رأيه في كل شيء فتح له الطريق، ولم ينافره التوفيق.

وأنت يا أخي يا أبا عبد الله[4]: غاية ما وصل القوم إليه أن مسكوا بها نالوه منه إليه في كل حال، وذلك في حال حصول الصبر بالحقيقة أو حزنوا في كل حال على ما فاتهم

(1) مرسلة إلى أبي عبد الله محمد بن يوسف.
(2) سورة الحجرات، آية 10.
(3) أخرجه البخاري جـ 10 ص 481 باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ص 484 باب ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾، وأخرجه مسلم في صحيحه جـ 4 ص 1985، 1986 البر والصلة باب تحريم الظن والتجسس، وباب تحريم ظلم المسلم.
(4) أبو عبد الله محمد بن يوسف.

منهم على موجب العلم، وذلك في حالة منازلة التصبر. فكن مع الله بالرضى بما رضي لك من الأحكام، يكن معك بالعون والفرج. وإياك والمعارضة والمناقضة فليس وراءها جفاء، وإياك ودوام الخلوة [و 75] أن تجعله من همك أو غمك، حتى يشهد لك العلم النافع شهادة قاطعة أنك غير مفتقر إلى أحد من الخلق في علم أو رزق، واعلم أن الجهاد قبل الظفر، فلا تلتفتن إلى أحوال من ظفر قبل التفاتك إلى أحوال من جاهد، ومن الناس من خرج من بيته فمات في طريق جهاده، قبل العمل في الجهاد فوقع أجره على الله عز وجل.

فاعرف من أنت؟ وأين أنت؟ ثم على ذلك فاعمل، وارغب إلى من أنت في قبضته والخلق كلهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، قل في كل شيء كذا أراد، ولا تكن إرادة إلا من حيث أمرك أن تريد، ولا تؤخر توبة فإن ذلك هو الحياة.

والسلام.

وكتب أيضاً رحمه الله
[إلى جملة الإخوان بقرطبة][1]

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

اللهم! صن إخواني في أديانهم ودنياهم من الآفات.

لا ينكر بالسوط وما في معناه إلا حاكم، ولا ينكر بالتنبيه والإشارة إلا رفيق أو صديق، والستر على المسلم أولى من الإنكار الظاهر عليه، إلا من كان الإنكار عليه فرضاً من عالم أو حاكم. التحري بالعلوم في [ط 75] جبلة البشرية وإذا عقل عنه الانسان ظن أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليس من حقيقته فيها فعل إلا التحري وهو [. . .][2]والمكانة بعزة العلم المنكر بجملته عدو كل مذهب وملة إلا ما هو له خاصة.

المكذب بأهل بيته محروم حتى خاصة القلب أن يشاهد كرامة إيمان أو حقيقة معجزة إلا في ظل السيف من وراء حجاب الكيف.

الأستاذ في علم الحقيقة إذا غاب عالم، وإذا حضر حالم. الفهم واجب بلسان الشرع على المتوجه بقدم الصدق إلى وجهة الحقيقة، ومثاله ما قال بعضهم الشكر بالإقرار للمنعم بالنعمة، وإيثار المنعم عليها، واستعمالها بطاعة المنعم، كان هذا الكلام في الأصل فيها في مزيد الإيمان، فلما حصل في مادة النطق صورة ظهر علماً في معرض برهان. فتعلموا هذا النوع من الفهم بغاية الجد، فإن وراءه من فقه القلوب ما يوجب له الحياء من مراقبة الذنوب.

القياس مفسدة لكل علم، وكل علم فسد فإنه ظلمة حائلة بين البصيرة وبين رؤية المعلوم. كل دلالة لم يتصل بها نور اليقين فإنها دلالة، فإنما دلالة قياس أبت الحقيقة أن تجتمع في محل واحد في وقت واحد [و 76] توقير المعمول لهو برور بالعمل فإن التوقير

---

(1) اضافة لأن الرسالة السابقة كانت موجهة إلى أبي عبد الله بن يوسف.

(2) كلمة مطموسة.

يكسر حدة الوقر فهو يضمه ويجمعه والمسرة تبسط السرور وتنشره.

إذا حملك اختيارك فأنت مغبون. وإذا حملك اضطرارك فأنت مجنون، فكن كما قال مولاك ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] الآية، تربح آخرتك ودنياك جميعاً. من ييأس يأس إنكار وتكذيب حرمه. ومن يئس يأس توقير لربه وتحقير لنفسه رزق، ومن سلك برجاء صادق إلى ممكن من الدين أو الدنيا أدرك ما إليه سلك.

لا يصح التعلم لعلم من العمل إلا بانفتاح سمع، ولا ينفتح سمع إلا بمفتاح من صحبة السامعين بالحقيقة أو بخصوصية من الله سبحانه، ومن توهم أن سمعه قد انفتح بنفسه فهو مغتر، وعلامة الانفتاح الإصغاء والإقبال بالكلية عند الكتاب والسنة والسير الواضحة من سير العلماء والصالحين، ومن فاته ذلك فبكى عليه وحن إليه فله بحظه منه والزاهد في ذلك صاحب دعوى.

وأول كل حال، وكل مقام، وكل مرتبة، وكل شيء من الحقيقة إنما هي في معالجة السمع، وكل من لم يسمع بحقيقة سمع فليس له حقيقة فهم، ومن ليست له من الفهم حقيقة، فليست له في السالكين طريقة الصدق في اللسان وجملة اللسان والتفقه في المواساة والتفقه فيها.

كان المتحققون في الخير يعرفون بحقائق العلم في المروءة خاصة، خاصة لا تنسب إلا إليهم، ولا توجد في الوقت إلا لديهم، ليكونوا في كرم الأخلاق أئمة للمتقين وقدوة للمتخلفين، فحقائق أخلاق الذين كانوا يتنافسون أن تكون الزيادة في قلب كل واحد منهم أبين في كل شهر، أو أقل إن أمكن، أو أكثر إن تعذر منها في قلبه، ويطالبون من صافوه في ذلك بأشد من مطالبتهم لأنفسهم من لم يفتقد قلبه وإخوانه في كل وقت حتى يصفو له قلب أو أخ.

الإنكار خلق مذموم جعله الله علامة على أكثف الحجاب وأبعده من ذوي الألباب، فقال في محكم الكتاب ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُنْكِرَةٌ وَهُم مُسْتَكْبِرُونَ﴾[2]. البلادة وقلة الفهم، وقلة العقل، وقلة الصبر، وقلة الفقه أوصاف من

---

(1) سورة الأحزاب، آية 36.

(2) سورة النحل، آية 22.

لا يبـالي بـه الخق مبالاة العنـايـة . فينبغي أن يتعلم في عبـوديتـه الفهم والعقل والصبر والفقه، و إلا فإنه في تفرقة، ورحمة الله [و 77] واسعة .

والسلام على جملة إخوتي ورحمة الله وبركاته .

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا أَمَارَةُ تَسْلِيمِي عَلَيْكُمُ فَسَلِّمُوا

وكتب إليهم رحمه الله

(2)

إلى السادة الأعيان، والإخوة النجبـاء، أبي الحسن بن غـالب، وأبى عبد الله[1] وأبي خالد[2]، وأبي بكر بن مؤمن[3]، و إخوتهم أعزهم الله بتقواه .

من وليهم ومحبهم في الله تعالى أحمد بن محمد .

حال الله بيننا وبين أهـوائنا بلوازم نعمائه، وعرفنا قبل المهات بأكارم أوليـائه، حدثنا أبـو عبد الله محمـد بن أحمد الخولاني[4] بإشبيلية إذنـاً، حدثنا أبو عمـر أحمد بن محمد، حدثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان، حدثنا عبـد الواحد بن أبي الخصيب، حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عمرو بن هشام، حدثنا سليمان بن أبي كرمة عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سأل عني وسَرَّهُ أن ينظر إلي فلينظر إلى أشعث شاحـب مشمر لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبـة، رفع له علم فشمر إليه اليوم المضار وغدا السباق، والغاية الجنة أو النار)[5]. نبه النبي صلى الله

---

(1) أبو عبد الله بن يوسف .

(2) هو أبو خالد يزيد بن عبد الجبـار المرواني القرشي الذي تتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم منهم ابن العريف .
ابن الأبار: التكملة، جـ 2، رقم 2106، ص 742 مجريط 1887 .

(3) هو عتيق بن عيسى بن أحمد بن مـؤمن قرطبي كان مـوسوماً بـالفضل متعاوناً منقبضـاً، مائلاً إلى الصـالحين وأهل التصوف، وأخـذ عن جماعـة وافرة مـن شيوخ العلم في عصره، وكتب بخطـه الكثير من العلم ولد 496 هـ ومات 548 هـ .
ابن عبد الملك: م . س . سفر 5 قسم 1، رقم 242 ص 126، 127 .

(4) الذهبي: سير النبلاء جـ 19 رقم 187 ص 296 .

(5) أخـرجه أبـو نعيم في الحليـة جـ1 ص9، وابن عـدي في الكـامل في الضعفاء جــ3 ص262 في حديث طويل عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) (حديث ضعيف) .

عليه وسلم مـن رأى ولياً فكأنما رآه، ومن سمع خبره فكأنما سمع خبره، وفيـه تنبيه على أن إنكار [ط 77] الكرامـة إنكار للمعجزة، وأن الزهـد في رؤية الولي ومسامـرة أخباره وآثاره كالزهد في أخبار النبي ومشاهدة أخباره ـ ونعوذ بالله من ذلك .

سلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته .

إذا كـانت هذه حـال القوم وصفتهم! فكيف لا ينـزل بسمع أحدنـا نوازل الأوقـار حرصاً على ما يـذكر عنهم من الأخبار، وكيف لا تذوب كبده شوقـاً إلى رؤيتهم أو حزناً على نقصان حظه من محبتهم ـ إنها لمصيبة ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[1].

أرغب إلى أبي الحسن[2]أن تكون حاجتي في رؤية أحد مزهد ما استطاع وليستكثر لي من المسألة والدعـاء، ولكل أجل كتاب . كنت وعدت أبا خـالد بشيء أغلقه فلم يتفق إلا هذا الحديث . وقع بخاطري حرص أبي خـالد وأبي بكر وأبي عبد الله على فائدة الولي من العامة، من لم يزهد في حق إذا سمعه ولا أنكره ولا عارضه بقول ولا عمل . الولي من الخاصة في البـداية هـو الحريص عقداً وقـولاً وعملاً على أخبـار الأولياء وآثـارهم، وفي النهاية هو الذي يفيد ويستفيد، ولا يـزهد في حق ولا ينكره عقله أو لا يعارضه قولاً ولا عملاً، العمل الصالح سمو في الدرجـات والعلم الصحيح سلامة من الآفات [و 78] ولا يعدل الموقف بالسلامة شيئاً .

عبد الواحد يحب إخـوانه فأَعلموه أني في حال عافية وصحـة، وهشام أمه كذلك، ولم يردنـا من أهلـه خبر، سافر أبـو عبد الله بـن سفيان إلى ناحيـة يعرف [بمـوني؟] من الغرب مني وإرادته فيما ذكر السيـاحة ـ فتح الله لنا وله في مرشد ـ فـارقني أبو خالد على أن نكتب له بحديث أو بحكمة فليفعل .

ذكـــر الله جميعكم أجمل ذكـر وغفـــر لي ولكم . والســلام المعــاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(1) سورة الشورى، آية 30 .

(2) ابو الحسن بن غالب .

وكتب أيضاً إليهم رحمه الله ورضي عنه

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته الجامعة بكل البركات النافعة في كل الأوقات على محمد وعلى آله الذين هم خير آل.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتابي راغب في معرفة أحوالكم ومجاريها، وما جدد الله من الصنيع الجميل فيها، وهل كشف الجد لأهل الجد ما وراء البعد من القرب والبعد؟ أو فقد ميراث الرعاية لفقدها وارتكبت النفوس في متالف قصدها، فلا نداؤها ولا دعاؤها إلى البر مسموع، ولا في ندائها واستدعائها إلى الحق منفوع، فيا قرب الأول! ويا بعد الثاني! ويا رحمتي لمن يبني وهو الهادم، ولمن يهدم وهو الباني، وما [ط 78] محبة المشفق من كاد يتعرف ويخاف عليه أن يختطف.

يروي بعض العارفين أن الحكايات جند من جند الله يثبت الله بها قلوب العارفين، ثم تلا هذه الآية ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[1]. ويقال من أهمل الغاية أضاع العناية، ومن استمد من غير مشكاته فقد الهداية.

والأنوار خمسة:

- نور البصر ويمده نور الشمس، فهو يحيى بمتابعته، ويموت بمعارضته ومناقضته.
- ونور العقل ويمده نور التجربة.
- ونور القلب ويمده نور الكتاب والسنة وموافقة كافة المطيعين بالحقيقة للكتاب والسنة.
- ونور الفطرة ويمده نور الإيمان.
- ونور الإرادة ويمده نور حقيقة الحق.

وأي نور منها تكلف حاملها [. . .][2] غير ما منه يستمد إما خَمَدَ فتلف تلاف

(1) سورة هود، آية 120.

(2) كلمة غير واضحة.

الأبد أو ضعف ووقع. فالسلامة إن كانت في طول الأمد وفي السلوك الأنكد فلذلك لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن ضده صادق النسب في رحم الإنابة، فإنه مع الحقيقة وحدها لا يقصد إلا قصدها، وليس الأمر والنهي في شيء من حقيقة العلم إلا لحاكم أو عالم أو مشفق، فإذا لم يكن حاكماً بوضع السلطان، ولا مفتي عن إذنه، ولا مشفق لا تخفى شفقته، فالأمر والنهي تكلف وتعسف من [و 79] غافل جاهل، وغاية ما ينتهي إليه حال المريد في شرطه وما ألزمه لنفسه ومن الرفق بالكافة أو أخذه من ذلك بقسطه أن يؤدي شهادة عنده لمظلوم مقهور مغلوب، عند تعينها لربه، وكونها فرضاً عليه.

ومن أوكد الأشياء صيانة الفقراء بالانتساب إليهم، وصيانة كل الخلق عن سوء الظن بهم، كما يروى عن الخوَّاص رحمه الله منذ ثلاثين سنة، لو جاء الموت ما قدمت ولا أخَّرت، قيل له: ففيم عملت؟ قال: في تحبيب الفقراء إلى الخلق، وقال بعضهم ما رأيت عدواً أعدا من صديق كان لي، كان يمدحني عند المعارضين والمناقضين، ولا بد في كل إنسان من شيء فيغريهم بكشف عيوبي، وإثارة غيوبي وأن يفتعلوا من ذلك ما ليس عندي وإذا كان ما عند المريد من ظاهر الصدق أو النهي أعلى عنده وفي حاله من لطف الله بالمظلومين وتوجيه الدعاء الخالص إلى رب العالمين خيف ألا تربح صفقته، وأن تدنو من الجانب الآخر فرقته.

فالله الله يا إخواني وأحبائي لا تكونوا ممن إذا وعظ عنف، وإذا وُعظ أنف، وتزينوا بالرفق، ولا تشينوا أعمالكم بالخوف، وليقبل على خاصته وخلوته من عرف أن للأمور مرجت وأنه وقت مخصوص من الفتنة الباطنة بأتمها وزراً وأثقلها وقراً وهي [ط 79] جهل كل من في الوقت بقدره وشغله بغير طوره، وجربوا نصيحة المتحن قبلكم تجريب العليم الحليم، ولا يغير أحد منكم إلا غيرة الحكيم واجعلوا نصب أعينكم أن البُر هو الذي يؤذي البدن وما وضع الله سبحانه القيام في رقاب من سواكم فلا تتكلفوه، ولئن غلبتم فلا توالوه، فإنه لأعجز ممن عرض نفسه وإخوانه لمكروه أو محذور ويدعي أنه حبيب مسرور.

واستودع الله جميعكم استيداع محب مشفق، والسلام المعاد على جميعكم ورحمة الله وبركاته.

رسالة كتب بها إلى
أبي الحسن سيد المالقي[1] حين سجن

الله وليك أبا الحسن سيد وولي إخوانك من المسلمين كافة.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أزواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته في وقت ضاق عن تفسير ما تظنه النفس من تأنيس لك، وتنفيس لك بك، فإن عجزي عن نفسي عرفني أني عن غيرتي أعجز إلا ظنوناً تجوز ولكن لا تجوز، ولو عرفت حقيقة حالي ما أنست إلى معرفتي بحالك، فإن المشاهد بحاله تكفيه أحزانه برعاية ما لا نجاة لي إلا برعايته لكان رسمي ورسم إخواني [و 80] في حمايته وكفايته. ولكن سال سيل الفتنة ونحن طريقه، وغشي ليل المحنة وفينا فريقه، وانخسفت الأرض، وفيها المسيء والبريء فعمهم الله بالعدل في جاء، ويخص خاصتهم الفضل في يجيء حين يبعثون على نياتهم ويحاسبون بخصائص حالاتهم وإلى الله سبحانه الضراعة ولرسوله صلوات الله وسلامه عليه الشفاعة أن يكشف الأسواء كشفاً يميت الأهواء بكرمه وجوده، وإني فكرت في السجن والمسجونين فإذا هم طبقات وأمم مفترقات، فمن قائل ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ، قَالَ كَمْ

(1) هو عبد الله بن إبراهيم طريفي مالقي الأصل، أبو محمد المالقي، روى عن كثير ورحل. نجح وروى عنه وكان شيخاً صالحاً متخلقاً معيناً على المصالح، صاحب كرامات، إمام الصوفية ببلده.

ابن عبد الملك: الذيل سفر 4 رقم 325 ص 178.

ابن الزبير: صلة الصلة رقم 185 ص 92.

لَبِثْتَ﴾[1] الآيـة. وإنما سأل سؤالاً فـوقف مـائة عـام، أدباً ونكـالاً ثم لما بُعث بـدىء بالتوبيخ المبين، وعرف من أين مدرك العلم واليقين، وتلك علامة الحق سبحانه. وقال آخرون ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا﴾[2]، فقيل بـ ﴿إنها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُـونَ فِي الأَرْضِ﴾[3]، ولقد كـان جفاؤهـم أظهر، فكـان أمد عقـابهم أقصر. وقال الصديق صلوات الله على نبينا وعليه ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[4] وإنما قصد مباحاً فسجن في سجنـه وكان قبل ذلك سراحاً. وأما يونس عليه السلام [ط 80] فـ﴿أَبَقَ إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾[5]، فسجنته القدرة في أعجب السجون فاتصل حـزنه لله تعالى في الرجـاء بحزنه له في البـلاء فاستنقذاه من ألم البحر وأذاه ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوم يُبْعَثُون﴾[6]، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَـانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[7] فكان في ندائه نجاته من الغم والأنين ونجاة كافة المؤمنين.

وفي بعض سير الملوك السـالفة كـانوا إذا سجنوا عـاقلاً قـرنوا به جـاهلاً وقـالوا إنما السجن سجن الأرواح لا سجن الأشبـاح، فـلا أدري مـن أي الفـرق أنت فأهنيك أو أعزيك! وظني أنـه لو سجن خواطرك الوزن والحزن لتبرأ منـك السجن والسجان، وقد يؤخـذ الجار بجاره إذا عرف ولم ينكـر كما ينبغي شؤم جواره ــ عصمك الله من الخفيات التي في طيها أو في غيهـا مناكـرة حق أو محق ومساعدة بـاطل أو مبطل، وإياي وكـافة إخواننا المسلمين برحمته ورأفته سنن الله في بلاده تنتهي إلى العمارات والخراب، وفي عبادة تدور على الثواب والعقاب فـلا تبطل سنة لله حق بسنة حق، فتعمل في السراب، وإذا مضت سنة الله عنه في شيء لم تجد لها تبديلاً ولا تحويـلاً، ومن عرف أن العاقبة [و 81] سر من أسرار الحق، لم يتحكم فيها عملاً ولا قيلاً، ومن انكشف له الصواب رآه أحسن تفسيراً وتأويلاً.

---

(1) سورة البقرة، آية 259.
(2) سورة المائدة، آية 24.
(3) سورة المائدة، آية 26.
(4) سورة يوسف، آية 42.
(5) سورة الصافات، آية 140.
(6) سورة الصافات، آية 143، 144.
(7) سورةالأنبياء، آية 87.

متحمله فـلان ـ وفقه الله ـ متفـرق فإذا نطق فدعه، و إذا سكت فـاسمعه وعليك بحسن التأويل، وتكلف مـا يوافـق السنة من الظن الجميل. يسر الله إن كـان سجنك سراحك، وتكفل لك ولإخوانك تكفل العناية بكم صلاحك بطوله.

والسلام المعاد على جميعكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب رحمه الله إلى
محمد بن الكبش[1]

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين وسلم تسليماً.

سلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته.

بلغني يا أخي أن الله سبحانه كشف لك عن عالم تهتدي بأنواره، وتقتدي بآثاره فتحاً ـ يفتح الله لك بذلك من غير طلب ولا عن تعب ونصب إلا رحمة من الرحمن الرحيم، تولاك بها عناية بمن أراد، وإنفاذاً من مشيئته لما أراد، فهنيئاً لك رؤية العلماء بالله ولقاؤهم، أوزع الله شكر ما أنعم به عليك وعرفك الزيادة في كل دَالٍ منه بعزته.

وأنت يا أخي! فلو كشف لك عن سري وعاينت ضراعتي في لقاء عالم بالله يعلمني مما علمه الله ليكشف [ط 81] لي! فسألتك بوجه الله العظيم وبحقه الكريم ألا ما ذكرتني عند عالمك!، فإن انتهرك بسقوطي من عيون العلماء، فلا يمنعك ذلك من المعاودة عليه في شأني، والإلحاح في أمري فإن الصديقين قلوبهم رقيقة، وأطماعهم بوصول رحمة الله إلى المقصرين متعلقة وإن أغلظوا في القول، ولا تدع الرغبة في حالي حتى يصل إلي من العلماء بالله من يعلمني. عزيمة عزمتها عليك بوجه الله العظيم، وبأخوة الإسلام والمرغوب الله على الحقيقة، هو الحق لا إله إلا هو.

والسلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته.

(1) لم أهتد إلى ترجمته.

ومن رسائله إليه رحمه الله

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين.

سلام عليك يا أخا الصديقين ورحمة الله وبركاته.

سألتك بالله الكريم، وبحقه العظيم، ألا ما ظهرت لي فعلمتني أو دللت عليّ عالماً يعلمني! ضعف جسدي عن السفر عن بلدي في طلب عالم، ولم يكن لقلبي من اليقين ما يحمله، وبلغني عن بعض الراغبين في لقاء علماء الآخرة أن الله فتح لهم في جماعة منهم وصلوا إليهم [و 82] وعلموه فأنست لذلك نفسي وتعلقت بمثله طمعي، ومع ذلك فإني أحل عقدة الزنار بين يدي الملك الجبار، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فإن قبلني فهو أهل ذلك، وإن ردني فأنا أهل ذلك، وليس الحق بمتهم في براياه، ولا في قضاياه، ولا بمغلوب على عطاياه وهداياه.

يا أخا الصديقين! ما أجدرك بالرقة على ملهوف أدرج من حيث لا يشعر في هواه، وكشف له بالعلامات الصادقة أنه قد فاته في الحال مولاه. ما أجدركم بالرقة فلها خلقتم، ومن أجلها بقيتم وعبرتم سمواتك، بالله الكريم ووجهه العظيم حقه، ألا ما ظهرت لي فعلمتني أو دللت علي عالماً يعلمني، أو سألت الله لي في عالم يعلمني!

اللهم! إن الرغبة إلى أوليائك من الرغبة إليك، والتعويل عليهم من التعويل عليك، وأنت الحق من غير الحقيقة، والخلق خلقك، فافتح يا خير الفاتحين.

والسلام عليك يا أخا الصديقين ورحمة الله وبركاته.

وكتب في هذا المعنى رحمه الله

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله أكمل الصلوات وأزكاها [ط 82] وأطيبها وأسناها، حقيقة وذكراً، وأرفعها في البداية والنهاية قدراً على النبي الأمي الجليل الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات أمهاتنا، أمهات المؤمنين، وعلى ذريته الأكرمين الأبرين وعلى أصحابه المنتخبين وعلى التابعين لهم

بإحسان ممن كـان أو يكون، وسلم الله قبل كل شيء ومعه وبعده على المرسلين عـامة، وعلى محمد الحبيب خـاصة، وعلى الملائكـة المقربين، والجملة الكـروبين شمولاً، وعلى الأمين المكين وخـاصة الثـلاثة من عليين خصـوصاً، وعلى نخبـة فوائد المطيعين وحملـة الأرضين بعنايـة رب العالمين، وهم فيها محمـولين محملين محتملين ضنانة بهم وصيـانة، والجنة من الجنة ونعم أجر العاملين.

ورد كتاب العـالم الصادق أبي فـلان قدس الله روحـه بوصـاياه الصـادقة وهـداياه الفـائقة، فيـا له من أخ في الله عم بأصنـاف تلاوين العلـوم، فهو طـاووس علمائهم، وخص بأنواع غـوامض محاسن الفهوم، فهو نـاموس فهمائهم صلوات الله وسـلامه على كل من أباح لنا الكتـاب والسنة أن يتقرب إليه. فصلوات الله عليـه وسلامه سبقت [و 83] وصية الله بالتقوى كل تـذكير بوصية فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَـا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾[1].

ثم وردت حاجة أخي أن يكون شعـاري ودثاري لا إلّه إلا الله محمد رسول الله فإنها كلمة شرف العـابدين إلى آخـر الباقيـات الصالحات. وأعجب ما عنـدي من العجب وأجدره بحال الرغب والرهب عبداً وجد قلباً واتخذ مع الله رباً غير الله.

يا عـالمي وكبيري! إن الذي دعـوته بلسان الـرفق والشفقة أخـاك حجب على قلبه بكل حجاب، وطرد عن ربه ـ ولا حـول ولا قوة إلا بالله ولا حجة إلا لله ـ وراء كل باب يستغيث ولا يغاث، ويأتيه من رحمة ربه ما يوجبه الكرم، وإن لم يوجبه الإنبعاث، وهل سمعت أجراً من مختـار بهواه غير ما اختار له مولاه، إن قلت لا واسطـة قيل لي أَعَبْد الله حقرت ما عظم الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾[2]، وإن قلت لا بد من واسطة! قيل لي ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَباً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

عاش بالغفلة قوم، ومات بها قوم، وناس حملوا التذكرة فطاحوا أو كادوا، وآخرون حملتهم التذكرة فاستراحوا [ط 83] أو ازدادوا، ولكل في سر الغيب محلـه من الغيب، فأغشـاهم من جميل ستر الله أكثف نـور وألطفـه، فهم بأنفسهم من حيث لا يشعـرون

---

(1) سورة النساء، آية 131.
(2) سورة البقرة، آية 140.
(3) سورة الأنعام، آية 164.

وعليها الـوشي وأعطفه ، فما بأيـد العارفين إلا الـريح ، ولا بأيـدي المتعرفين إلا الصراخ والبريح . فأين المسلك ولا طريق؟ وممن المعونة ولا رفيق؟ .

أخوك يا عالمي وكبيري له دالة دواء ، وبكل شيء له تداو لكن :

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوِصَالِ أَهْلاً فَكُـلُ إِحْسَانِـه ذُنُـوبُ

وقـد أفـادني كتابـك الكريم علماً جماً ، وأنسـاً لَمَّا ، ولـوددت أن تلك المسـائل التي سألتني عن الحكمة فيها سمعتها منك ، أو كتب إليهـا بها عنك ، فإن الذنوب للأفهام والأقدام جميعـاً قيود ، والحيرة سلطان من لـه غير الحق معبود ، وعين التوحيـد لا إلّه إلا الله ، وفي بحر التـوحيد ذهب العارف وأشكلت المعارف ، ففي الـذهب إشارة إلى ذلك المذهب في مراسم الحكمة البـالغة ، وفي الرسالة تفـرقة الأعمال والعمال وانفضاض جموع المقامات والأحوال ، فلذلك كان محمد رسـول الله في لِبَن الفضة بالذهب الذي هو مادة التوحيد . والتوحيد مادة شرف الـرسالة والنور الذي كتب في الذهب [و 84] ظاهره من نور الإخلاص ، وباطنه من نور الاختصاص ﴿اللهُ نُورُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ﴾(1) .

وأمـا الجواهـر فمـدامع صـدق البكّـائين من الصـالحين هي التي ألبست أعمالهم الإجهار، وأطلعت بهم النهار، وإنما ظهرت بين بر العمل وبحر العلم ، فلما كان بساط قراره دار السلام ، مكوناً من خالص بـره مساجد أهل الاسلام لم يصلح لها من الحصباء غير تلك التي هي حقيقة الحصباء بالكمال والتمام ، والعلم كله ، وسائر الكل لصاحب الكل ﴿وَلَوْ أَنَّما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَـرَةٍ أَقْلَامٌ﴾(2)، الآية . ولولا أن يعقـوب رأى موضع الرجوع لما قال ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِينِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾(3)، ولموضع البلوى ظهر الحزن بما فات على السرور بما هـو آت ، ولولا الله مـا اهتـدى أحد ، الله بكل شيء عليم ﴿وَلا يُحِيطُـونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِمَا شَاءَ﴾(4) .

والسلام عليك خاصة وعلى صاحبك ثم على الطائعين من أهل السموات والأرض عامة ، وحاجتي شفاعة إلى الله في نفسي أن يكون ذكراً نفعنا الله .

(1) سورة النور، آية 35 .
(2) سورة لقمان ، آية 27 .
(3) سورة يوسف ، آية 83 .
(4) سورة البقرة ، آية 255 .

روي عن سهل بن عبد الله[1] رحمه الله قال: من أُرِيَ حقوق الخلق إليهم مشى [ط 84] على الماء قطعاً وفي كل الأوقات، وخشيتي متزايدة في انتظار وقت يصح لي فيه فراغ ومذاكرة إخـوان لا يذكرون إلا الله، ولا يذاكـرون إلا بنعم الله ـ لا أسلبك المولى نعماه، ولا أفقدك أولياءه، ولا إياي وإخواننا عامة.

والسلام.

(1) سبقت الترجمة له في الرسالة [رقم 4] الموجهة من ابن العريف إلى أبي عبد الله بن يوسف.

وكتب إلى الفقيه الكاتب
أبي محمد بن الحاج اللورقي[1] رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله على نعمة الإسلام حمداً على الكمال والتمام كما ينبغي لوجه ذي الجلال والإكرام، ثم الصلاة على سيد الأنام وآله الكرام، صلاة فوق الأفهام والأوهام.

ورد كتابك السار البار ـ نفعك الله به وجعله نوراً بين يديك تجده يوم لا يكون إلا صالح العمل حبيباً لك، وإني أحمد الله إلى من سمع حمد من فرق بعد ما جمع، وأبعد بعد ما أسعد، وما عسى أن يصنع العبد قيد في رأيه فاستأثر سيده بقوى أربه، وإن أخاك لأقل حقيقة من أن يستنذر، أو يجني فيعتذر، أو يرضى فيعذر. فإن كنت ممن ترضيه المحامد جاءت [و 85] فرافق العدم، ومحل الندم.

فيا فرصتي لسموك ونموك، وبما لله من النكايات لك في عدوك ومع ذلك يا أخي فإن التقوى عند الغافل كلام، وعند العاقل ذمام. ومن لم تشهد له الحقيقة خاب، ومن

(1) هو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري، أبو محمد بن الحاج ذو الوزارتين من أهل لورقة وسكن مرسية، برع في الأدب وكانت بضاعته وصناعته، واستدعي في سنة 528 هـ للكتابة بحضرة مراكش فنهض إليها وانتهض بها حمل ثم استعفي فأعفي وانصرف الى مرسية هاجرا خدمة الأمراء ومواصلاً صحبة الفقراء زاهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة وجعل يؤذن في مسجده. ولما اختلت دولة المرابطين بقرطبة ولاه أهل مرسية أمرهم فدعا لابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة أياماً من شهري رمضان وشوال من 539 هـ التي كثر بها الثوار.

ابن الأبار: المعجم، رقم 214 ص 233 وانظر عن ثورة المريدين كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين.

نالها غـاب، ومن انصرف صرف، ومن تعـرف عرف، ومن لم يميز شـأنه وزمانـه ملك البـاطل عنـانه ومن لم يكن الكلـب خيراً منه عنـد نفسـه، فهـو خير منه في الحقيقـة، واستعن بالله فإنه لا يبقى أحد سواه.

والسلام المعاد عليك وعلى قرة عيني بنيك و إخوانك ورحمة الله و بركاته.

وكتب إليه أيضاً و إلى إخوانه رضي الله عنهم وعنه وعنا برحمته

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم وشرف وكرم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من عند الله مباركة طيبة.

لَـــوْ طَـــالَ رِيشُ جَنَـــاحِي وَحَـــــانَ وَقْـــتُ سَرَاحِـي
لَكَـــــانَ لِي فِي التَّـــــلاَقِـي بِكُـــمْ أَبَـــــرُّ اقْتِرَاحِـي

بلغني أعزكم الله بطاعته ما أنتم عليه من ارتياد بركات الخلوة والاعتداد للسلوة عن [ط 85] دار الجفـوة. فأمدكم الله بمعـونته، وأيـدكم بمـواهبه، وفتح لكم قلـوبكم، فأراكم مـا لـديـه، وعـرفكم فـرقان مـا هـو منكم ومـا هـو منـه، وكشف الغطـاء عن أسماعكم، حتى تسمعـوا بها كتابـه الناطق ورسولـه الصادق، وغسلكم بـالبرد والثلج والماء البارد من النفوس التي هي أعصى شيء لمن سعى في فكاكها، وأطوعه لمن أسرع في هـلاكهـا و إن الله تعالى ذكـر الإنسـان بـالخسر واستثنى للـربح قـوماً ﴿آمنـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ وَتَـوَاصَوْا بِـالحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بالصَّبْرِ﴾[1]، جعلنـا الله و إيـاكـم منهم، وثبتنـا و إياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا في القبول عنهم.

أمـا بعد، فإن العـامل في غير نظام عـابد وَهْـم، شاعـر بحالـه و إن يكن شاعـراً بمقاله، ﴿والشُّعَـراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُون * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُـولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾[2]. وأمـا العامـل في نظام الحيلـة فقـدر في النحلـة يهودي الملة، شيطـان

(1) سورة العصر، آية 3.
(2) سورة الشعراء، آية 224، 225، 226.

الجبلة، والشيطان عدو لله وملائكته وكتبه ورسله يفرق أحكامها، ويفارق أعلامها، واليهود مغضوب عليهم مضروب بالذلة والمسكنة ما صار من الأشياء إليهم.

والقدري [و 86] مردود إلى قدرته بدعواه ومحجوج بفريته على مولاه والنعت الأول نعت الشهود، والنعت الثاني نعت [الغضوب؟] ومن اللبيب محاذرة الطريقين، ومجانبة الفريقين، ومن أثر شيئاً مما يبقى على كل شيء مما بقي، فهنالك سلك، نجا أو هلك، ولله من خلقه عبيد اختصهم برحمته واصطفاهم لخدمته، عبدوه على نظام الحلم والعلم وهو نظام الإيمان فطوبى لهم وحبذا العيش معهم ألباء، أطباء، أحباء لا تلقى منهم أحداً إلا ذكرك بالله علمه وعمله، وبعثك على الرعاية حاله وأمله.

والناس ثلاثة: فمنهم الذي ينبه كيف إذا توجه صدق بتوجه صفة المريد الموصول الايمان بفضيلة المزيد.

ومنهم المحمول من المحبوب، وقد قصد لما سواه وهم بها عداه صفة المراد ومن سبقت له سابقة الوفاق والإسعاد.

ومنهم الممتحن سر الله في خليقته، والمستور بحاله عن حقيقته، ذاق من طعم التوبة ما عرف به مساوىء الدنيا، ومرق عنها عقداً، ولم يكن معه من الصبر واليقين ما يبلغ به سلوكاً وقصداً، فهو عند الجاهل ممقوت والعاقل في شأنه بهوت، قل معينه وطار بلبه ظنه [ط 86] في نفسه وتخمينه.

فكن بهؤلاء الثلاثة صباً، فإن الرحمة لا محالة تصب عليهم صباً، وإنما ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾(1) إذا اتصلت علانيتك بعلانيتهم، ونجواك بنجواهم، فلا يكن همك شيء سواهم، فإن ينابيع الحكمة تجري من قلوبهم على ألسنتهم وأنه لا راي لمستبد ولا رعاية، ولا أمن لمستعد حتى يبلغ الغاية.

ولو أن المسلم يسلم بنفسه أو يقوى ما أمر بالمعاونة في البر والتقوى، ومن أيقن بالآيات وصبر فيما بين المبادىء والغايات، رفعت له الأعلام وارتفع في مراتب الإسلام قال الله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(2).

---

(1) سورة البقرة، آية 273.

(2) سورة السجدة، آية 24.

قلت لأحدهم : أين أنت؟

قال : في التفصيل .

قلت : فإلى أين انتُهي بك .

قال : فنـاء الأشياء وبقـاء من به الأشيـاء . قال الله تعـالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَـا فانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرَامِ﴾[1] .

وقلت لآخر: أين أنت؟

قال : في أول أحوال الموت ، يعني موت النفس .

قلت : وما علمك بذلك؟

قال : فنيت عن الأشياء من جهة الأخذ والعطـاء فإنه لا يأخذ إلا قادر، ولا يعطي إلا مالك ، والعبد عاجز فقير. قال الله تعـالى ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُم الفُقَراءُ إِلى اللهِ واللهُ هو الغَني الحَمِيد﴾[2] .

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(1) سورة الرحمن ، آية 26، 27 .
(2) سورة فاطر، آية 15 .

[و 87] وكتب رحمه الله إلى
أبي علي منصور المبتلي[1] بقرطبة جبرها الله

الله ولي أخي في الله تعالى أبي علي منصور وحافظه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يا أخي عفا الله عنا وعافاك، وغفر لنا ورحمنا أحياء وأموات رحمة ترفع غضبه ومكره، وتوجب رضاه وبره، وتكون لنا عصمة في حالتي الغفلة واليقظة، وصلة منه لدينا، تستر من ورائنا من الحفظة، وعمم إخواننا المسلمين بجميل اللطف وجزيل العطف برأفته ومنته.

ورد كتابك، وعرفت محبتك، وحققت مودتك، بما نقل إلي موصل كتابك من حسن بلاء الله لديك، وصفاء حنانه عليك. وسأحدثك حديثاً أرجو بركة وصوله إليك: كان بالغرب عمره الله بالإسلام رجل يدعى أبا الخيار[2] رحمه الله ونفعنا بذكره أصله صقلية وموطنه بغداد، وجاوز سنه التسعين وهو في الرق، لم يعتقه مولاه وذلك عن قصد منه واختيار، وعمم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة [ط 87] قال لي الذي حدثني رأيته يصلي على الماء. قال: ثم لقيت بعده محمد الأَستجي[3] فإذا هو أبرص، فقلت له يا سيدي كأن الله سبحانه لم يجد للبلاء محلاً من

---

(1) لم أهتد إلى ترجمته.

(2) لم أهتد إلى ترجمته.

(3) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الحميدي قرطبي استجي الأصل أبو محمد، سكن مالقة وكان مقرئاً مجوداً فاضلاً صالحاً عفيفاً ديناً محدثاً واسع الرواية، ولي الخطابة والصلاة بجامع مالقة إلى أن توفي 577.

ابن عبد الملك: م. س، سفر 6، ص 100 ص 51، 52.

أعدائه حتى أنزله بكم، وأنتم خاصة أوليائه، فقال: اسكت لا تقل كذلك إنه لما أشرفنا على خـزائن العطاء لم نجـد عنـد الله شيئـاً أشرف ولا أقـرب إليه مـن البلاء، فسألنـاه إياه، كيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد، و إمام الأولياء والأوتاد في غار بأرض طرسوس وجباله لحمه يتناثر وجسده يسيل قيحاً وصديداً، وقد أحاط به الذباب والدود والنمل؟ فإذا كـان الليل لم يقنع بـذكـر الله وشكره على مـا أعطـاه من الـرحمة، وأسكن جسده من العـافية، حتى يشد نفسه بـالحديد ويستقبل القبلة عـامة الليل حتى يطلع الفجر؟ فأولئك بكرم الله وجوده يا منصـور إخوانك في دار الصدق، ونحن خدمتكم، إن فزنا بشيء من رضى الحق.

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسالة كتب بها إلى
الأستاذ أبي خالد بن عبد الجبار القرشي[1] رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أزواجه وذريته [و 88] وصحابته.

سلام عليكم يا أخي وسيدي ورحمة الله وبركاته. وأسأل الله الذي لا إلّه إلا هو أن يشرح بأنوار الهداية صدرك، ويرفع في أعلام الديانة قدرك، وأن يجعلك من أئمة المتقين، ويكتبك في أول زمرة الفائزين السابقين إنه الواسع الرحمة للعالمين.

ورد كتابك بعافيتك وسلامتك، نفعك الله بهما وأوزعك شكرهما. وقبل وروده بأيام ضاق صدري حتى هممت بالخروج إليكم، فأكون عندكم في مدة الصيف ثم أنصرف إن كانت حياة، وسبب ضيق صدري، ترادف همي بحالي وأنها لا تزال في نقصان، وتوهمت أن ذلك بسبب قعودي للصبيان، وكثرة رؤيتي لمن عرفني قديماً وعرفته، ثم تحققت إشفاق والدتي ـ رحم الله ضعفها ومثواها ـ لسفري، فأمسكت. وحتى الآن لا أدري ما يتفق لي من ذلك فيما بقي من هذا الصيف، فإن النية لم تفتر كل الفتور، وجعل الله لنا الخيرة في كل ما قصدناه من عمل عملناه، أو ترك تركناه بمنه.

أَبَتْ وَحْشَتي اتْصَالاً وَشِدة ... لِبَيْنِكم والبَيْنُ يَكْدَح في الصَّدْرِ
وَكَادَ فُؤَادِي أَنْ يَطِيرَ بِجُمْلَةٍ ... إِلَيْكُمْ وَلَكِن لا خِيَار مَع القَسْرِ
سُقِيتُم بِماء الصّدْقِ مِنْ مَشْرَبِ الْعُلا ... وَمُتِّعْتُمْ بالأُنْسِ في كَنَفِ البرِّ
[ط 88] لَعَلّ امرء فاتته راحة قَلْبِه ... إِذَا نَالَها أَحْبَابه سر بالأمر

---

(1) سبقت الترجمة له في الرسالة الثانية لابن العريف الموجهة إلى جماعة قرطبة، وقد روى عنه ابن العريف.
ابن بشكوال: الصلة، رقم 176 ص 83.
ابن الأبار: المعجم رقم 14 ص 18.

وإنما أسأل الله أن يحوطك بكـل الجهـات في المحيـا والممات، وأن يعلي شأنك في الصالحين، والحمـد لله رب العالمين، وصلـوات الله وسلامـه على محمد خـاتم النبيين، والسلام عليك أخي وسيدي، وعلى كل من يجالسك أو يحبك ورحمة الله وبركاته.

وسرني كل ما ضمنتـه كتابك، نفع الله الجميع بعـونه وقـدرته. عـرفت إن شاء الله فالزم، ولكن لا بـد من رؤية عالم وصحبته، دل عليه الكتاب والسنـة والقدرة، وأوجبه البرهان والحكمـة. وإنما ترك رسـول الله صلى الله عليه وسلم كتـاب الله وسنة رسـوله في الصـدور لا في الصحف، حتى كـان العلماء يسمون صـاحب علم الصحف صحفيـاً يعيبونه به.

نفعك الله بـالجد، وكتبك في أهلـه، وجعل القلـوب التي عمهـا رضـوانـه تحرص عليك وتشتاق إليك بمنه.

وكتب إلى الفقيه
أبي بكر عياش[1] رحمه الله ورضي عنه

الله ولي أبي بكر وحافظه :

من وليك في الله تعالى أحمد من محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم [و 89] وعلى آله وسلم . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقفت على كتابك ـ نور الله قلبك ـ وكشف بسلطان الفهم عنه كربك وإن الله سبحانه لا يسأل عما يفعل ، جعل العبد في هذه الدار في موضع الاضطرار ، في محل الاختيار ، وبلاه بالخير والشر فتنة ، ولقيام حجة الاختيار ، وقد انتهى إليك من ذكري ما جمله ستر الله عز وجل ورداء عافيته ، ولو كشف وعرف لمحق وأتلف ، فلله الحمد على نعمه المسبلة وعوافيه المكملة ، وعليه التكلان في إجابة الضعفاء المضطرين ، ورحمة الله للفقراء المغترين ، فإنه ولي من لا ولي له ، بعزيز سلطانه ، وواسع إحسانه لا رب غيره ولا خير إلا خيره .

ويا أخي ـ بأخوة قديم الاسلام وجديد الزمام ـ كان عندنا رجل من الجند جديد العزة ، شديد الغيرة ، إذا أخذ أهله بآداب الإسلام ، أطال الشوط ووضع السيف

(1) هو عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي سكن قرطبة وأصله من يابرة يكنى أبا بكر كان معتنياً بالقرآن الكريم وتجويد حروفه حسن الصوت به ، متقناً أداءه ، ضابطاً له ، أكتبه بقرطبة زماناً طويلاً وأقرأه أيضاً بجامعها الأعظم ، فتخرج على يده جمهور نبهائها ، وكان يؤم بمسجد أم هشام ويدرس به النحو واللغة ، ويجلس يوماً في كل جمعة يعظ فيه الناس ، وكان صالحاً زاهداً متصاوناً توفي 540 هـ .

ابن الزبير: م . س . رقم 309 ص 157 ، ابن عبد الملك : م . س ، سفر 5 قسم 2 رقم 883 ص 486 .

والسوط، وغفل عن قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا)[1] فأوجب ذلك نفاراً وعن الحق إدباراً، وصير المناكرة قراراً، ولا بد في كل شيء خالف السنة من ذلك، فاتفق له مرض ألزمه الفراش وأحوجه إلى أهله [ط 89] حاجة الضرورة، فظهر له من شفقتها ورفقها ما حركه إلى التوبة فيما ضيع من حقها. وقيل له: أين العزة والغيرة؟ فقال: يلبس لكل حالة لبوسها، فنفعه الله بعقله، وبما ظهر من رفقه، وجعل شغله في نفسه دونها، وكان له عمل صالح من صلاة ودعاء، فزال تنكد المرأة به، وتفرغت للنظر إلى أعماله، فنفعه الله بذلك، فكنه فإنه دواء لا بد منه.

والسلام على ولي ورحمة الله وبركاته.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه جـ 1 ص 1163 العلم، وفي جـ 10 ص 524 الأدب، وأخرجه مسلم في صحيحه جـ 3 ص 1359 في الجهاد.

وكتب إلى الفقيه
أبي محمد عبد الغفور[1] رحمهم الله

الله ولي الصديق أبي محمد عبد الغفور وحافظه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته عن حال عافية في النفس والأهل ــ والحمد لله رب العالمين ــ ومستطلعاً من حالك في ذلك وجميع من لديك من العيال والذرية والأخوة ـ أقر الله عينك بهم برحمته.

يا قرة عيني والله، ومسرة قلبي، وإن كنت لا أعرف أو أعرف، ولا أحسن أن أقوم بواجب ذلك كما ينبغي ـ نفعنا الله بالإسلام، وكتبنا في أهل الكمال من جملته [و 90] والتمام بعزته، يعجبني في خاصتي وفيمن أحبه أن يبكي العبد خالياً حيث لا يطلع عليه إلا الله وحده لما يرى في نفسه من التقصير ويعرف عندها من العيب الكبير، فيشتغل بحاله عمن سواه، ويولي الإنكار على كافة الخلق من تقلده من الحكام وغيره وتولاه، وله ـ إن شاء الله ــ في سعة العلم أن يعمل بذلك ويراه، ويقال أن إنكار الإنسان بحاله دون مقاله لكبار كبار الصديقين، وبحاله ومقاله جميعاً لمن دونه من

(1) هو عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف السكوني من اهل لبلة يكنى أبا محمد، روى عن أبي الحكم ابن برجان وأبي العباس بن العريف ورحل إليهما مراراً ولازمهما، وكان من أهل الكرامات وإجابة الدعاء. وكان ذا يسار ينفق في سبيل الله على أهله وسائر الفقراء والضعفاء وتوفي ببلاد المشرق بعد أداء الفريضة، وكانت رحلته إلى المشرق في حدود 540 عند ابتداء فتنة المريدين والفقهاء بالأندلس إذ خرج فاراً منها.
ابن الزبير: م. س، رقم 52 ص 37، 38 انظر كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين عن ثورة المريدين والفقهاء.

المتقين، وبالمقال الصادق الذي اجتمعت فيه الأركان الأربعة: العلم الكافي، والرفق الوافي، والعدل الصافي والورع الشافي بفقهاء الصالحين، وإن لم يكن فريضة عين علينا، أن نكون هؤلاء فمن الفضيلة لنا أن لا ننكر حتى نشبه بأعمالهم، ونقارب، ولو بعض المقاربة في أحوالهم، والكمال في الجملة مندوب في الشرع إليه، محروس في كرم الهمم عليه.

فأما الإنكار في العلانية على الحكام فإنه من فساد سر المنكر وإعلام ركوبه للحرام أو الكراهية، والمختار عند العلماء باتفاق منهم الإمساك عما في إنكاره إياه منكراً آخر مساوياً أو أشد، وهذا كله يكلمك به أخوك تكليم المذكر لا تكليم [ط 90] المبصر. فليكن من بالك على بركة الله سبحانه.

وإخوانك ما أجمل بهم أن يعرفوا لك حقاً: بالسن والعلم والإسلام السابق، وما أجمل بك إن قصروا أن تودهم بالرفق بهم، والاحسان إليهم تألفاً وتأليفاً، ودفعاً بالتي هي أحسن طلباً للأفضل عند الله سبحانه، وتيسيراً لسلوك الطريق إليه على الضعفاء، وذلك بنص الكتاب كما علمت أفضل من اتفاق ملء الأرض ذهباً في سبيل الله عز وجل.

أغلب ظني أن الذي ورد في كتاب أبي الحسن خليل(1) الإشارة إلى معرفة الفقهاء من غيرهم، وقد كتبت في ذلك ــ نفعك الله، ونفع أبا الحسن خليلاً وأقامكما في العلم بأنفعه مقاماً جليلاً، وجعلكما حجة من حججه في أرضه ودليلاً بكرمه.

والسلام عليكما وعلى من يحبكما ورحمة الله وبركاته.

---

(1) هو خليل بن إسماعيل بن خلف بن عبد الله السكوني أخو صاحب الرسالة ويكنى أبا محمد وأبا الحسن، أخذ القراءات ببلده لبلة عن أبي الحسن بن أيوب السليحي، وبإشبيلية عن أبي العباس بن مسلم الدقاق، وأخذ العربية والآداب عن أبي عبد الله بن أبي العافية ورحل إلى قرطبة فأخذ عن أبي القاسم بن النخاس وسمع من أبي محمد بن عتاب وابن مغيث ـ كان فقيهاً مشاوراً في الأحكام، وولي الصلاة والخطبة ببلده.
ابن الأبار: التكملة، جـ 1 رقم 840 ص 310.

وكتب إلى الفقيه
أبي الحسن عامر بن الحسن[1] رضي الله عنهما

بعد البسملة وما في معناها:

أما سؤالك عما تقرؤه، فإنه ينبغي أن تعرف أن طريق الحق في الديانة لا يسلكها الواحد إلا وهو شيطان، وطريقه طريق باطل، ولم أجد في شيء أن العبد يتوجه [و 91] إلى الطريق وحده، فيسلكها وحده، فيبلغ الغاية وحده، والعلم يخالف هذا أيضاً، ويستبعده. فلا بد من مسموع منه مسؤول عن موضع القدوة في مسائل الظاهر، ومسائل الحقائق جميعاً، والمسموع منه إما عالم! ولست أعرفه فأدلك عليه، وإما صاحب! وهذا يوجد وإن قل، ولك إخوان لا شك عندي في شفقتهم، ورحمتهم، وإرادتهم الخير لأنفسهم وإخوانهم.

فاجعل من اتفق منهم وحضر مرآتك فانظر فيه وجهك، ووجه عملك، فربما فتح الله سبحانه لك من حيث لا تحتسب، واعلم أنه لا أعوان لك من إرادتك على إرادتك، أن تلقى الله سبحانه خاملاً غير مذكور، راغباً في صلاح نفسك وصلاح كافة المسلمين، مقبلاً على خاصتك، واقفاً من العلم عند المشهور والمنصور، معرضاً عن الشذوذ والرأي المبهور، وعليك من العلم بما يوجب عملاً صالحاً، ويصير خلقاً حميداً، ويحقق التقوى في أول أحواله، ونهاياتها. فإذا كتبت وقرأت كتاب يمن بن رزق[2] أو ما في معناه، وعكفت عليه وتفهمت فيه مع إخوانك واستعنت بالله على كل حال رجوت

(1) هو عامر بن محمد الأنصاري من أهل طليطلة ومسكنه قرطبة ويكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم والعمل توفي بقرطبة 540 هـ.
ابن الزبير: م. س، رقم 302 ص 153، ابن الأبار: التكملة رقم 2429 (كوديرا).

(2) كتاب الزهد: ويمن بن رزق يكنى أبا بكر من أهل تطيلة وأصله من قرية قربها وهو من زهاد الأندلس القرن الثالث. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس رقم 1613 ص 198.

لك من عون الله سبحانه ما يبلغك و يوجب لك.

ولا حول ولا قوة [ط 91] إلا بالله العلي العظيم.

وكتب إليه أيضاً

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

اللهم! نعصيك بالحقائق لما عندنا من غلبة الدنيا علينا، وملكة الأهواء لنا، وزهدنا في رياضة النفوس على أسباب التوبة، ثم على اختلافنا ورسوخنا في الراحة التي فيها كل شيء، منا جند لنا وعصبة معنا، وعندنا من الطاعة رسوم لا ندري لها ثبات إذا جاءها الموت، وفاجأها الفوت، أم يزعزعها من الحق ما نفرت عنه، ومن ضعفها ما قنعت به وسيبته، فينفصم الأمل وتنادى يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل. الذنوب عندنا وطنات، والندم خطرات، ولم يمنعنا ذلك من قيام حجتك علينا في مقدار ما عندنا من عقل فطري، وفهم أولي، فكن قيام حجتك على العبد ممتزج بما له من الحقيقة والجد، فإنه بنفسه على نفسه بصيرة، وبذاته حامل شهود على ذاته، وحجج منيرة وليس في ظلمة المعاصي ما ينطفىء به نور حجتك انطفاء يقوم به العذر وينجو بحصوله المغتر. وما أعجب شأن الحق في كل شيء عامة، وفي نور بيانه خاصة، فإن نور [و 92] البيان إذا وصل إلى العبد كان حجة عليه، و إذا اتصل به كان حجة له والعقل موضع وصوله، والقلب محل اتصاله.

اللهم! إن كان كرمك يسعني وليس عندي إلا عقل يصف، ولسان يعترف، ومن ورائها نفس عاتية، وقلب من القلوب القاسية، فإنك للجود الأعلى أهل و إن أبى عدلك إلا مطالبة كُلاً بِكُل، والمناقشة فيما دق وجل، فقد انقطع دابر من ظلم نفسه، وماكر يقينه وخصه، وكان الحمد بكماله وتمامه لله رب العالمين وبدء الأمر ومآله، نعوذ بك اللهم من سوء المقام، ونسألك العصمة التامة من موجبات الغضب والانتقام.

اللهم! اجعلنا في هذه الدار أتباعاً لحجتك وجنداً لسلطان بيناتك، ومهلتك في دم نفوسنا بما فيها من حملان الذموم ورحمة القلوب بما لها من التعطيل من ذكرك،

وسلمنا من الشك في حكمك، والحيرة في تنـاهي حلمك، فوعـزتك إن مس النار لهين عن الإعـراض عنك والـرضى عن الجهل بـالحظ الـزهيـد منك، وهـو الحرث العـاجل المستغني به عما لدنك.

اللهم! كن حجتنـا في وجـوب العصمـة من مخالفـة مـا يـرضيك، وكن [ط 92] وسيلتنـا إليك في توفيقنـا لما تحبه منـا، وتحبه لنـا، ونق أسرارنا ومـا بعدهـا من كلياتنـا وجزئياتنا بالماء والبرد، كما ينقى الثوب الأبيض مـن الدنس ولا تجعل لنا ما دمنا حظاً في مخالفتك، ثم ضعنا حيث شئت من ملكك، فـإنك لطيف كريم بالخلاف عليك مني عظيم، الله يعلم أنك عامر أمنيتي يا عامر، وإذا سكت فإني لك بالمودة ذاكر.

وكتب إليه أيضاً

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلوات اللـه وسلامه على محمد رسوله الأمين في الأولين والآخرين، وعلى كـافة النبيين والمرسلين، وعلى آل محمـد الطيبين الأطهرين، وعلى كل عبد صالح في السموات والأرضين من الماضين والغابرين والكائنين إلى يوم الدين.

الحمد لله بجميع محامده التي يرضى بها لنفسـه، شكراً وثناءً ويرضى بها عن عبده فضلاً وعطاءً، وتنتشر لها بركاته أرضاً وسماءً، ولا تدع في القلوب ولا عليها ظلمة وغطاءً على جميع نعمـه ظاهـرة وباطنـة، مما عـرف الخلق أو استأثر بعلمـه الحق، أصابتنـا أو أخطأتنا تصرفاً باللسان تنقاد به الجوارح انقياد [و 93] المسالم الموافق ولو قدرت لانقَدْتُ معه انقيـاد العالم العارف، ولعمر الله أن الحق لثقيل، ومن حقـه ألا يتصف بحمله إلا جوهـر صقيل، ولكن خف من يحمل الأمـانات على اللهوات مـا ثقل على أهل الأرض والسموات بفراغ اللب وإظلام القلب، فإن الناطق بشهواته وجهالاته نطق بها لا وزن له في الكتـاب الموزون، ولا موازنـة بينـه وبين أنـوار الخاصة في السر المخـزون، وإنما رجح ميزان من صلح بسكينـة الإخلاص وحقيقة الاختصـاص لسانه، فإن مَنَّ الله سبحـانه بـالتجـاوز في دار القرار على أهل الغفلـة الشنيعـة والاغترار منهـا سببه اتسـاع أحكـام الاستهانة والاحتقار، كما وقع هنا للملوك الموسومين برسم الكبار في عيون ذوي الأخطار

من الجانبين والأقدار، فلنـا من الرجـاء حظ ووراءنا من الـرحمة لحظ، وإن سبق العدل فينا الفضل.

فيـا ويلنا على مـا فـرطنا في جنب الله، ونعـوذ بـالله من التـوجه إلى خفي مكـره، والتخلف عن جلي أمـره، وإيـاه نسأل أن يجعلنـا في أكنف منـزه، وأن يجعل انقطـاع وسائلنا منه [ط 93] بانقطاع الجد منا، والاجتهاد في حقه وسيلـة إليه يوم الوقوف عليه بما في ذلك الانقطاع من ضرورة الإبـداع وفقر الإدقـاع، وأن لا يحرمنا في فـوت الحق لنا ومنا، وهو أعظم المصائب وأكبر النوائب، أجر المصاب والنجاة من سوء العقاب.

وكيف يتوجه إلى الرب سبحانه بالغـربة والرهبة من ليس فيه منه راغب ولا راهب؟ ومن هو بحقيقة إقبـاله على الصدق عنه ذاهب؟ بل كيف لا يتوجـه إلى الله سبحانه من عرف أنه ليس له منـه بد، ولا ما دون مواهبه وعطاياه حجـاب ولا سد، ولا كالجهد في انتظار الفرج من عند الله جهد بركة كل شيء لها عون وجند. ما أشبه علم المتخير بجهل المتحير، وأقرب حال الصـادق بصدق لا يتحقق شواهده، في كليات حقائقـه وإعلامه من حال الكاذب الذي في يد التهلكة حكمه وزمامه.

اللهم! تب علينـا توبتك التي فيهـا سبـوغ ثوب الإيمان، وبلـوغ صوب الأمـان، واغفـر لنـا مغفرتك التي معهـا وبعـدهـا على الأبد، صبر مـذاق العيش ومحو أخـلاق الطيش، وهب لنا من سعـة كرمك أكرم استئناف وأحقـه يوم [و 94] قيام الخلق بكل خير واف، يا رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمها وكريمها.

أما بعـد. يا أخي ومن أكـرمه الله بطـاعته إكرام أبـد، لا إكرام أمـد، وعصمه من مخالفتـه، عصمة كمال لاعصمـة زوال، ولا أخـلاني وجميع المسلمين من بـركـة أحوالـه وأعماله، فإني وقفت على خطاباتك جميعاً وقوف مشغول بدنياه، ولا حظ له منها، يقوم ويقع، ويريـد فيمنع فإن كان فيما حضر كفايـة فلله الحمد من قبل ومن بعـد، اختيار الحق وإن كـان تقصيراً فبحق، فإن من خلط فـارق المستولي فـأفرط وعلى اختيـار الحق يجري المقـدور ﴿وَإِلَى اللهِ تَـرْجِعُ الأُمُـورُ﴾[1]، بلغك الله مبـالغ الخاصـة من أوليـائه،

(1) سورة البقرة، آية 210، آل عمران، آية 109، الأنفال، آية 44، الحج، آية 76، وسورة فاطر، آية 4، الحديد، آية 5.

وجعلك معـرفة خـالصـة في أهل سمائه ولا أعدمك مـزيـداً بعد الكمال بفضلـه وآلائه برحمته الزكية وفضل نعمائه.

وكتب إليه أيضاً

(4)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقفت أكرمك الله بمـزيد الإيمان وفيض العصمة عليك في حالتي المخـافة والأمان على الورقة التي فيها [ط 94] رؤياك للشيخ وما فيها، ولا والله يـا أخي ما كذبك الملك وإن حسن ظنك بـالتأويل، ولقـد رآه على مثل حـالك من إخـوانك وإخوانـه جماعـة بمرائي عدة تأويلها كلها أن صاحبكم في رذائله ملتف، ولكأس أهوائه مستف، ساقط الهمة في التراب، متعلق الذمة بآيات الخراب، إلا مـع البطالين في إقامة الدنيا، ولا مع المجدين في التوجه إلى الأخرى، إلا أنه زيادة في شؤمـه ولؤمه، موصول المعرفة منه لقدره بهمـومـه، وذلك هـو الدمع الـذي رأيت، مـرت في السراب، وضـاعـت في التراب كما رأيت.

ولكن أتم لأجرك أن تحسن الظن بمن لا حسنـة له، إذا قام ظنك بجمالـه فيمن له الحسنـات، ولقـد قلت لإخواني وإخـوانك أمس، الخلق كلهم على سـالم وأنـا الشقي بنفسي وحدي، أما من ذمني وجفاني فسالم بصدقـه، وإني من الشوق فوق ما قل، وأما من يسرني ومدحني فسالم بحسن نيته، وأما خاصتي فيما بيني وبين الحق، فأسأل الله أن يصلحها بكرمه ابتداء وتطويلاً إن لم يصلحها بمقدار ضراعتي عقوبة ومذلة.

وذلك الرجل المشار إليه، بيني وبينه حرمة الجوار، وكان بين سلفي وسلفه [و 95] ما هو أوكد من ذلك، ولا أدري ما علمه بذلك وبخبره، فقـد كانا يلتقيان، وأنا شاهد فلا يفترقان حتى يبكيـان، تألفاً وتودداً، أو تذكـراً لأمور سلفت هما كانا أولى بـرعايتها والوفاء لهما ممن بعدهما رحمهما الله، وأما ما ذكر أني اليوم شيء غير مذكور فصدق، وهذا

حد حقيقتي، وأما الظاهر فكما قيل: «إذا حضر هابوه، وإذا غاب عابوه» ولو كنت في الظاهر والباطن كما زعم لم يكن على ظهرها أنعم مني، والله بغيبه أعلم.

والسلام عليك أضعاف ما هو بوهمك في السلام علي مضاعفة وأسنى فائدة وملاطفة، ومعاده عليك وعلى كافة من نطق بالحق على حال من الصدق ورحمة الله وبركاته.

(5)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقفت على كتابك الكريم وبرك ـ نفعك الله، ولا ناقش فيه من كتبته إليه بعفوه وفضله ـ قبل كتابي هذا لسواد ليلة أو نحوها، صلى معي صلاة العصر إنسان، فأخبرني وصدقته، ظناً أنه كان قديماً يدعو في بعض [ط 95] هذه الليالي الخالية، وأخذ من نفسه وأحيل بينه وبين سلطان حرسه فإذا هو بين رجال هم أهل سكينة وجمال، قال: فوجدت كأن الجبال الشامخة وضعت على منكبي رزانة، فوهمت وسكت.

فقيل لي: عليك بالرفق والتؤدة، ولا يحملنك حبك على الخير أكثر مما تطيقه أعضاؤك وتحمله قدرتك، فإن ذلك أولى بك وأتم في إرادتك، وأقوى للخير عندك، وما عسى أن يصنع بدعائك فيما تعجز عنه طاقتك.

قال: ثم استيقظت ووقع الرفق في سري.

قلت: وكان بعض إخواني يقول لي لا تعجز ولا تيأس، وعليك بالدوام على أقل القليل، فإن الأشياء تترادف على القلوب، وشر السير الحقحقة التي هي تناهي العمل والدؤب، ولا بد من الفترة ليستفاد علمها وأدبها، ويرى حنين الممتحن إلى من فارق بها.

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

صدر من رسالة كتب بها إليه
رحمه الله ورضي عنه

(6)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله عددخلقه وزنة [و 96] عرشه ورضى نفسه، ومداد كلماته، وسبحان الله كذلك، والله أكبر كذلك، ولا إلّه إلا الله كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله كذلك، وصلوات الله وسلامه كذلك على لباب ألباء وسيد الأحباء من الكون لتام الصفاء محمد خاتم الأنبياء وكعبة الأرض والسماء، وعلى سائر النبيين والمرسلين الخيرة الرفقاء، وعلى كافة عصابة الحق والذكاء، وعلينا بفضل ما عنده من الكرم والجود والعطاء، وسلم تسليماً، وزادهم تشريفاً وتكريماً.

فصل من رسالة كتب بها إليه

(7)

من فارق خلقاً لا يرضاه العلم، وخليقة لم يسكنها الحلم، تمهد له من طريقه ما يقربه إلى موضع راحته وتحقيقه، ولا راحة للمريد إلا فقد الراحة بدوام رقيب من الذكر يرفعه إذا زل، ويفزعه إذا أدل، وأكثر الخلق يرى أنه لو حصل ولياً لله حصل ملكاً مطاعاً، وأميراً في السموات والأرض مراعاً. وهيهات! إنما يحرص على الولاية من لم يعرف أنها أثقال لا تحملها الجبال، وأن الذنب فيها ذنبان، ويقال في مقداره ما قيل لسيد الأولياء من عمار الأرض والسماء ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً [ط 96] قَلِيلاً * إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ، ثُمّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾[1] وإنما تقام الأساسات بقليل الترب وصغير الأحجار، لا بالأحمال والجبال الكبار، ومن عزم على خير فيئس فقد تعس. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) سورة الاسراء، آية 74، 75.

كتب إلى الإمام أبي القاسم بن قسي[1]

(أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله.

من ولي أبي القاسم بن قسي وحافظه من المكاره.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللهم إنا نسألك من بركات العلم والعمل ما يوصل إلى الجانب الأكمل، ونعوذ بك من التفريق بعد البداية والنهاية في مدارج التحقيق. ونتوجه إليك بالدعوى في كنف البلوى إذا [سقطت] رسوم الحق ونعوت الصدق، ونتوسل إليك بالفقر إن لم تكن منك عناية والمكر.

اللهم! إن الأولى بكرمك أن نتوسل إليك بما ليس بوسيلة، ونطالب قربك بمعاصيك براءة من كل حيلة، فلا تخيب رجاءنا ولا تكذب عناءنا، واستر علينا ما لا يستره إلا كرمك، واكشف من كربنا ما لا يكشفه إلا ألطافك ونعمك.

اللهم! لا تقابل ما [و 97] عندنا من مقتك بالزيادة ولا تعر إسلامنا وتسليمنا من

---

(1) هو أحمد بن الحسين بن قسي من المولدين من أصل مسيحي من بني قسي المعروفين في الثغر الأعلى والذين انتقل فرع منهم إلى غرب الأندلس وقد شغل منصب مشرف في الأعمال المخزنية في مدينة شلب، إلا أنه ما لبث أن تصدق بماله وابتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب يجتمع فيها بمريديه، ثم ادعى الولاية وتسمى بالمهدي وقام بالثورة على المرابطين 539 هـ وانتهى أمره 546 هـ بمقتله ـ له كتاب خلع النعلين.
ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2 ص 197، ابن الخطيب أعمال الأعلام، ص 248 (بروفنسال) وانظر كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين ثورة المريدين.

كريم الإفادة، واجعلنا لك وحدك عاملين، وبك عالمين، يا أرحم الراحمين.

ذكر لي أبو محمد[1] متحمله ـ أكرمه الله ـ أنك تعرفني باسمي، فشغلني فراغي عن معناك، وأن أتعرف منه كيف وصل مثلي إلى هناك. ورأيته خاص الثناء بأبي الوليد بن المنذر، عام الثناء بعد ذلك على الجملة ـ صان الله جميعهم ـ ورغب في ثلاثة كتب: أحدها إلى أبي الوليد[2]، والثاني لرجل سماه لي بمحمد بن سالم[3]، فأجبته على ما كرهته أو أحببته، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والسلام عليك وعلى من لديك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضاً

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته عن صلاح ظاهر وعافية شاملة لي ولأهلي ولإخواني والحمد لله رب العالمين.

ووقفت من قبل قريبي أحمد ـ سلمه الله ـ عند منصرفه من تلك الجهة على عدة كراريس في فنون من العلم كتب فيها بعض كلامك [ط 97] وأجوبتك فسرني تمام فهمك، ونفوذ عزمك وإشرافك من علم الحقيقة على إنهاء كتاب متشابه، يصدق بعضه لبعض.

فالحمد لله الذي أبلغني عن أهل وقتي ما كنت أومله. وإني منذ ستة وعشرين سنة سألت رجلاً من أهل القرآن والحفظ للموطأ والسياحة: كيف بأهل الانقطاع في العلم؟

قال: غلب عليهم الاجتهاد والعمل وقل عندهم العلم والبحث.

---

(1) أبو محمد المواق.

(2) أبو الوليد بن المنذر.

(3) محمد بن سالم الشلبي.

فقلت: واحسرتي! ثم ها أنـا بلغني عن أناس بالمشرق والمغـرب في وقتنا من مكث في حقائق العلم ما يسرني، من كان العلم همه وغمه. ومـن أشد ما يمسني بعد معرفتي بحـالك وحال إخـوانك لما في رؤيـة أحـوالكم ومعرفتي بها من يقظـة قلبي وحيـاة لبي فاعلمه.

والسلام عليك وعلى كل واحد ممن تحبه ويحبك مردداً، ورحمة الله وبركاته.

وكتب إلى
أبي الوليد بن المنذر[1] رحمه الله ورضي عنه

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليماً.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المسالمة ـ أعزك الله ـ وداد، والأرواح أجناد. وسببه أن أبا محمد[2] متحمله [و 98] ـ أكرمه الله ـ قصدني قصداً ظاهره البر، والله أعلم بما ينطوي عليه السر، فوجب له حق، وحصل بينه وبين من سواه فرق، فسألته عن بلده فذكره، وعد من أمر تلك الخاصة إلى أمرك فنشره، وأعطاك من لسانه أفضل العطيات، والله ولي الخفيات.

وذكر [لي] أن برك بها اتسع، تخطى البلاد وجمع، وزعم أني عندك معروف وبلسان المعرفة والستر موصوف، فنفعك الله يا أخي بصالح نيتك ووضع البركة بتمامها في طويتك، ولم يخبرك عني مثلي، فلا تشتغل بي، فأنا لو عاينت ظاهري لمقته، ولو كاشفت باطني لكنت له أمقت.

أنا منذ أربعين سنة أطالب نفسي بالاستواء والاستقامة، فما زادها طلبي إلا الاستبداد، ولا أفادها إلا غلواً وفساداً، ولم نؤت من شيء كما أوتيت ممن إذا مدح مدح نفاقاً، وإذا قدح قدح شقاقاً. لا زلت في كنف العافية مع الحجة الصافية بحول الله

---

(1) هو أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر، أحد أعيان شلب من بيت قديم من المولدين، أخذ العلم في إشبيلية وتولى عدة مناصب قضائية كان منها خطة الشورى، وتميز بالمعارف الأدبية والفقهية، ثم تزهد وتصدق بماله ورابط على ساحل البحر من رباط ريحانة بشلب.
ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2 ص 202 وانظر كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين، الجزء الخاص بثورة المريدين.

(2) أبو محمد المواق.

تعـالى، وأعظم حـاجتي رغبتك إلى الله تعـالى وضراعتك لي في خمولٍ تموت بـه النفس، وتجهل في مثله الشمس مأجوراً والسلام.

أخبرني أبو محمد المواق[1] متحمله ـ أكـرمه الله ـ أنك أشرت على أقـوام بالأعواض فوهبوا [ط 98] لك، فأقبلوا على ما ينفعهم إقبالاً حسناً، فوقع ذلك مني موقع الماء من غلـة الظمأ، وذلك ظني بحـالي منك حين سمعت الخبر، والله أعلم بها أحصـاه من أمري.

فإن سرك يا أخي أن ينتفع بك حبك النـاس، فلا يكن شيء أحب إليك من تعلم المسالمة، فإن الصادق ينتفع الناس بصدقه، والكاذب لا يتعداه كذبه، والمناكره أعلاق وليس معها تمسك ولا اعتلاق، وهي تقطع الأقوياء وتمحق الضعفاء.

عصمنا الله من المكر، خفية وجلية بعزته.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضاً

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله وسلم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته، وأنـا أحمد إليك الله الذي لا إلـه إلا هو على نعمـة الإسلام وأسألـه لي ولك حياة يرتضيها ونجاة لا كدر فيها، ولإخواننا المسلمين. والحمد لله رب العالمين.

وردني لك ـ أعزك الله بطـاعته ـ كتاب لبيب حبيب ينطق بسيـادته نطق الراغب في الفضل وزيـادتـه، وكمعـرفتي بجملتي ومـا تنطـوي عليـه أعمال غفلتي، عجبت من شأنك وكيف [و 99] سترني الله بجميل سنتك وجليل سنائك.

اللهم! أسبل علينـا كثيف سترك وأدخلنـا في مكنـون غيبك، واحجبنـا عن شرار

(1) لم أهتد الى ترجمته.

خلقك، وحل بيننا وبين البلايا والرزايا كلها يا أرحم الراحمين.

بلغني أن عبداً صالحاً دعا بها فحجبه الله عن شر قوم كانوا في طريقه وذكر أنه لا يدعو بها أحد، يعني على اليقين، إلا حجبه الله عز وجل. ذكر لي أن لك أملاً في الحج وأنك سألت عن مراكب السفر، وعندنا مراكب، ولكن بلغني ما أنت عليه في موضعك من بر الأعيان والأشراف وإقامات حاجات الضعاف، وعمل منه واحد أفضل من كثير من الحج والغزو. حملك الله على الأقصد الأرشد برحمته.

من الناس ـ أكرمك الله ـ ضعيف الحلم، قليل العلم، لا يعرف أصول الدين ولا يميز حقائق اليقين، ولا يفهم مجاري أحكام الله سبحانه في خليقته لإعجابه بحاله وطريقته. يهجم بالسمع على أهل الفضل والورع، ويسالم أهل الأهواء والبدع وربما سلم منه جاره الذمي، وابتلي به جاره المسلم التقي في ملته، يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم! إني أعوذ بك من [ط 99] جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول)[1]، ولا بد من صبر المؤمن على أمثاله فإن الإدانة سنة الله في خلقه، ونصر المؤمنين حق على الله[2]في كتابه وفي كل زمان يعرض الناس بأهل الديانة للمحن وأهل الفتن، فعصم الله من عصم وأثم من أثم.

ولقد كتب في عامر بن عبد قيس[3]، وهو من أعبد أهل البصرة حتى استجلبه عثمان رضي الله عنه إلى المدينة. وكُتب إليه قبل ذلك في أبي ذر، وهو أصدق من أقلته الغبراء وأظلته الخضراء لهجة فاستجلبه عثمان رضي الله عنهما إلى المدينة وأنزله الربذة ومات بها غريباً رحمه الله.

---

(1) أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد رقم 117، والنسائي في سننه باب الاستعاذة من جار السوء، وأخرجه ابن حبان في صحيحه موارد الظمآن رقم 2056، وأخرجه الحاكم في المستدرك جـ 1 ص 532 وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(2) الآية ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ سورة الروم، آية 47.

(3) هو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري، تابعي من بني عنبر، أول من عرف بالنسك من عباد التابعين بالبصرة، هاجر إليها، تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري حين قدم إلى البصرة وعلم أهلها القرآن، فتخرج عليه في النسك والتعبد. مات ببيت المقدس في خلافة معاوية. يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء، جـ 2 ص 51. أبو نعيم الأصفهاني: م.س. جـ 2، ص 87.

والقدح في الدول وانتظار مهدي يصلح به، لا يعتقده حصيف، ولا يظن مثله بمسلم إلا ضعيف. بكى الناس في ملك بني أمية، وتكلموا فيه حتى تكلموا في المهدي وخروجه، فانقضى ملك بني أمية، وظهر المهدي فإذا هو ملك بني العباس وحين ظهر توقع الناس في الندم وبكوا على بني أمية بالدمع والدم، ورأوا من سفك الدماء وانتهاك الحرم خلاف ما ظنوا، ولا يقدر قدره إلا الله تعالى.

وعج أهل أفريقية من أمراء بني العباس وتكلموا فيه، حتى ذكروا المهدي: فإذا هو شيعي رافضي كافر، فألزمهم [و 100] الله أحكام الكفرة بتعديهم في إنكار جور الجورة.

فكن كما أنت في إكرام الكبراء وإنعاش الفقراء، ولا تبالِ بمن عاداك ظالماً لك، فإن الله مديلك منه، وعداً منه مفعولاً.

تقرىء بفضلك سلامي معاداً عليك وعلى أبي الوليد بن عمر[1] ورحمة الله وبركاته.

يا أخي نفع الله بإخائك لقاء مكتوبك خليفة لقائك وقد قال الأول:

إِذَا الإِخْوَانُ فَاتَهُم التلاقي ... فَلاَ صِلَةَ بِأَفْضَلِ مِنْ كِتَابِ

فإذا شاهدت أو نقل إليك مستوراً عن مستور، شيئاً من أعلام القدرة، وبركاتها وبراهين الحنيفية السمحة وآياتها، فقيِّده بالكتاب ترسخ بذلك قواعد يقينك، وتتنور لك مصابيح إيمانك، وتكثر منه ما استطعت، فإنك سترى بركة ذلك يوماً ما، ولا تعتبر بقول من يقول: ليس هؤلاء من أهل الكرامات، فإنه لا يطلع على الأسرار إلا الله وحده تعالى. ولأعلام القدرة أوقات وإن كانت في شرف الإسلام، فالاستكثار منها فريضة أو فضيلة، ويكفي فيها الظن الغالب، والقاطع من العلم أتم إذا أمكن وقل ما سلك أحد [ط 100] في ذلك طريق الظن إلا فتح الله له طريق اليقين والعلم القاطع فإن بقي صاحبها على ستره وسلامته حتى مات أو برز في العبادة فهي له كرامة، وإن بدل أو غير لم تنتقل عن كونها علامة قدرة وبركة إسلام، ولن تلقى من الله إذا جمعتها وحرصت عليها إلا خيراً.

والسلام.

---

(1) أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر.

وكتب أيضاً إليه رحمه الله

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله.

أطال الله بقاء عمادي الأعصم، وعتادي الأعظم في رفعة لا يعوزها أمل زيادة ولا يعجزها عمل سعادة.

ورد كتابك الكريم وحاجتي إليه وإلى الوقوف عليه حاجة الصادي إلى الولي، والقافية إلى الروي، فوقفت منه على الرياض العبقة، والحياض الغدقة فعندي من آثاره المطربة وأخباره المغربة أشغال لا تنقطع بطولها الصلاة وبطيبها الفلاة، ولله دره من كلام حر كأنه قلادة در، أفاد لساني بعد القصر فصاحة وبناني بعد الحصر فساحة، فقلت وقد أفلت من شرك الإفحام، وأمنت من درك الاقتحام:

[و 101] كَلامُ أَبي الوَليدِ أَلَذُّ مَجْرى ... عَلَى الأَسْماعِ مِنْ مُلْكِ الوَليد
يَزيدُ عَلَى بِلى الأَيامِ حُسْنَاً ... وَيَرْفُل مِنْهُ في كَرَمٍ جديد
قَريبُ اللَّفظِ والمَعْنى وَلكِنْ ... يُحَرِّزُ كل مَطْلُوبٍ بعيد

وقال أيضاً:

قُرَّةُ عيني أَنْ تَرى مَنْ رَآكَ ... طُوبى آمين مُلِّيتُ مِنْ سَنَاكَا
أَمْرُكَ أَنْساني أَمْرِي فَمَا ... انتَظِرُ الخَيرَ هُنا بَلْ هُناكَا

وكتب إلى
أبي بكر بن مؤمن رحمهما الله ورضي عنهما

الأخ الودود السيد أبو بكر[1] عتيق بن مؤمن، الله وليه. المسرور به وليه في الله أحمد ابن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهم! اشرح بأنوار القرآن العظيم صدورنا، ويسر على آثار الأبرار أمورنا وكثر بك دون الأشياء كلها في الدنيا والآخرة سرورنا يا حليم يا كريم.

وردت هدية الله سبحانه وعطيته عندي بها كان معد من الفوائد لورود أخينا في الله أبو بكر [ط 101] ابن البناء[2] ـ أكرمه الله كرامة أوليائه وأحبائه ـ فكان اليوم الذي ورد فيه من أطيب أيامي عندي، لا سيما وكتاب أبي الحسن[3] ـ أطال الله لنا حياته، وصان من كل المكاره أعماله وذاته ـ لا حياة إلا بعيش وعقل وعلم، فالعيش إحراز الكفاف بأصل من التوكل، وأصل من التكسب والعقد توصيل كل حق وأمانة إلى أهلها. والعلم وضع الأعمال حيث وضعها الله سبحانه من بيان الكتاب والسنة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً * ويرزُقهُ مِنْ حَيثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[4]، جعل الله من أمري وأمرك وأمور

---

(1) سبقت الترجمة له في رسالة ابن العريف (رقم 2) الموجهة إلى جماعة قرطبة.

(2) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي، أبو بكر، إشبيلي، تلا القرآن على أبي الحسن بن عظيمة وروى عن أبي بكر بن طلحة وأبي الحكم بن برجان وأبي علي بن الشلوبين وغيرهم، إلا انه ذكر وفاته 640 هـ وهذا أمر يدعو للشك، فربما حدث تحريف في سنة الوفاة أو أن يكون المترجم له غير الشخصية التي ذكرها ابن العريف.

ابن عبد الملك: م. س. سفر 5، قسم 2، رقم 1283، ص 681.

(3) أبو الحسن بن غالب.

(4) سورة الطلاق، آية 2، 3.

إخواننا خاصة والمسلمين عامة فـرجاً ومخرجاً، ونهج لنا ولهم إلى الهداية المبلغة إليه تبليغ الدوام الموصول بلقائه منهجاً بعزته.

وقـد كـانـت كتبك وصلت قبل ذلك فجـاوبت على كـل شيء، وكتبت إلى عبـد الواحد[1] ـ أكـرمه الله ـ كتـابين، وكتبت إليك مجاوباً عن فصول كتـابك إلا أن الذي لم أراجعك عليه هو الذي كتب إليه فيه أبو زيد القطان[2] أخونا في الله تعالى، لأني لم أجد للنقلة شـاهداً قـوياً أعـول عليه، والأمـر حتى الآن في ضميري فاكتـب إلى أبي زيد [و 102] على لساني بقراءة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[3] عند نومه، وعند قيامه من النوم في كل يوم وليلـة، عزيمة منه لا يحول بينهـا وبينه إلا الموت وقد فتح الله لـه. وإن أخذت أنت بذلك نفسك، شرح الله صدرك فيما ترادف عليك من شغل الدنيا إن شاء الله.

وأما سروري بخبر الكرامات، فـلا يزنه شيء من الدنيا عندي، فـإنه الفرض الذي كنت آمله وأومي إليه، فتح الله بذلك الجزء في أكثره، ورأيت مؤلفه رجلاً محققاً نفعه الله ونفع به.

وكل واحد مـن إخوانك سادتي في الـدنيا والآخـرة، خصه عني بـالسلام، وخص نفسك بذلك قدر شوقي ومحبتي. ورحمة الله عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد.

وكتب إليه أيضاً
رحمهما الله ورضي عنا وعنهما

(2)

إلى الحبيب القريب أبي بكر عتيق. الله وليه وحـافظه من كل بأس وبؤس من أخيه الضعيف أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد رسوله الكريم وعلى آله وسلم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(1) عبد الواحد بن محفوظ.
(2) لم أهتد إلى ترجمته.
(3) سورة الشرح، آية 1.

[ط 102] فتق الله يا أخي لسانك، وفتح جناحك بمواهب العصمة، وألبسك لباس الشاكرين للنعمة بالنعمة، وجعلك ممن عرف مقدار الهمة بالهمة، ولا سلط عليك من الأوقات شاغلاً للذمة، كنت في عامنا هذا عام تسعة وعشرين فقدت وارداً مؤانساً محدثاً عنه، فإن أخاك سمع كله فأصابني لمم وعرض صمم. ففي أول رمضان ورد أبو موسى متحمل كتابي هذا ــ نفع الله به ـ فحدث عن بشر الخزائن، وفتح المداير في عالم لا تسعى قدم المنى إليه، ولا ترعى سوام الأعداء حواليه، فلله الحمد كله، فحيث الكمال كله فيما قبض وبسط، وعمن عاش أو سقط، فإن حق الكبار لا يسقط بسقوط الأقدار.

عقد على لسان أخيك عقدة، وجعل على بصره غشاوة، وعلل سمعه بما يعلل به الصبي، ونودي من وراء حجاب الغيب، يا عيبة العيب، لا أنت أنت إذا خضعت، ولا أنت أنت إذا ارتفعت. أما الطهارة فلست لها بأهل، وأما الحقارة فلست فيها بمعذور ولا متروك، فهل عندكم ــ رحمكم الله ــ من دمع يسفح؟ أو دم يسفك في الشفقة على تالف لا يعرف له نظير في خالف ولا سالف غايته أن يجتند فينشر،

[و 103] إنْ كَانَ قَدْ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ... فَمَا يَجْرَحْ إذا أَرْضَاكُمْ أَلَم

خص أخانا الحبيب أبا خالد[1] بسلامي، وكل واحد ممن يحبكم.

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

تاب الله علينا توبة اختصاص، ورزقنا السلامة من الهوى والخلاص، وجعلنا في ذاته إخواناً، وعلى مرضاته أعواناً.

كتابي كتاب متشوق إلى إخوانه، فاتته في نفسه أعلام النجاة، وأسباب الحياة، فهو

---

(1) أبو خالد يزيد بن عبد الجبار القرشي.

يودهـا لهم وداداً، ويجتهد في الرغبة لهم لبـاسه من نفسه اجتهـاداً، والله عز وجل يعلم حيرتي لضعفي عن السفـر إليكم بين لقـائكـم ومغيبكم. فإن في المغيب وحشـة، وفي اللقاء مشقـة سفركم وأكره مـا يشق عليكم إلا أنه إذا بلغني من سكـون الجانب عندكم وهدوء الجأش مـا وراء حسن حـالكم الظاهـرة حمدت الله تعالى وشكـرته ــ لا فرق الله شملنا ـ إذا جمع شمل النبيين وأقـامنا في ظل عرشه مقـام المتحابين ولا أسمع أخاً منكم في أخيه [ط 103] إلا ما يوده بحقيقة إيمانه ويشتهيه بعزته.

وذكر ختنـك ـ أكرمـه الله ـ ميعـاد أبي الحسن[1] أعزه الله بالـوصول فنفسي بذلك متعلقة وإلى دنـوه متشوقـة، وعلى ضعفه مشفقـة، وقد كـان لي في أبي بكر مسعـود بن رزين[2]ـ نضر الله وجهه ـ أخ يتأنس له بعضي ويستقر له عند رؤيته أرضي، فظنوا بي إذا غبتم عني كل شيء من الاستيحـاش والـوله، ومن القلق إلى أخبـاركم مـا لا يخفى عن غاية البله والدنيا تعاليل.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(4)

إلى أخي في الله وسيدي أبي بكر عتيق بن مؤمن الله وليه وهو يتولى الصالحين.

من أخيه أحمد بن محمد عفى الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلـوات الله وسلامه على محمد رسـوله الأمين وعلى جملة الطاهرين.

سلام على أخي ورحمة الله وبـركاته، شرح الله صـدرك بأنوار هديتـه ورفع قدرك في خيار أهل عنايته، وإيانا وإخواننا خاصة والمسلمين عامة.

في كل عام من سنة أربع وعشرين [وخمسمائة] كان يرديني بسبب ركوب البحر من

---

(1) أبو الحسن بن غالب.
(2) هو أبو الحسن خليل الليلي سبقت ترجمته.

ترجى بركته ويرغب في لقاء مثله من مريد يريد التوحش من الناس أو [و 104] منتسب إليهم إلا عامنا هذا، فما ورد (أحد)[1]، وما أضخ الله سبحانه بكرمه وجوده أملاً إلا ما أمر المنى[2] أن تعمل في تمامه وحصوله عملاً ففي ذلك تأنيس لمن غمه على نفسه جليس. ضاقت نفسي في هذه المدة ضيقاً كثيراً، وتوهمت أن ذلك بسبب شغلي بالصبيان، وكثرة رؤيتي لمن عرفني قديماً وعرفته، فعزمت على إزالة الصبيان والسفر إليكم لأروح نفسي شهرين أو ثلاثة، ثم عجزت عن ذلك لأسباب قد علمها الرب جل جلاله، وقلت لعل ذلك يمكن في إثر عيد الفطر. أما أني لو وجدت خليفة في المسجد والصبيان حتى انصرف ما كنت والله بغيبه أعلم إلا قد ركبت ظهر الطريق إليكم، وسامحت نفسي في الذي تطالبني به منذ مدة من دخولي قرطبة ــ حماها الله ــ وتجديد العهد بها وبمن بقي من الإخوان فيها، وتعليق أحاديث من أحاديث الشيوخ فيها، وما ذلك على الله بعزيز.

رؤيتي لكتابك نحو من دخولي ذلك القطر في دور مسرتي به عليّ، ووصول الأنس به إليّ مع ما يشتمل عليه من الدعاء الذي لا أشك فيه ولا أمتري. فليكن من بالك بعون الله ومنه.

والسلام على كل واحد من الإخوان باسمه ـ ألف الله [ط 104] قلوبهم على التقوى وجمع لهم خير الأخرة والدنيا.

اللهم! إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً شافعاً برحمتك.

اللهم! اشرح صدورنا، ويسر أمورنا يا عالماً بالجملة غنياً عن التفصيل إنك على كل شيء قدير ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

وفي كتاب كتبه إليه

(5)

وما منعني من تعجيل المراجعة إلا فكرة غلبتني فيها أنا بسبيله من مخالطة من لا

---

(1) في الأصل أحمد.

(2) في الأصل المنا.

ينفعني ولا أنفعه، ولا يدعني وإن كنت أدعه، وأمور أخر لا يشتغل بمثلها إلا ضعيف، ولا يكتفي بها من حياته إلا محروم، وما ذكرته من ضجر أخينا أبي عبد الله[1] وضيق صدره بمفارقة إخوانه ومرافقة غير إخوانه وشغلك بالضرائر القاطعة عن أن تكون من أعوانه فلعل الحزن على ما فات من وجوده، فليس بغريب في كرم المولى وجوده، فقل لأبي عبد الله ـــ أعانه الله، وأمره بمواد أنسه، وفوائد قدسه ـــ إذا تأنسوا بالخلوة أضجرهم بالملأ وأوحشهم منه وهم لا يشعرون، وإذا تأنسوا به حجب عنهم كل شيء، فلا يضجرهم من شيء وأوحشتهم به منه [و 105] وهم لا يشعرون. فإن حقيقة الإنسان لا تصح إلا بحمل أعباء الوحشة به منه، فاحتمل ضجرك من الخلق فإنك به مأجور، واحتفظ من الزهد في ضجر أنت به موصول مهجور والحرص عليه. وما أتاك من غير مسألة فخذه، فإنه رزق رزقك الله إياه، وإن كنت ممن إذا سُئل أعطى، وإذا تباعد أدنى، فلست بمأمور ولا مزجور.

لطف الله لك وبك يا أبا عبد الله وأكملك حتى تكون الأحوال كلها بك سواء، وكلها تدعو بعزته، ولإخواننا عامة وخاصة إنه ولي ذلك وربه لا إله إلا هو.

فصل من رسالة كتب بها إليه رضي الله عنهما
(6)

وقال بعضهم وكانوا يقولون لا بد من أربع: عقل يعرف به الإنسان نفسه وأهل زمانه.

وعيش تسكن به حاله حتى يتفرغ لما أمره الله به.

وعلم في سنة وإيمان يعمل عليه وينتهي إليه.

وعبودية يتمكن بها الإنسان من مراوضة خلقه ومسامة الحق وطرقه وإلا فلا نفعنا الله وإياك بالإيمان والإسلام وجعلنا من أهل خاصته بعزته.

والسلام [ط 105] على الجميع ورحمته تعالى وبركاته.

---

(1) أبو عبد الله بن يوسف.

وكتب إليه أيضاً

(7)

بسم الله الـرحمن الرحيـم، وصلى الله على محمد رسـولـه الكريم وعلى آلـه البررة في الأولين والآخرين.

سلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاتـه. سلام وداد لا سلام تودد، وتحية إسلام لا تحية تردد، تحية من عند الله مباركة طيبة، ورحمة الله عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد.

اللهم! إنـا نسألك لإخواننـا في ذاتك حياة بـك لك، ورياً من مـاء الذكـر بكأس الخصـوص، ونسألك لأنفسنا مـراعـاة أسباب أوليـائك والخدمة في لطـائف الأدب في وظائف النـدب لخدامهم وحفظ أوقاتهم بك عليهم وأيامهم، فإن أقدارنـا صغرت عن رؤيتهم وخدمتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا بأس من روح الله تقدس ذكره.

غمني بما أنا عليه من شغل البـال ما لا يجدي عظمة فإنا لله وإنـا إليه راجعون على ذهاب العمر، وزيـادة الحساب، وترادف الحجة والحمد لله على نعمـة الإسلام والكون من أمة محمد عليه السلام.

وصل كتابك بسفر أخينا أبي الحسن[1]ـ يسر الله له أمره، وشرح بمشاهدة الحقيقة العليا صدره [و 106] وخار له في كل أحواله الخيرة التـي لا يكون للعباد عليها سلطان في حال فراق الإخوان ـ فأكثر من مخاطبة أبي الحسن ـ أحسن الله ذكره ـ ما أمكنك، وما تجدد عندك من قبله فخاطبني به ـ نفع الله بعضنا ببعض.

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

سَلاَمٌ عَلى الإِخْوَانِ ما منحَ الضحى وَمَا تَجَمَّعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ الحَمَائِمُ

---

(1) أبو الحسن بن غالب.

وكتب إليه أيضاً

(8)

الولي المحب الودود أبو بكر عتيق أعزه الله بطاعته.

وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم. السلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته.

وصل يا أخي كتابك أكرم بكما مع الإجازات والفهارس وسائر ما تضمنه كتابك على أكمل وجوه المرغوب، وأفضل جهات المحبوب. جعله الله نوراً يسعى بين يديك وعملاً صالحاً يتوجه بكل أمانيك يوم القيامة إليك سررت وبررت ـ نفعك الله ونفع بك ـ ووقفت على ذلك القول المعجم، واللسان المحكم فأعجبني، فاستكثر منه، فإن جله أو كله دواء [ط 106] وشفاء، وما كان من ذلك تفسيراً لآية، أو لسنة، أو لكلام مشهور، من كلام الأئمة يعض عليه بالنواجذ، ولا يفتك منه شيء.

وفاتح المشار إليه في هذه الأشياء مفاتحة ذكر لا مفاتحة (مساءلة)[1]، لتستجلب بذلك من ينابيع الحكمة ما يتصل بمزيد إيمانك، فترفع محلك إلى منزلة زيادة الفهم عنه، واعْلم أن النظر بعيون القلوب المنفتحة بكمال حقائق أهل البقاء من أحوال خصوص أهل الإرادة. ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وخاطبني أبداً بما يتجدد من صداقة أخ في الله عز وجل لم يكن أو صدق في حال من كان، ولا تستحقر شيئاً من هذه الأغراض تعلمني به ولو لم تكن إلا كلمة واحدة فقط، واجعلني من همك إن أمكنك ذلك بمشيئة الله سبحانه وقوته وعونه في أن لا يطيب لأحد قلبك أو به إلا سألته الدعاء لي تيسير ما أرجوه من لقاء عالم، وصحبته إلى فراق الدنيا على الحقيقة. ولقد فكرت في إثر ورود كتابك في زيارتكم في محلكم فكرة

---

(1) في الأصل مسالة.

(2) سورة الروم، آية 50.

دامت أوقاتاً كثيرة. فلو وجدت خليفة في الصبيان والمسجد لفعلت إن أمضاه الله وقدره.

ففي هذه الأيام ورد كتاب العبد الصالح أبي يحيى[1] نزيل منى[2] [و 107] من العدوة وفي الدعاء له ولإخوانه من البركة ما ليس بدون. وكان من بعض دعائه في الكتاب: اللهم! وفقنا جميعاً وسددنا، وبروح منك فأيدنا، وعن ما لا يرضيك فقيدنا.

وأما ما ذكره أخونا أبو الحسن[3] من النقلة فقد خاطبني به في كتاب وراجعته عليه، والإقدام بالسنة إذا لم يكن يقيناً سنة، ووكد على أبي زيد عبد الرحمن يخاطبك أبداً بحاله وبما يتجدد له. وخاطبني بذلك وبما رأيته.

واعلم أنه ورد كتاب الشيخ ـ نور الله بقلوب أحبائه الأرض، وزين بهم العرض ـ ومضمونه بطريق التعريض سفري إليه. وعرضت الأمر على حالي، فوجدت الذنوب قيدتني، وحسبي الله وكفى.

وإني كنت انتظر من قبل أبي خالد[4] ـ أكرمه الله ـ وتعريفي بما هو عليه. ينتظر الأخ فلم أرَ له عندي وفي كتبي خبر، وخفت أن يكون بعض حالي أو قولي أوحشه فطيبوا له قلبه عني فإن كلامي لمثله في الظاهر جاف وفي الحقيقة إن شاء الله صاف.

وحتى الآن أجدد لكم الرغبة في أن لا تكثروا التردد ولا المخالفة على معارض مناقض بالحال أو بالمقال ولا على مكذب أو كاذب بالحال أو المقال ولا على منفر [ط 107] أو نافر بالحال أو بالمقال. عولوا على الخلوة فإنها عمود الإخلاص وعلامة الاختصاص. إن الاجتماع ففي غير البردين الصبح والعشاء وفي غير أوقات الغفلة وليكن الاجتماع في وقت الغداء إلى الظهر وفي نحو ذلك. وكما قلت لك لا تؤخر مخاطبتي بما حضرك ولو بكلمة واحدة تعلمني بما أمكنك من حالك وحال الإخوان، جمع الله قلوبنا على التقوى ويسر لنا خير الآخرة والأولى بعونه.

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(1) لم أجد له ترجمة.

(2) منى: وادي من أحواز طنجة.
ابن أبي زرع ص 106، 143.

(3) أبو الحسن بن غالب.

(4) أبو خالد يزيد.

وكتب إليه أيضاً

الأخ الودود أبو بكر بن مؤمن ـ أعزه الله بتقواه .

من أخيه في الله تعالى أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد رسوله وعلى آله وسلم تسليماً. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبته يوم الفطر من سنة تسع وعشرين وخمسمائة باسماً من ورود النعم وقلة المبالاة بشكرها . نسأل الله العافية . وكنت في هذا العام فقدت من لقاء الإخوان الواردين علينا بنية التوجه إلى المشرق ما كان المولى سبحانه عودنيه فاستوحشت كثيراً ثم وردت [و 108] على الكتب التي بعثت أنت بها والكتب الواصلة منك، فانكسر بعض وحشتي فلما كان أول رمضان عفا الله عنا فيما كان منا فيه .

ورد أخونا أبو موسى ـ نفعه الله ونفع به ـ وأخبرني بعض إخواننا أنه ظهر في جهاتنا على نحو من المرية شاب له وجوه إلى الشقرة، عنده جد واجتهاد ومعرفة بالصالحين وآثارهم بالغة . ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾[1]، ووصل الرجل المشار إليه والأمر كما فهمت والبركات أقسام وأرزاق . رزقنا الله من الفهم عنه رزقاً حسناً بعزته والله .

عند أبي موسى أعزه الله من المحبة لك والسرور بك وبأبي عبد الله الأبار أخينا أمده الله بمعونته إمداداً موصولاً بشكر النعمة، محفوظاً من رؤية النفس معقوداً بالمزيد الذي لا نهاية له إنه ولي ذلك لا رب غيره .

وأقرأ عليك وعلى كل واحد من الإخوان السلام أخصه باسمه سلاماً عمياً طيباً كريماً . والسلام على الجميع ورحمة الله تعالى وبركاته .

---

(1) سورة البقرة، آية 251 .

الفهارس



فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطة

ابن العربي : القاضي أبو بكربن العربي المعافري الاشبيلي ت 542 هـ/ 1147 م .

- سراج المريدين رقم 20348/ دار الكتب المصرية .

ابن العريف : أبو العباس أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي ت 536 هـ/ 1141 م .

- مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة . رقم 1562 الخزانة الحسنية (الملكية) الرباط .

- مفتاح السعادة لأهل الإرادة رقم 1687 دار الكتب الناصرية تمجروت . المملكة المغربية .

ثانياً : المصادر والمراجع المطبوعة

ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبدالله القضاعي البلنسي ت 658 هـ/ 1159 م .

- التكلمة لكتاب الصلة طبعة مجريط 1886 .

- التكملة لكتاب نشر عزت العطار. القاهرة 1956 .

- الحلة السيراء تحقيق د. حسين مؤنس . القاهرة 1963 .

- معجم الصدفي نشر كوديرا، مجريط 1885 .

- إخوان الصفا : الرسائل، بيروت 1957 .

الألباني . محمد ناصر الدين .

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي 1399 هـ.

الإسنوي : عماد الدين محمد بن الحسن بن علي القرشي ت 764 هـ/ 1362 م .

- حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب بحاشية كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي القاهرة 1310 .

البخاري : الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي اسماعيل البخاري ت 236 هـ/ 850 م .

- صحيح البخاري (البخاري - الجامع الصحيح) بولاق - مصر 1313 هـ.

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت 587 هـ/ 1191 م .

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، الدار المصرية للنشر 1966 .

- كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات، تحقيق د. مانويلا مارين معهد التعاون العربي - مدريد 1992 .

البلفيقي : أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم - القرن الثامن الهجري .

ـ المقتضب من كتاب تحفة القادم تحقيق ابراهيم الأبياري 1957 .
الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت 279 هـ/ 892 م .
ـ الجامع الصحيح ، الهند 1393 هـ .
ـ سنن الترمذي .
ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، ت 728 هـ/
ـ مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي الحنبلي/ الرياض 1391 هـ .
التنبكتي : أبو العباس أحمد بابا ، ت 1036 هـ .
ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج مصر 1351هـ .
الحاكم النيسابوري : أبو عبدالله محمد بن عبد الله ت 405 هـ/ 1014م .
ـ المستدرك علي الصحيحين ـ بيروت .
ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان البستي .
ـ صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرنؤوط .
ابن حجر : الحافظ أحمد بن علي ت 852 هـ/ 1448م .
ـ لسان الميزان ، حيدر أباد 1331 هـ ، بيروت 1971 .
الحميدي : أبو عبدالله محمد بن فتوح ت 488هـ/ 1095 م .
ـ جذوة المقتبس تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة 1952 .
الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت 866 هـ/ 1461 م .
ـ الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق د. إحسان عباس 1975 .
ابن حنبل : الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت 241 هـ/ 855 م .
ـ المسند ، مصر 1313 هـ ، بيروت 1969 .
ابن الخطيب : ابو عبد الله محمد بن سعيد السلماني (لسان الدين) ت 776 هـ .
ـ روضة التعريف بالحب الشريف تحقيق محمد الكتاني ، الدار البيضاء .
ـ الاحاطة في اخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عناني ، القاهرة 1974 : 1977 .
ـ اعمال الإعلام (اسبانيا الإسلامية) تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت 1956 .
ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ، ت 808 هـ/ 1405 م .
ـ شفاء السائل لتهذيب المسائل تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، اسطنبول 1957 .
ـ المقدمة تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، القاهرة 1968 .
ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد ، شمس الدين ت 681 هـ/ 1282 م .
ـ وفيات الأعيان تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1968/ 1972 .
ابن خير الاشبيلي : أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الفاسي الإشبيلي ت 575 هـ/ 1179م .

ـ الفهرسة، بيروت ـ بغداد (المتن) 1963 .
أبو داود : سليمان بن الأشعث بن سليمان الأزدي السجستاني ت 275 هـ/ 888 م.
ـ سنن أبي داود القاهرة 1952 .
الدارقطني : الامام علي بن عمر الدارقطني .
ـ السنن عني بتصحيحه عبد الله هاشم يماني المدني القاهرة 1969 .
الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين ت 748 هـ/ 1347 م.
ـ سير أعلام النبلاء، ج 20 تحقيق محمد . . . ط 3ـ 1985 .
ـ ميزان الاعتدال، القاهرة 1325 هـ.
ابن رشد : قاضي الجماعة أبو الوليد بن رشد الجد، ت 520 هـ/ 1126 م.
ـ الفتاوى تحقيق د. مختار التليلي، بيروت .
ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ت 708/ 1308 م.
ـ صلة الصلة تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط 1957 .
ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله ت 626 هـ/ 1325 م.
ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس، فاس 1973 .
زروق : الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد ت 899 هـ1493 م.
ـ قواعد التصوف، القاهرة 1318 هـ.
ابن الزيات التادلي : أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ت 617 هـ/ 1220 م.
ـ التشوف الى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط 1984 .
ابن سبعين : أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي ت 669 هـ/ 1270 م.
ـ رسائل ابن سبعين تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة 1956 م.
السراج الطوسي : أبو نصر عبد الله بن علي ت 378 هـ/ 988 م.
ـ اللمع في التصوف، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه سرور، القاهرة 1960 .
السلمي : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ت 412 هـ/ 1021 م.
ـ طبقات الصوفية، القاهرة 1953 .
السهروردي : أبو حفص عمر بن محمد شهاب الدين السهروردي ت 632 هـ/ 1234 م.
ـ عوارف العوارف مطبوع على هامش الإحياء للغزالي جـ 5 طبعة الاستقامة بالقاهرة د. ت.
ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد اليحصبي ت 685 هـ/ 1286م.
ـ المغرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، ط 3 ـ القاهرة 1978 .
ابن سيناء : أبو علي الحسين بن عبد الله ت 428 هـ/ 1036 م.
ـ الاشارات والتنبهات تحقيق سليمان دنيا القاهرة 1947/ الشفا القاهرة 1960 .
السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ت 911 هـ/ 1505 م.

ـ الاتقان في علوم القرآن، مصر 1951 .
ـ بغية الوعاة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1964 .
الشافعي : الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس ت 206 هـ/ 819 م .
ـ السنن، مصر 1315 هـ .
الشعراني : عبد الوهاب الشعراني ت 973 هـ/ 1565 م .
ـ الطبقات الكبرى، المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخبار القاهرة د. ت .
الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت 548 هـ/ .
ـ الملل والنحل تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة 1968 .
الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ت 599 هـ/ 1202 م .
ـ بغية الملتمس مجريط 1884 .
أبو طالب المكي : أحمد بن أبي الحسن على بن عباس المكي ت 366 هـ/ 996 م .
ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ـ القاهرة 1310 هـ .
ابن عباد الرندي : أبو عبد الله محمد بن عباد النفزي الرندي ت 792 هـ/ 1389 م .
ـ الرسائل الصغرى تحقيق بولس نويا، بيروت 1973 .
ـ شرح الحكم العطائية، مصر 1317 هـ .
العباس بن ابراهيم ت 1959 .
ـ الإعلام بمن حل بمراكش جـ 2 . تحقيق عبد الوهاب 1975 .
ابن عبد الملك المراكشي : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي ت 703 هـ/ 1303 م
ـ الذيل والتكملة السفر الأول والثاني تحقيق د. محمد بنشريفة، بيروت .
ـ الذيل والتكملة السفر الخامس تحقيق د. إحسان عباس بيروت 1965 .
ـ الذيل والتكملة السفر السادس تحقيق د. إحسان عباس بيروت 1973
ـ الذيل والتكملة السفر الثامن تحقيق د. محمد بنشريفة الرباط 1984 .
عبد الواحد المراكشي : محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التجيبي ت 669 هـ/ 1270 م .
ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة 1949 .
ابن عذارى المراكشي : أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى توفي النصف الأول من القرن السابع الهجري .
ـ البيان المغرب جـ 4 ، تحقيق د. إحسان عباس .
ابن العريف : أبو العباس أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي ت 536 هـ/ 1141 م .
ـ محاسن المجالس تحقيق آسين بلاثيوس، باريس 1933 م .
ابن العربي المعافري : أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي ت 542 هـ/ 1147 م .
ـ أحكام القرآن تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1967 .

- عارضة الأحوذي (شرح صحيح الترمذي).
- العواصم من القواصم تحقيق د. عمار طالبي نشره بعنوان آراء أبي بكر بن العربي الكلامية - الجزائر - 1974.
- قانون التأويل تحقيق محمد السليماني، بيروت 1986.
ابن عربي الحاتمي المرسي: محي الدين محمد بن علي الحاتمي المرسي الأندلسي ت 638 هـ/ 1210م.
- الفتوحات المكية، ط. بولاق.
القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ت 544 هـ/ 1149 م.
- ترتيب المدارك - ط. وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية
- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت 1982.
الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ت 505 هـ/ 1111 م.
- إحياء علوم الدين، بيروت د. ت.
ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ت 273 هـ/ 886 م.
- السنن تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261 هـ.
- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث 1956.
مالك: الإمام مالك بن أنس ت 179 هـ/ 795 م.
- الموطأ، ط وزارة الأوقاف، المملكة المغربية.
المناوي: زين الدين محمد بن عبد الرؤوف ت 1031 هـ/ 1621 م.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية
المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ت 1041 هـ/ 1631 م.
- نفح الطيب تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1968.
النباهي: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي ت 776 هـ/ 1374 م.
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا نشر ليفي بروفنسال 1948.
أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبدالله الاصفهاني، ت 430هـ/ 1038م.
- حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء 10 أجزاء دار الفكر بيروت، القاهرة 1357 هـ.
ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ت 799/ 1396.
- الديباج المذهب، القاهرة 1939.
القاشاني: كمال الدين عبد الرزاق بن أبي الفضائل ت 751 هـ/ 1350 م.
- اصطلاحات الصوفية.
القشيري: الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ت 465 هـ/ 1072 م.
- الرسالة القشيرية تحقيق د. عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف القاهرة 1966.

الكلاباذي : الإمام أبي بكر محمد بن إسحٰق ت 380 هـ/ 990 م.
ـ التعرّف لمذهب أهل التصوف، بعناية آربري . ARBRY. ARTHUR, JOHN القاهرة 1933 .
الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحيى ت 914 هـ.
ـ المعيار المعرب والجامع المغرب .
ياقوت الحموي : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب الدين ت 626 هـ.
ـ معجم البلدان، بيروت .

ثالثاً : المراجع

الأب بولس نويا اليسوعي
ـ رسائل ابن العريف إلى أصحاب ثورة المريـدين، مجلة الأبحاث ـ الجامعة الأميركية، بيروت العدد 27 ـ 1978 , 1979 .
د. عصمت عبد اللطيف دندش
ـ أضواء جديدة على المرابطين ـ دار الغرب الإسلامي بيروت 1991 .
ـ الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب 1988 .
نيكلسون
ـ الصوفية في الإسلام تعريب د. نور الدين شريبة القاهرة 1951 .
ـ في التصوف الإسلامي وتاريخه ترجمة د. أبو العلا عفيفي القاهرة 1956 .
ماسينون ل. كراوس
ـ أخبار الحجاج ـ مكتبة لاروس ـ بغداد 1936 .

رابعاً : المعاجم

ـ اصطلاحات الصوفية للقاشاني .
ـ المصحف المفهرس وضعه محمد فؤاد عبد الباقي 1378 هـ.
ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .
ـ مفتاح كنوز السنة .

فهرس الآيات القرآنية

- ب -

- ت -

- ذ -

- ر -

- ف -

-س-

-ع-

-ق-

-ك-

-ل-

ـ ك ـ

ـ و ـ

- ي -

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

-ج-

-ح-

-خ-

-د-

-ذ-

-ر-

-ز-

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

-م-

-ن-

-هـ-

-و-

-ي-

فهرس القبائل والفرق

فهرس الأماكن

فهرس البلدان

فهرس المذاهب

فهرس المصطلحات الصوفية

- ب -

-خ-

- ش -

- ص -

- ن -

- هـ -

- و -

فهرس الموضوعات

الفهارس

للمؤلف

- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحّدين عصر الطوائف الثاني (510 - 546هـ/1116 - 1151م)
- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا
- أضواء جديدة على المرابطين



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود

تلفون البناية : 340131/2 تلفون مباشر : 350331 ص . ب . 113-5787 بيروت ، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم	:	1993 - 5 - 2000 - 238
التنضيد	:	سامو برس - بيروت
الطباعة	:	دار صادر - بيروت